الحبيب الأعظم ﷺ

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ-٢٠١٥م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٤٤٠/ ٤/ ٢٠١٥)

٢٣٩

محمود، عريف عارف ٠٠٩٦٢٧٩٦٦٨٣٢٩٠

الحبيب الأعظم ﷺ/ عريف عارف محمود.ـ عمان: المؤلف، ٢٠١٥.

(٢٧٣) ص.

ر.أ.: ١٤٤٠/ ٤/ ٢٠١٥.

الواصفات: / السيرة النبوية / / الإسلام /

الحبيب الأعظم ﷺ

المؤلف

عريف عارف الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

لي مطلب من كل قارئ قرأ ... أن يستر العيب الذي فيه يرى

من خطأ في السبك والتعبير ... فكلنا مظنة التقصير

وليس يخلو أحد من عيب ... ثم الدعاء لي بظهر الغيب

- الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إليك يا حبيبي، يا سيدي، يا رسول الله، صلوات الله تعالى وسلامه عليك وعلى آلك وصحبك، تعظيماً ومحبةً، وإجلالاً، وتوقيراً، وعرفاناً.

❑ ❑ ❑

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ
عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩].

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ

❑ ❑ ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

صلاة الفاتح

اللّهُمَ صَلِّ عَلَى سيِّدِنَا مُحَمّدِ الفاتِحِ لما أُغْلِقَ وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الحَقِّ بالحَقِّ وَالهَادِي إلى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ العَظِيمِ.

❑ ❑ ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي شقَّ الصخورَ شقّا، وأخرج من صلدها ماءً سلسبيلاً دفقا، وفتق السماوات عن الأرض وقد كانتا رتقا، وأعتق من النار من اشترى آخرته بدنياه عتقا، فسبحان من له عزَّةُ القدم ولا تعتريه الحوادثُ ولا تقومُ به ولا يتجزّأ أو يتبعّضُ أو تحتويه الأمكنةُ أو الأزمنةُ، فهو العزيز الذي لا يفتقرُ لشيءٍ وكلُ شيءٍ يفتقرُ إليه، فهو الأول بلا ابتداء والآخرُ بلا انتهاء واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين ونور ربِّ العالمين حيثُ قال سبحانه وتعالى في الآية الخامسة عشر من سورة المائدة ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ قال الزجاج مفسراً: إنَّ النور هو سيدنا محمد ﷺ، فهذا النورُ الذي أحيا الله به الشجر والحجر فضلاً عن البشر وعن القلوب التي أزاحَ الله عنها عذابات الدنيا وجراحاتها بهذا النور، تماماً كالحيا عندما ينهلُّ من السما فيحيي به الله بلدةً ميتة، فكم من هيئةٍ تشخصُ الأبصارُ لجمال مظهرها ولعظيم غناها وهي في قمةِ التعاسة مِنْ بُعْدِها، وكم من هيئةٍ أشدُّ إملاقاً تتقحَّمُها الأعينُ لرثاثةِ حالها لو أقسمت على الله لأبرَّها وذلك لقربها.

من عهد منجدلٍ في الطين مرتهنٍ ... والقبض والبسط إخفاءٌ وإظهار
أحيا الموات من الأزمان مبعثكم ... من يوم مولدكم والكون معطار
أحييتَ في الروح ما للروح من نعمٍ ... والخلد بالروح والأجسادُ أطوار

وما هذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي شرَّفني الله بإنعام النظر فيه تدقيقاً وتمحيصاً إلا قبساً يسيراً من أنوار الحبيب الأعظم فأنّى لمخلوق أن يحيط بأنوار العظمة!، فثمّة فارقٌ بين النور والطين:

كم من مواخر للأصداف قد كدحت | في طرف بحرك إبحارٌ وإبحار
كيما تحوز من الأعماق بغيتها | والكلُّ شمَّرَ غواصٌ وسبَّار
أو من كواكب في الآفاق قد بسمت | من فيض ثغرك لألاءٌ وسيّار
قد كنتَ قبل مداد الكاف عصمتنا | وأنت قبل بروز الغصن نوّار

وإن أجاد العالمُ الباحثُ وارتقى في أسلوبه وتميَّز بعلو كعبه دقَّةً ودرايةً كما فعل مؤلِّفُ هذا الكتاب، حيثُ لم يألُ جهداً في البحث في سيرة الحبيب الأعظم والاستشهاد بالآيات الكريمة وبالأحاديث الصحيحة وبالأشعار الفريدة، فقد وازن بين كلِّ هذه الأمور وصاغها لنا درَّةً تلألأ سهلةً كي تهضمها عقولنا وإنْ حلَّقَ عالياً إلاّ أنَّ الفهم يدركها لتلازم المادة روحاً ومعنىً، وما هذا الوادي الذي احْتَمَلَ هذا النور إلاّ كباقي الأودية التي لا تكلُّ أنْ تمدَّنا، وكلٌّ على قدره يجري ولن يقف دون رضا الله تعالى، لأن من كتب لا يبتغي التكسّبَ، حيثُ أنَّ التزلّف والتملّق والتصنّعَ منفيٌّ إذ لا شيء يُرجى من لُعاع الدنيا من البشر ولكن زلفى ليومٍ تشخصُ فيه القلوبُ والأبصارُ وتقرُّباً من هذه الذات الجامعةِ لحقائق الألوهية والربوبية، فثمَّة طريقٌ واحدٌ غير ذي عوج لكلِّ سالك يريدُ الوصول بعد التخلّي والتحلّي والتزكّي.

وما من عملٍ من أمور الدنيا إلاّ ويعتريه النقص فكيف إذا كان العمل عن سيد الكمالات ونور الله الأعظم فمهما جاهدنا واجتهدنا فلن نبلغ شيئاً

فهيهات هيهات ولكن نسددُ ونقاربُ بمحبَةٍ وإخلاصٍ ونرجو من الله القبول فيما أردنا به وجهه ونسأله العفو عن التقصير الذي لا بدَّ منه والمغفرة عن الزلل، هو وليُّ ذلك والقادرُ عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمّد عبد الله أبو عوّاد

عضو: رابطة الأدب الإسلامي العلمية

عضو: اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين

عضو: عمون للنقد الأدبي

١١ ربيع الآخرة ١٤٣٦هـ

١ كانون الثاني ٢٠١٥م

❑ ❑ ❑

تمهيد

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى:

لا خفاءَ على من مارس شيئاً من العلم، أو خُصّ بأدنى لمحةٍ من الفهم، بتعظيم الله قدر نبينا ﷺ، وخصوصه إيّاهُ بفضائل، ومحاسن، ومناقب لا تنضبط لزمام، وتنويهه عن عظيم قدره، بما تكل عنه الألسنة والأقلام، فمنها ما صرح به تعالى في كتابه، وبثه على جليل نصابه، وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه، وحضّ العباد على التزامه، وتقلُد إيجابه، فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى، ثم طهّر وزكّى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدءاً وعوداً والحمد أُولى وأخرى.

ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمواهب الكريمة والفضائل الفريدة، وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البيّنة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه، وعَلِمها عِلْم يقين مَن جاءَ بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا، وإفاضة أنواره علينا ﷺ.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ

للقاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى

❑ ❑ ❑

المقدمة

اعلم أخي الحبيب:

أنّ الله سبحانه وتعالى، لما علم أنّ جميع الخلق ليس في شاكلتها، أن تأخذ الإمداد والفيوضات، من الحضرة الإلهية مباشرة، جعل بيننا وبينه، وسائط وبرازخ، وهم انبياؤه ورسله وملائكته، وجعلهم على استعداد خاص، للتلقي من الحق، والاستفاضة على أهلهم، المبعوثين إليهم، أما علة عدم اقتدارنا على التلقي من الحضرة إلالهية، إلا بواسطهم فلعدم النسبة، بين عزة القدم والحدوث. وأما العلة في عدم صلاحيتنا للتلقي من الملائكة، فلعدم الرابطة الجنسية والعلاقة الإنسية، فانه ليس من القوة البشرية، أن تتلقى عن القوة الملكية.

لذا امتن الله علينا بقوله تعالى:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال جعفر بن محمد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عَلم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته، فعرّفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفوة من خدمته فأقام بينه وبينهم مخلوقاً من جنسهم في الصورة، ألبسه من نعته وصفته، الرأفة والرحمة، وأخرجه الى الخلق سفيراً صادقاً، وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته.

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فهو سيد الكونين ﷺ(١).

قال أبو بكر محمد بن طاهر: زيّن الله تعالى محمداً ﷺ بزينة الرحمة، فكان كونه رحمةً وجميع شمائله وصفاته رحمةً على الخلق، فمن أصابه

(١) تفسير القاضي عياض، ص٢٤٨.

شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب ومرغوب.

فكانت حياته، ﷺ رحمة للامة، ومماته رحمة كذلك، مصداق قوله ﷺ: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم»(١).

وقوله ﷺ: «اذا أراد الله رحمة بأمّة قَبَض نبيّها قبلها فجعلَه لها فَرَطاً وسلفاً ... الحديث»(٢).

قال السمرقندي: «رحمة للعالمين» يعني الجن والإنس، قيل لجميع الخلق، للمؤمن رحمة بالهداية، وللمنافق رحمة بالأمان من القتل، وللكافر رحمة بتأخير العذاب.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو رحمة للمؤمنين والكافرين، إذ أنهم قد عوفوا مما أصاب غيرهم، من الأمم المكذبة السابقة.

وحكي أن النبي ﷺ قال لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟».

قال: نعم.

كنت أخشى العاقبة، فأمنت لثناء الله عَزَّوَجَلَّ عليّ، بقوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠-٢١](٣).

والحمد لله رب العالمين

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٢٨٨).

(٣) تفسير القاضي عياض، ج٢ ص٦٧-٦٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حمد ذاته بذاته، لسابق علمه بعجز مخلوقاته عن آداء استحقاقاته فهو الحامد المحمود، وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد أحمد أصل الوجود، ونور كل موجود، وسر كل غيب مشهود، ورضي الله عن آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته المجاهدين أهل المعرفة ودوام الشهود، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين الموعود، أما بعد:

إنّ مَن يتحدث عن حضرة المصطفى سيدنا محمد ﷺ، يقف في مقام المتحير أيتحدث عن أخلاقه الكريمة العظيمة التي عظمّها ربه من فوق سبع سموات، أم عن سيرته العطرة التي تأخذ بالمهج والأرواح، أم عن حقيقته العظمى التي لا يعرفها إلا الله عَزَّوَجَلَّ الذي خلقها، وأنّ العقول السليمة مهما آتاها الله سبحانه وتعالى من فضله فطنةً وذكاءً، لا يمكن لها أن تحيط بهذا النورالرباني، الذي تمثل في صورة سيد الوجود سيدنا محمد ﷺ.

إنّ المتتبع لسنن النبي ﷺ ليجد ملايين السنن، ففي كل حركة وسكون يجد سنناً لا تعد ولا تحصى، وتخيل معي أخي الحبيب هذه السنن القولية، والفعلية، ثم الإقرارية، ناهيك عن صفاته الخَلقية والخُلقية ﷺ، مع كثرتها سهلت المنال والتطبيق. هدانا الله وإيّاك لها والمسلمين أجمعين بمنه وكرمه وجوده وإحسانه آمين.

من هنا لا بد لنا أن نُعَرّج متبركين بكتاب الله تعالى، مشيرين إلى نزر يسير من المنح واللطائف الإلهية التي اختصَّ بها سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه في هذا الكتاب العظيم، راجين من الله أن يجعلنا من أحبابه وأحباب نبيه ﷺ وأن يلحقنا بنسبه ويحققنا بحسبه إنّه سميع قريب مجيب.

وقبل أن نشرع بالموضوع الشريف من حيث متعلقه بسيدنا المصطفى ﷺ وعظمته وحقيقته الكبرى، نبدأ تبركاً بذكر عمود نسبه الشريف ﷺ كما في البخاري: «فهو سيد ولد آدم أبو القاسم محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن الذبيح إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ».

وزاد البيهقي في الدلائل: «وما افترق الناس فرقتين، إلا جعلني الله في خيرهما، حتى أخرجت من بين أبوي، فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية، وخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم، حتى انتهيت الى أبي وأمي فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً».

فهل يعقل أن نسأل ونجادل بعد هذا الحديث أن أبويه من أهل الجنة أو النار؟ حماهم الله من ذلك، ولا يخفاك أنهم من أهل الفترة... مع وجود أدلة أخرى كثيرة لمن أراد الحقيقة، كقوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

❑ ❑ ❑

الآيات الدالة على عظمته وأفضليته ﷺ

تعال معي أخي الحبيب نستعرض سوياً كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، الذي أشرنا إليه آنفاً من أوله الى آخره، نجد أنّ الله سبحانه وتعالى نادى جميع أنبيائه عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بأسمائهم المجردة فقال عز من قائل: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ﴾، ﴿يَـٰنُوحُ﴾، ﴿يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾، ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ﴾، ﴿يَـٰعِيسَىٰٓ﴾.. الخ، إلا نبينا المعظّمَ المكرّمَ المبجّل ناداه بالقابٍ شريفةٍ منيفةٍ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

فانظروا الى رفعة هذا النبي العظيم ومنزلته ومكانته وعلو شانه عند ربه وخالقه ومربيه ومؤدبه ومعلمه لم يناده باسمه مجرداً قط.

قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٢٧].

حكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما: «أن آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفرلي خطيئتي وتقبل توبتي، فقال له الله: من أين عرفت محمداً؟ فقال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب عليه وغفر له».

وفي رواية أخرى فقال آدم: لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله. فعلمت أنه ليس أحداً أعظم قدراً عندك مما جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه «وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك».

قال وكان آدم يكنى بأبي محمدٍ وقيل بأبي البشر(١).

(١) رواه البيهقي في الدلائل والحاكم وصححه.

ويروى أنه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ألهمَهُ أن قال ياربّ لم كنّيتني أبا محمدٍ، قال الله تعالى ياآدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نورَ محمدٍ صلى الله تعالى عليه وسلم في سُرادق العرش، فقال ياربّ ما هذا النور ، قال هذا نور نبيٍّ من ذريتك اسمه في السماء أحمدُ وفي الأرض محمدٌ لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضاً . (١)

قيل لسيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

ولكن في حق نبينا سيدنا محمد ﷺ قال له ربه عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] فهذا يدل على تمام الرعاية والعناية والحفظ والمحبة الإلهية منذ الأزل، فقد رعاه ورباه صغيراً وأدبه بأحسن الأخلاق ولم يجعل منَّةً لأحدٍ عليهِ غَيْرُه، ولقد قال ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». إن صح الحديث عن ابن السمعاني.

هذا مع أنّ سيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبي ورسول وكليم وصاحب كتاب ومن الخمسة أُولي العزم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ جميعًا، ووجيهاً في الدنيا والآخرة.

قال تعالى في حق سيدنا إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] وهذا رفع مكانٍ بنص القرآن الكريم لا مكانةٍ من باب اسمه الرافع. وقيل في حق سيدنا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وهذه رفعة مكانةٍ لا مكان بالنص ولكنه في حق سيدنا محمد ﷺ قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

فهذا رفع مكان ومكانةٍ معاً فقد طوي له بساط الأكوان من عرشه إلى فرشه. ولهذا كان ﷺ الختام المخصوص بمقام الإجلال والإكرام، فهو ﷺ

---

(١) ـ الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية / للنبهاني ص١٠ .

كان أقرب الخلق إلى الله في الباطن، وسيكون أعلاهم درجة في الجنة وأقربهم إليه في الظاهر أيضاً، وسمى الله تعالى تلك الدرجة التي وعده بالوسيلة، وما الوسيلة في المعنى إلا السبب فهو في الابتداء سبب وجود الخلق، ودرجته من الانتهاء الوسيلة لأنه سبب قرب الخلق إلى الحق، فحصل له القرب الصوري والمعنوي وكمل له علو المكان وعلو المكانة، ولهذا كان ﷺ أكمل العالم وصفاً وأعظمهم خلقاً، وأتمهم في الاعتدال صورة ومعنى، خَلقاً وخُلقاً ﷺ وشرّف وكرّم وعظّم.

وفي الخطاب الإلهي إلى سيدنا موسى على الأرض بالواد المقدس، نودي أن اخلع نعليك إنّك بالواد المقدس طوى، وهذا مكان على الأرض التي نعيش عليها ونشترك مع غيرنا فيها، لكننا لم نقرأ ولم نجد أنّه قيل لنبينا ذلك في معراجه، ﷺ عندما وصل إلى قاب قوسين أو أدنى، كما أسلفنا فاي عظمة لهذا النبي العظيم صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وآصحابه وأحبابه.

وفي قصة الإسراء والمعراج لما قدّم سيدنا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، البراق ليركبه رسول الله ﷺ، استصعب عليه البراق.

فقال: له سيدنا جبريل: أبمحمدٍ تفعل هذا؟

فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله منه!! فارفضّ عرقاً[1].

فهذه دلالة على عظم منزلته وأفضليته على سائر إخوانه الأنبياء والمرسلين عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) رواه البزار عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يكفي هذه الأمة فخراً ورفعةً، أنّ نبينا سيدنا محمد ﷺ، قد جمع له في الإسراء والمعراج، جميع الأنبياء والمرسلين وصلى بهم في بيت المقدس وما أدراك ما بيت المقدس!؟. أعاده الله إلى حظيرة الإسلام والمسلمين.

ولم تكن لغيره قط، ولقد شُرِّفوا وتَشرّفوا جميعاً خلفه لأنهم نوابه وتابعيه، فقد أُخِذَ عليهم العهد والميثاق، في عالم الذر أن يؤمنوا به وينصروه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

كتب تقي الدين السبكي رسالة سماها التعظيم والمنّة في تفسير: «لتؤمنن به ولتنصرنه». وقد أقره على ذلك أكابر العلماء في زمانه منهم القسطلاني في المواهب اللدُنيّة والحافظ جلال الدين السيوطي في الخصائص الكبرى.

إذ يقول السبكي: في هذه الآية من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره ما لا يخفى، وفيه مع ذلك أنّه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم، فتكون نبوته ورسالته عامة في جميع الخلق من زمن آدم إلى قيام الساعة، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته، ويكون قوله بعثت إلى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضاً ويتبين ذلك معنى قوله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»(١).

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٢٧، والبخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٦٨، والطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٢٥٢، ابن سعد في الطبقات ١/ ١٤٩، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٢٠٨، والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ٨٠، والترمذي ٣٦١٨، وصححه الألباني.

ووصف النبي ﷺ بالنبوة في ذلك الوقت، ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له في ذلك الوقت، ولهذا رأى آدم اسمه مكتوبا على العرش محمد رسول الله فلا بُدّ أن يكون ذلك معنى ثابت من ذلك الوقت.

وفي ذلك إشارة الى روحه الشريفة السابقة إلى جسده الشريف، وإلى حقيقته المحمدية، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعلمها خالقها، ومن أيده الله تعالى بنورإلهي خاص.

يقول السيد داود بن ماخلا: «وأما علوم الحقائق فعلمها ذاتها، وذاتها علمها، ولا يجدها إلا عالمها، ولا يعلمها إلا واجدها، ولا يشهدها إلا مبدئها، ولا يبدأها إلا شاهدها، علمها فانٍ في ذاتها، وذاتها محيطة بعلمها». اهـ(١).

ويقول السيد قطب: الفرق بعيد... جداً بعيد... بين أن نفهم الحقائق، وأن ندرك الحقائق... إن الأولى: العلم... والثانية هي: المعرفة!.

في الأولى: نحن نتعامل مع ألفاظ ومعان مجردة أو مع تجارب ونتائج جزئية.

وفي الثانية: نحن نتعامل مع استجابات حية، ومدركات كلية.

في الأولى: تَرِدُ إلينا المعلومات من خارج ذواتنا، ثم تبقى في عقولنا متحيزة متميزة.

وفي الثانية: تنبثق الحقائق من أعماقنا، يجري فيها الدم الذي يجري في عروقنا وأوشاجنا ويتسق إشعاعها مع نبضنا الذاتي!.

وبها يوجد الجدول السارب، الواصل إلى النبع الأصيل!.اهـ(٢).

---

(١) عيون الحقائق، داود بن ماخلا.

(٢) أفراح الروح، سيد قطب، رقم ٩.

ثم أخذ له المواثيق على الأنبياء ليعلموا أنّه المُقَدّم عليهم وأنَه نبيهم ورسولهم، وفي أخذ المواثيق معنى الاستحلاف، ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه، ولعل أيمانُ البيعة التي تؤخذ للخلفاء أُخذت من هنا، فأنظر هذا التعظيم من العظيم سبحانه وتعالى، للنبي ﷺ فإذا عُرِفَ ذلك فالنبي ﷺ هو نبي الأنبياء في الدنيا والآخرة.

يقول الشيخ إسماعيل النبهاني في هذه الآية : روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال لم يبعث الله نبياً من آدم عليه السلام فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ بذلك العهد على قومه وهو يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً ، وقيل إن الله تعالى لما خلق نور نبينا محمدٍ صلى الله تعالى عليه وسلم أمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياءعليهم السلام فغشيهم منه ما أنطقهم الله به فقالوا ياربنا من غشينا نوره ، فقال الله تعالى هذا نور محمدِ بن عبد الله إن آمنتم به جعلتكم أنبياء ، قالوا آمنا به وبنبوته ، فقال الله تعالى أشهد عليكم ، قالوا نعم . [1]

وعن كعب الأحبار قال : لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم أمر الله جبريل عليه السلام أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ، قال فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاءُ منيرةٌ فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والأرض والجبال

[1] ـ له / الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص٩.

والبحار ، فعرفت الملائكةُ وجميعُ الخلق سيدَنا محمداً وفضلَه قبل أن تعرف سيدنا آدم عليه السلام . (1)

نجد أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قد دافعوا عن أنفسهم، وبعضهم دافع عن أصحابه، إلا نبينا ﷺ، فقد دافع عنه ربّ العزة ودافع عن أصحابه، فقال في حقه صلوات الله وسلامه عليه.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ودافع عن أصحابه بقوله عَزَّوَجَلَّ.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٣].

أي الصحابة الكرام رضوان الله عليم قالت اليهود وغيرهم.

﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [البقرة: ١٣].

يَعْنُون صحابته الكرام فدافع عنهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

لاحظ أخي الحبيب، أنّ الله العظيم، والعظمة والكبرياء، صفتان ذاتيتان لله عَزَّوَجَلَّ فالله العظيم يشهد بعظمة خُلُق رسول الله ﷺ، ولما سُئلت أُم المؤمنين عائشة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، عن خُلق رسول الله ﷺ قالت: «كان خُلقه القرآن». فأي عظمة لهذا النبي العظيم المعظم من الله العظيم، الذي ما من كمال إلهي، إلا وتحقق وتخلق به، وكأنه قرآن يمشي بين الناس، خلعت عليه الكمالات الإلهية، كلها

1 - الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص١٠.

بلا استثناء، وأقول قد ابتلينا في هذا الزمان، بأخلاقنا حتى وصل بعضهم الى التكفير والإخراج من الملة، نعوذ بالله من سوء الخلق، وقلة الأدب، والجهل المطبق، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أخي الحبيب: يصلون فعل مضارع مستمر لا ينقطع أبدًا، ثم صلوا فعل أمر وفعل الأمر دال على الوجوب، وهو في حق المؤمنين ولم يقل المسلمين، فالفرق واضح جلي لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد!!. والصلاة من الله على نبيه ﷺ. هي التجلي بالرحمة الذاتية المطلقة، وهذه الرحمة قد عمت وشملت الخلائق أجمعين، فالرحمة صفة ذاتية اشتق منها اسمان عظيمان فهما أقرب الأسماء إلى الله وبهما افتتحت البسملة وهي: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ .

فالرحمن اسم عام يشمل جميع الخلق إنسها وجنها وملائكتها وعرشها وفرشها ونباتها وجمادها، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله الخالق، فالكل واقع تحت هذه الرحمة، وأولها نعمة الإيجاد من العدم الى الوجود فالرحمن يرحم المؤمن والفاجر والطائع والعاصي حتى الكافر والمشرك لأنهم خَلقه وعبيده، ولذا قالوا:

معنى اسمه الرحمن أي ذي الرحمة وأنه رحمته قد عمت
في هذه الدنيا بكل مؤمن وكافرٍ وفاجر وحاضر وسافر

وهذا الاسم وجدناه الوحيد الذي تشكل بالكامل من الحروف المقطعة بتمامه وكماله في بداية السور من القرآن الكريم. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٩]. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٢]. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]. ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ ﴾ [طه: ١٠٨].

اعلم أنّ اسم الرحمن ورد في القرآن الكريم ١٦٩مرة، فاذا أخرجنا ما ورد في البسملة والنمل ١١٤ مرة يبقى (٥٥) وهذا العدد هو ترتيب سورة الرحمن في المصحف، فانظر إلى هذا الإعجاز القرآني العظيم!!.

أما الاسم الثاني وهو الرحيم فهو خاص بالمؤمنين، وقد منحه الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله ﷺ في آخر سورة التوبة حيث قال تعالى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولذا قالوا:

معنى اسمه الرحيم كان داخرة   للمؤمنين في ثواب الأخرة

فكان ﷺ هو الرحمة المهداة والسراج المنير، به خرج الكون من العدم إلى الوجود ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إنّ مَن تدبَر وتفكَر في هذه الآية الكريمة يتضح له جلياً أنّ جميع ما جاءت به الرسالة المحمدية السمحة، وجميع ما اشتملت عليه، من أوامر ونواهي، وعبادات ومعاملات، وآداب وأخلاق، وحقوق وواجبات، كل ذلك مبني على أساس الرحمة للعباد بدون مشقة.

بل كل ما جاءت به الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصّلاة وأتمّ السلام من العقوبات الشرعية وهي القصاص والحدود والتعزير.!!

كل ذلك إنما هو رحمة للعالمين، ورحمة للعباد والبلاد، لأن في ذلك إيقافاً للمفسد عن التوغل والتمادي في إفساده، وعبرة لغيره من المجتمع. فالرسالة المحمدية جاءت بالرحمة وللرحمة، فيها السعادة والصلاح، والفلاح والنجاح، في الدنيا والآخرة معا. فرسالته ﷺ عامة للبشرية جمعاء، فالمؤمنون الصادقون أخذوا بجميع مبادئ الرسالة المحمدية المنوطة بأمور الدنيا والآخرة، فنالوا سعادة الدارين.

وغيرهم أخذ مبادئ الرسالة المحمدية التي فيها مصالح دنياهم فحسب، فنالوا حظهم من سعادة الدنيا ورفاهيتها، وانتظام أمورها، ولكنهم لم يأخذوا بما فيه صلاح آخرتهم وسعادتهم في الآخرة فما لهم في الآخرة من خَلاق.

هذا وإنّ رحمته ﷺ تشمل عالم الإنس والجن والملائكة وما يتبع ذلك من العوالم، وأما رحمته ﷺ للإنس والجن فقد تقدم شمول رحمته لجميع طبقات الإنس والجن معا، باعتبار أنه ﷺ رسول إلى الجن رسالة تكليف، وقد بلّغهم وأمرهم ونهاهم وبيّن لهم في عدة مناسبات كما هو معلوم، كما أنهم توافدوا عليه واستمعوا إليه ﷺ، وأما شمول رحمته ﷺ لعالم الملائكة وهو ما ذهب إليه جماهير العلماء والعارفين وذلك:

١ - إما باعتبار أنّه مرسل إليهم برسالة فيها تكليف لهم بأوامر ونواهي، كما رجحه كثير من المفسرين والمحدثين والفقهاء منهم الالوسي في تفسيره والمواهب اللدُنيّة شرح الزرقاني.

٢ - وإما باعتبار أنّه مرسل إليهم برسالة تشريف فقد شملتهم عموم رحمته، ونالوا بواسطه علوم جمة وأسرار عظيمة كثيرة قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ

ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١-١٦].

والسَفَرةُ هنا: الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وهم يتلون ما أذن الله تعالى لهم به من تلاوة هذا القر آن الكريم المكتوب في صحفهم، ويزدادون بذلك علماً ومعرفةً بجلال الله تعالى وعظمته وحكمته.

وأما رحمته للمؤمنين: هدايتهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، واهتمامه بما يصلح لهم أمر دينهم ودنياهم وتحذيره إياهم مما يفسد عليهم أمر دينهم ودنياهم، رأفة ورحمة بهم، وقد أقامه الله تعالى في رأفته ورحمته للمؤمنين أنّه أولى بهم من أنفسهم. قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

يعني أنّ النبي ﷺ أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم من أنفسهم، ولذلك كان أحق بهم من كل شيء من أمور الدين والدنيا، وحُكْمُهُ أنفذ عليهم من حكم أنفسهم، فعليهم أن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه ﷺ، ولهذا كان ﷺ يعلن هذه الأولوية في خطبه واجتماعاته، وسنبحث هذا في باب محبة النبي ﷺ، إن شاء الله تعالى فيما يلي هذا الباب والله المستعان.

وأما رحمته للمنافقين: فبالأمان من القتل والسبي نظراً لظاهر إسلامهم في الدنيا. وأما رحمته للكفار: فبرفع عذاب الاستئصال عنهم في الدنيا، وذلك أنّ ألامم السابقة كانت إذا كذّبت رسلهم وكفروا بهم جاءهم العذاب فعمّهُم عن بكرة أبيهم.

كقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط،... وغيرهم.

وأمّا كفار هذه الأُمة المحمدية فقد رُفع عنهم العذاب العام الذي يستأصلهم بالجملة وذلك تكرمة لهذا النبي الكريم ﷺ الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين.

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في هذه الأية: من آمن تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن عوفي مما كان يصيب الأمم من عاجل الدنيا من العذاب

ـ أي: العام ـ من المسخ والخسف والقذف. وحسابهم في الآخرة عند مليك مقتدر يعلم السر وأخفى.

روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً فقال: أنا محمد، وأحمد، والمقفي أي آخر الأنبياء وخاتمهم والحاشر، ونبي التوبة ونبي الرحمة»[1].

فهو ﷺ نبي الرحمة ورسول الرحمة.

روى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل يا رسول الله ادعوا على المشركين فقال ﷺ:

«إنّي لم أُبعث لعّاناً وإنّما بُعثتُ رحمةً»[2].

فهو ﷺ الرحمة المهداة إلى العالم أجمع كما جاءعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إنّما أنا رَحمةٌ مهداةٌ»[3].

وعند الطبراني: (بعثت رحمةً مهداة)[4].

– ومن عظيم رحمته بأهله ﷺ أنّه كان يعاونهم في الأُمور البيتية لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين سألها الأسود: ما كان النبي يصنع في أهله؟ فقالت: «كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة»[5].

---

(١) مسلم (٢٣٥٥).

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٢٥٨٣).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه ١/ ١٠٠.

(٤) شرح المواهب للزرقا ني.

(٥) فتح الباري.

وكان كثيراً ما يخدم نفسه بنفسه ﷺ كما في مسند أحمد وغيره عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان النبي ﷺ يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم»[(١)].

- وأما عِظَمِ رحمته بالصبيان أنه كان يمسح رؤوسهم ويقبلهم، جاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قبّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ابنيّ علي. وعنده الأقرع بن حابس التميمي.

فقال الأقرع: إنَّ لي عشرة ما قبلت منهم أحداً قط!.

فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم».

وعنها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: جاء أعرابي إلى رسول الله فقال:

إنكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم!، فقال رسول الله ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟!»[(٢)].

ومن عظيم رحمته بالصبيان وحبه لإدخال السرورعليهم، أنه ﷺ كان إذا أتي بأول ما يدرك من الفاكهة، يعطيه لمن يكون في المجلس من الصبيان.

- ومن عظيم رحمته دمع عينيه ﷺ لفراق ولده إبراهيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، روى البخاري عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه ـ أي: في حالة الاحتضار ـ فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ـ تدمعان ـ. فقال له عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وأنت يا رسول الله! فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة»، ثم اتبعها بأخرى فقال: «إنّ العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[(٣)].

---

(١) فتح الباري وابن حبان وأحمد.

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (١٣٠٣) واللفظ له، ومسلم (٢٣١٥).

وعن أُسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنّ رسول الله ﷺ رُفع إليه ابنه وهو في الموت، ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟

قال ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء»(١).

- ومن عظيم رحمته بكاؤه ﷺ لمرض أصحابه فقد روى الشيخان عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنّ رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة، ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال: «ألا تسمعون؟ إنّ الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم» وأشار الى لسانه(٢).

- ومن عظيم رحمته ﷺ بكاؤه لموت أحد أصحابه، ما رواه الترمذي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنّ رسول الله ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميت، وهو ﷺ يبكي.! وزاد ابن سعد في الطبقات، قالت: فرأيت دموع النبي ﷺ تسيل على خد عثمان.

- ومن عظيم رحمته بالضعفاء والمساكين، ما رواه البخاري عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إن كانت الأمةُ ـ أي: المملوكة ـ لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت». وفي رواية أحمد: «فتنطلق به في حاجتها» ـ أي: ليقضي لها حاجتها من شراء طعام أو متاع ونحو ذلك(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري وأحمد والنسائي.

وعن سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنّ النبي ﷺ كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم)[1].

- ومن عظيم رحمته باليتيم، كان ﷺ، يُحسن إليهم ويبرهم، ويوصي بكفالتهم والإحسان إليهم. روى البخاري عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «خيرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسن إليه، وشرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يساءُ إليه»[3].

ورحم الله تعالى البُصيري، حيث قال في القصيدة المحمّدية صلى الله على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله المطلبي الهاشمي القرشي الأبطحي المكي المدني.

محمّــدٌ سَـبَبُ الإنـشاءِ مِـنْ عَـدَم　　　محمّـــدٌ رحـــمَ اللهُ العبـــادَ بـــهِ

- ومن عظيم رحمته ﷺ بالحيوان، كان يوصي بالرحمة بالحيوان، وينهى صاحبه أن يجيعه أو يتعبه بإدامة الحمل عليه أو إثقاله أو يخيفه أو يحسه، بما فيه من التعذيب له.

وعن سهل بن الحنظلية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه - أي: ضمر من شدة الجوع - فقال ﷺ:

---

(١) رواه أبو يعلى والطبراني.

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٥).

(٣) رواه ابن ماجة٣٦٧٩ .

«اتقوا الله في هذه البهائم فاركبوها صالحة وكلوها صالحة»[1].

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنّ النبيّ ﷺ دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل. فقال لهم: «اركبوها سالمةً ودعوها سالمةً ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فرّب مركوبةٍ خيرٌ من راكبها وأكثر ذكراً لله منه»[2].

فكان ﷺ ينهى عن إجاعة الحيوان، إما بكثرة العمل عليه أو تحميله فوق طاقته، أو إرهاقه بايقافه وإطالة الجلوس عليه، من غير ضرورة.

قال العلامة المناوي: والمنهي عنه الوقوف الطويل لغير حاجه ، فيجوز حال القتال والوقوف بعرفة ونحو ذلك، قال: وفيه إشعار بطلب الذكر للراكب وقد ذكر أهل الحقيقة أنه يخفف الثقل عن الدابة.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال: «نقيقها تسبيح»[3].

– ومن عظيم رحمته بالطيور، كان رسول الله ﷺ يُحذر من أن يفجع الإنسان الطيور بأولادها، وذلك من باب الرحمة عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمّرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها فجعلت تفرش. فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولديها؟ ردّوا ولديها إليها»[4].

وعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا يسأله الله عنها يوم القيامة».

---

(١) رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه.

(٢) رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى.

(٣) رواه النسائي، وأخرجه البيهقي، وابن كثير في تفسير الآية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

(٤) رواه أبو داود٢٦٧٥ . والبخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في الدلائل.

قيل يا رسول الله وماحقها؟ قال: «حقها أن تذبحها فتأكلها، ولاتقطع رأسها فترمي به»[1].

كما وأنّه ﷺ أوصى بالرفق في ذبح الحيوان والإحسان إليه في ذلك، وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنّ رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته.

فقال له النبي ﷺ: «أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا حددت شفرتك قبل ان تضجعها؟!»[2].

وسيأتي مفصلاً في شمائله وعظيم أخلاقه ﷺ إن شاء الله تعالى قريباً.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

لقد قال بعض المفسرين إنّ الامر التكليفي الوحيد الذي عجز عن أدائه العباد، هو الصلاة على رسول الله ﷺ، فتكفل الله بذلك حيث جاء الأمر الرباني في الآية الكريمة بصورة قرآنية جديدة تتميز وتختلف عن بقية صيغ الأوامر الربانية الأخرى.

فقد قال تعالى في الصلاة: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وفي الصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وفي الحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلًا ﴾[آل عمران: ٩٧].

وفي القصاص: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ...﴾ [البقرة: ١٧٨].

---

(١) رواه النسائي والحاكم وأحمد (٦٥٥٠) و(٦٥٥١)، وضعفه الألباني.

(٢) رواه الطبراني وغيره.

لكن حينما كان الأمر متعلقاً بالصلاة على رسول الله ﷺ جاء الأمر بصيغة أخرى. فابتدأ الله تعالى بصلاته أولاً، ثم ثنّى بالملائكة، ليشير إلى مقام الصلاة على النبي ﷺ، أنّه مقام تشريف وتعظيمٍ أولاً، ثم جاء بالتكليف بأن طلب الصلاة عليه منا، فالصلاة على النبي ﷺ مقام تشريف وتكليف في آنٍ واحدٍ. فكأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول لعبده المؤمن أنا أُصلي على حبيبي وملائكتي يصلون على حبيبي، فإذا صليت عليه كنت حاضراً معي ومع ملائكتي، في هذا المقام الشريف الرفيع فانظر أخي الحبيب إلى هذه المعية الإلهية، ما أعظمها وأجلها عند الله العظيم وملائكته المكرمين، والصلاة من الملائكة الاستغفار، قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الشوري: ٥].

ومن المؤمنين الدعاء وطلب الشفاعة والذل والإنكسار والتجرد إلى الله والإقرار بالضعف والعجز، عن أداء الاستحقاق الذاتي الذي بدأنا به أولا في بداية الحمد، ورحم الله القائل:

أدم الصلاةَ على النبي محمدٍ ... فقبولها حتماً بدون تردُدِ

أعمالنا بين القبول وردها ... إلا الصلاة على النبي محمدِ

ومن صلى على نبينا مرّةً صلى الله تعالى عليه عشراً(١).

ومن صلى عليه عشراً صلى الله تعالى عليه مائة.

ومن صلى عليه مائةً صلى الله تعالى عليه ألفاً.

ومن صلى عليه ألفاً لم يمت حتى يراه ﷺ!!

---

(١) رواه مسلم (٤٠٨)وأبو داود(١٥٣٠)والنسائي(٣/ ٥٠)والترمذي(٤٨٤).

والآية تخاطب المؤمنين خاصة لا المسلمين على العموم فتنبه لذلك جعلنا الله وإيّاكَ منهم. آمين.

قال ابن شافع: «انبسط جاهُهُ ﷺ حتى بلغ المصلي عليه هذا الأمرالعظيم وإلا فمتى يحصلُ لك أن يصلي الله تعالى عليك!؟ فلو عملتَ في عمرك كل طاعة ثم صلى الله عليك صلاةً واحدةً، رجحت تلك الصلاة الواحدة على ما عملتَ في عمرك كله على جميع الطاعات، لأنك تصلي على قدر وسعك وهو يصلي على حسب ربوبيته، هذا إذا كانت صلاةً واحدةً، فكيف إذا صلى عليك عشراً بكل صلاة؟!»[1].

إنّ من دوام الصلاة على رسول الله ﷺ حصول المحبة له، وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان التي لايتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجاذبة لحبه، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه، نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فاذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه، والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحس شاهد في ذلك حتى قال الشاعر:

عجبت لمن يقول ذكرت حبي ... وهل أنسى فأذكر من نسيت

ولو كمل حبّ هذا لما نسي محبوبه!!.

ومن خصائصها أنّ من استولت محبته على قلبه لا يبقى في قلبه معارضة لشيءٍ من أوامره ولا شك في شيءٍ مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوباً

(١) خبيئة الكون، للكتاني.

مسطوراً في قلبه، لا يزال يقرأه على تعاقب أحواله ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصرُهُ وقوة معرفته ازدادت صلاته عليه ﷺ وازدادت محبته.

قال الشيخ محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: في هذه الآية الكريمة من الإشادة بذكره والتنويه بعلي قدره والإعلام لمرتبته والإعلان بعظيم مكانته ما لا يخفى على متأمل، فإنّه تعالى أتى فيها بالاسم الإلهي الجامع الذي هو منبع الأنوار كلها وهو الله جَلَّ جَلَالُهُ، إشارة إلى أنّه ربه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنه استمداده وإلى أنّ هذا الفعل واقعٌ بجمعية الذات الأحدية وما هو مندمج فيها من الأسماء الصمدية، وأخبر أنّه يصلي أي يثني ويعظّم ويكرّم وينعّم ويزيد في المبرة والتكريمات وأنواع اللطائف والتشريفات اللائقة بعلي جنابه وكريم خطابه عليه بنفسه عنده أي في حضرته الخاصة منه إليه بلا واسطة، وعند ملائكته وأنبيائه وأهل خاصته منَّةً عليه وتلطفاً، وإنّ ملائكته كلهم علوهم وسفلهم خاصهم وعامهم يصلون عليه أيضاً أي يدعون له بذلك ويطلبونه من الله خدمة له وتعلقاً به وتعطفا وأتى في ذلك بالجملة الاسمية للتأكيد، وصدّرها بأن لزيادته وأتى بالخبر مضارعاً لأفادة الدوام والاستمرار التجددي، إشارةً إلى دوام هذه الصلاة منه ومنهم واستمرارها وعدم انقطاعها أبد الآبدين ودهر الداهرين دنيا وأخرى، ثم أمر المؤمنين أجمع خاصتهم وعامتهم بالصلاة والتسليم عليه اقتداءً بهم وموافقةً لهم لينالوا بذلك من الله تعالى عظيم الفضل وكثير الثواب والأجر، ويدخلون به في زمرة محبيه وخدمه وخواص أتباعه وتكون لهم به يد عنده ليستحقون بها شفاعته الخاصة وجواره في دار النعيم وهذه الملاحظة الكاملة والعناية الزائدة والرفعة العظيمة والمنة الجسيمة لم تكن لأحدٍ سواه، لكونه تعالى أفرد الصلاة عليه من سائر الأعمال

وعملها هو بنفسه أولاً وملائكته ثانياً، ثم أمر بها عباده المؤمنين ثالثاً، ولم يشاركها في هذا شيء من الأعمال لا فرض ولا نفل وهذا مما ينبئ بتوحده وإفراده في المملكة الربانية كلها محبوبيةً وقدراً وجاهاً ورفعةً وشأناً وعزةً وسلطاناً حيث كان العالم العلوي والسفلي بمن فيه يخدمه ويستعطفه ويتقرب إليه ويتودد إليه رجاء نيل رضى الله سبحانه وفضله.

وهو أتم وأعلى وأشمل وأجمع وأرفع وأكمل من تشريف آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأمر الملائكة بالسجود له وإنّما كان ذلك السجود في الحقيقة له ﷺ أيضًا لأنه الخليفة الأول والأعظم والأكرم ﷺ، ولأن صلاة الله وملائكته دائمة متصلة وسجود الملائكة لآدم وقع وانقطع ولأن السجود على أحد الأقوال لم يكن من جميع الملائكة وإنما كان من جلهم، وهذا التشريف من جميعهم قطعاً ولأن سجود الملائكة لآدم كان زجرا لهم وتأديباً وتعليماً، وأمرهم بالصلاة عليه تشريفاً له ولهم وتكريماً، وأي خلافةٍ وكرامةٍ وفضيلةٍ أعظم من هذه الخلافة، وهذه الكرامة وهذه الفضيلة وأي سلطنةٍ تصل إلى هذه السلطنة العظيمة وأي محبوبيةٍ تبلغ إلى هذه الدرجة الفخيمة، لا والله ولا تقرب منها لمن تأملها وعرفها وعرف قدرها.

وقد أفادت هذه الآية الكريمة أنّه باب الله الأعظم وصراطه الأقوم فلا يصل أحد إليه ولا يدخل أبدا عليه إلا من بابه، ولا يشم شيئاً من روائح القرب إلا بواسطته ومن وراء حجابه ولا غنى لمخلوق عنه ولا فوز لمن انفلت من ربقته أو أطلق يداً من عروته وكيف يصرف أحدٌ وجهه عنه وهو وسيلة الخلائق ومطرق جميع الطرائق ﷺ وعلى آله الطيبين وعترته الطاهرين أبد الآبدين ودهر الداهرين والحمد لله رب العالمين.

ويقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾ [الفتح: ١٠].

وهي من أظهر الآيات وأبينها في استخلافه وتحكيمه وإرجاع الأمر إليه في كل شيء في تحليله وتحريمه، فالمبايعة إنما تكون للملِكِ وهو من شأنه الحكم والتحكيم والتعقب لما شاء من أحكام غيره أو التسليم ولا يقال إنما الآية تشير لمبايعةٍ خاصةٍ وهي مبايعة أصحابه له ﷺ وذلك ملك خاص لا عام، لأنا نقول هذا فهم أهل الرسوم الظاهرة ومن لا علم عنده بقدر ومقدار هذا الرسول الأعظم ﷺ وما له عند الله من الرتبة والمكانة الفاخرة، وأهل الله وأصحاب العلوم الباطنة يفهمون منها العموم بطريق المنطوق لا المفهوم فيرون أنّها شاملة لجميع المبايعات بسائر الوجوه وأنواع الصفات ولجميع المبايعين له والخاضعين من أهل السماوات والأرضين وسائر عباد الله أجمعين .

وإذا تقرر ملكه ﷺ في سائر الخلق وعموم بعثته إلى كل واحدٍ منهم تقرر بذلك عموم سلطنته وحكمه وولايته وأمَرَ المبعوث إليهم كلهم ببيعته كلٌ على حسب ما يليق بخلقته، وقد كانت البهائم والأنعام والوحوش والطير والنباتات والأشجار والأحجار تأتي إليه طائعة وساجدة، كما سيأتي بيانه في معجزاته ﷺ، وتنزل عليه ملائكة الله متأدبة بين يديه سميعة له خاضعة، ومنهم من كان يصرح له بأنّ الله أمره بأنْ يطيعه في كل ما يريد وأنْ يمتثل أمره بما يختاره من الأمر السديد وورد في قصة الإسراء أنّ جبريل وميكائيل عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ وهما أفضل الملائكة أو من أفضلهم كانا آخذين بركابه عن يمينه وشماله وفي تحفة الأخيار أنّ أحدهما كان آخذا بركابه والآخر بلجام البراق.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

دقق أخي الحبيب حفظك الله ورعاك، كلمة خاتَم جاءت بالفتح لا بالكسر، فالخاتِم بالكسر الذي يأتي أخر الشيء أي النهاية والكمال وهي منزلة عظيمة، غير أن خاتَم بالفتح هوالذي يُبتدئ به ويُنتهي إليه، فهو نقطة البدء وهو نقطة الختام، فالدائرة إذا رسمتها كانت نقطة البدء هي نقطة ختامها وكمال دائرتها. فكان ﷺ أول الخلق إيجاداً نوراً سابحاً في القدم، وآخر الأنبياء إرسالاً، فهم نوابه ومظهري شرعه ودينه، وسمي الخاتَم بالفتح خاتماً لانه يحيط بالاصبع من كل جانب، هذا أيضاً معنىً من معاني قوله ﷺ: «كنتُ نبياً وأدم بين الماء والطين»(١).

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

إنّ الحق لم يذكر مَن هو هذا الرسول بل تركه مبهماً، ولكن يتبادرإلى الذهن أنه رسول الله ﷺ، وهذا الإبهام في مثل هذا الموطن يفيد التعظيم، أي كأنه يقول هو الذي أرسل أعظم رسله بالهدى ودين الحق، والهدى نقيض الضلال، ودين الحق هو الدين الذي جاء به مطابقاً للواقع، فالحق عند المتكلمين هي الحالة المطابقة للواقع، يعني أن هذا الدين هو دين الفطرة التي فطر الله الخلق عليها، وهذا قد قرره نبينا ﷺ قال: «كل مولودٍ، يولد على الفطرة، يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه»(٢).

فالإسلام هو دين الحق لأنه طابق الفطرة البشرية، التي فطر الله الناس عليها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري (١٣٨٥).

ثم قال تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ والضمير هنا مبهم أيضا، وهو الهاء ولا بدّ أن تكون على اسم ظاهر، والآية فيها اسمان ظاهران هما الرسول ﷺ، والدين فإذا كان عائدا على الاسم الظاهر الأول الرسول، فيكون تفسيره الظهور، هنا بمعنى الاطلاع أي ليطلعه على الدين كله، ولفظ الدين جاء معرفاً بالألف واللام، والتي تفيد الاستغراق فيكون المعنى كالتالي، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليطلعه على الأديان كلها. أما إذا كان الضمير عائداً على الاسم الظاهر الثاني، فقد تقرر المعنى بشكل آخر فيكون المعنى كالتالي هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليرفع شأنه على الأديان كلها، فالظهور هنا بمعنى الرفعة كما في اللغة ظهر فلان على فلان أي انتصر عليه وارتفع شأناً عنه. وبموجب ربط الأسباب بالمسببات، يكون سبب ظهور هذا الدين الحنيف على سائر الأديان، هو رسول الله ﷺ، فيكون قد أعطي من الله ما لم يُعط غيره من الأنبياء والمرسلين من الإكرام والمنح الإلهية الربانية العظيمة، فكان كماله الخَلقي والخُلقي والتشريعي أعظم من سائر إخوانه الأنبياء والمرسلين، إذ كانت شريعته ناسخة لباقي الشرائع لأنها الكمال ولأنها الخَتم.

قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

لقد كانت العرب تدّعي أنّ لها ديناً خاصاً وأنّه الحق وكذلك اليهود والنصارى كل يدعي ديناً خاصاً وأنّه الحق. فبينت الآية أنّ هذه الدعاوي من قبيل التعصب والتقليد وأنّ دين الله تعالى واحد في حقيقته وروحه، والتوحيد والاستسلام إلى الله تعالى والإذعان لهداية الأنبياء والمرسلين عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وهذا التفرق والتفريق ما جاء إلا من الجهل والتعصب للأهواء وما إلى ذلك، لكن الإسلام يطالب الجميع،

بالاتفاق في الدين والاجتماع على التوحيد والبراءة من الشرك بشتى أنواعه، والإخلاص لله في جميع الأعمال ويبين أنّ شرائع آدم ونوح وإدريس من متقدمي الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ليست كشرائع إبراهيم وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في نظام الحياة الاجتماعية. وشريعة هؤلاء ليست كشريعة سيدنا محمد ﷺ التي ختم الله بها الشرائع السماوية، فجاءت شريعته ناسخة وجامعة لجميع ما تحتاج إليه البشرية، من نُظم تكفل لها في مستقبلها الاستقرار في ظل ظليل، من العدل والإحسان والتراحم والتعاون والتساوي بين أفراد المجتمع، فبه ﷺ كان هذا الكمال التشريعي الديني قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

حيث نزلت يوم الجمعة في حجة الوداع كما هو معلوم. وهذا إعلان من الحق سبحانه وتعالى بإكمال العقيدة وإكمال الشريعة، فلا نقص يستدعي الكمال ولا قصور يستدعي الإضافه ولا محلّيّة او زمانية تستدعي التطوير أو التحوير، وهذا الكمال من حتميات العمومية المكانية والزمانية في هذه الرسالة، وذلك لأن كل رسول قبل خاتم النبيين، إنما أرسل لقومه في عصره فهي رسالة خاصة لمجموعة خاصة في بيئة خاصة في زمن محدود، فكانت أحكامها وشرائعها متكيفة ومحكومة بتلك المقتضيات والظروف لتناسب حالة الجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان. لكن لما كان النبي سيدنا محمد ﷺ أرسل لكافة الناس، فهي رسالة الإنسان في كل زمانٍ ومكانٍ، التي تخاطب فطرته التي لاتتبدل ولاتتحور ولاينالها التغيير، فجعلها محتوية على كل ماتحتاج إليه حياة الإنسان من ضوابط وتوجيهاتٍ وتشريعاتٍ وتنظيماتٍ لكي تستمر وتنمو وتتطور وتتجدد داخل هذا الإطار الرباني.

قوله تعالى في آخر سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

وقُرِأت بالفتح: ﴿مِنْ أَنفَسِكُمْ﴾، قال صاحب الشفا:

اعلم أنّ الله تعالى أعلم المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الخلق، على اختلاف المفسرين من المواجهة بهذا الخطاب، أنّه بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه فيعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم بكونه منهم، وأنّه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله ﷺ ولادة أو قرابة، وهو عند ابن عباس وغيره في معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰٓ﴾ [الشورى: ٣٣] وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح، وهذا نهاية المدح، ثم وصفه بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد كثيرة، منها حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم، وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته ورأفته ورحمته بمؤمنهم، كما أشرنا سابقاً. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. عند ذكر الرحمة واشتقاق الأسماء منها.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

قيل بالنبوة، وقيل إذا ذكرتُ ذكرتَ معي في قول: لا الله إلا الله محمد رسول الله، وقيل في الأذان والإقامة وخطبة الجمعة... وغير ذلك.

انظر أخي الحبيب... هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه ﷺ، على عظيم نعمه لديه وعظيم منزلته عنده وكرامته عليه، بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة، ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها، وحطّ عنه أعباء الرسالة والنبوة، لتبليغه للناس ما نُزّل إليهم وتنويهه بعظيم مكانته وجليل رتبته ورفعة ذكره فقرن اسمه باسمه ولا يقبل الإسلام إلا بالشهادتين.

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ.

روى أبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنّ النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فقال إن ربي وربك يقول: تدري كيف رفعتُ ذكرك؟ قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «إذا ذكرتُ ذكرتَ معي»[(١)].

قال في المواهب قال الإمام الشافعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن معنى قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. لا أذكرُ الا ذُكرتَ معي.

«أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله».

ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

فجمع بينهما بواو العطف المشتركة، ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه، صلوات الله وسلامه عليه، فعن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان»[(٢)].

قال الخطابي: أرشدهم ﷺ إلى الأدب، في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي، بخلاف الواو التي هي للاشتراك. وفي حديث آخر أن خطيباً خطب عند النبي ﷺ فقال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى».

فقال له النبي ﷺ: «بئسَ خطيبُ القومِ أنتَ! قُمْ»[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني وابن حبان ٨/ ١٧٥.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٨٠)، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٨٧٠).

فكره النبي ﷺ الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية تأديباً لنا وتعليماً.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

جمع الله تعالى في هذه الآية ضروباً من رُتب الأثرة، وجملة أوصاف من المدح فجعله شاهداً على أُمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وهي من خصائصه ﷺ، ومبشراً لأهل طاعته ونذيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيده وعبادته وسراجاً منيراً يهتدي به للحق، وقد جمع له بين صفتي الشمس والقمر، فالقمرمنيراً عاكساً لنور الشمس، والشمس سراجاً وهاجاً.

جاء في الحديث عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

فقال أجل والله إنّه لموصوف في التوراة ببعض صفات القران: شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين، أنت عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا صخابٍ في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: «لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً»(١).

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣] قد أبان الله تعالى فضل نبيه ﷺ، وفضّل أمته حيث قال وسطاً أي عدولاً خياراً، فهديناكم وخصصناكم وفضلناكم، بأن جعلناكم أمّةً خياراً عدولاً، لتشهدوا للأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ على أُممهم ويشهد

---

(١) رواه البخاري (٢١٢٥).

لكم الرسول ﷺ، بالصدق على ذلك. قيل: إن الله جَلَّجَلَالُهُ إذا سأل الأنبياء هل بَلّغتم؟ فيقولون: نعم. فتقول أُممهم: ما جاءنا من بشير ولا نذير. فتشهد أمّة الحبيب محمد ﷺ للأنبياء، ويزكيهم النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].

اتفق المفسرون على أنّ هذا قسم من الله جَلَّجَلَالُهُ بمُدة حياة سيدنا محمد ﷺ وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه: وبقاؤك يا محمد، وقيل عيشك، وقيل حياتك، وهذه نهاية التعظيم، وغاية الغايات في البر والتشريف ولذا قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «ما خلق الله تعالى ولا ذرأ ولا برأ نفْساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت أن الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره».

واعلم أخي الحبيب أن هذا أول قسم في القرآن الكريم لم يسبقه غيره، وآخر قسم في سورة العصر وبينهما ترابط عجيب لمن ألقى السمع وهو شهيد. فافهم وتدبر ترشد للحق إن شاء الله تعالى.

أما سورة الضحى فقد اختلف في سبب نزولها، قيل كان النبي ﷺ قد ترك قيام الليل لعذر نزل به، فتكلمت امرأة في ذلك بكلام، وقيل بل تكلم به المشركون عن فترة الوحي فنزلت السورة.

وفي أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري أخبرنا أبو منصور البغدادي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن الحسن السراج أخبرنا الحسين بن مثنى بن معاذ أخبرنا أبو حذيفة أخبرنا سفيان الثوري عن الأسود بن قيس عن جندب قال: قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ ما رأيت شيطانك إلا قد ودّعك. فنزلت هذه السورة. روى الحاكم في المستدرك، في

تفسير سورة الضحى أنها امرأة أبي لهب أم جميل، بنت حرب أُخت أبي سفيان بن حرب واسمها العوراء.

قال صاحب الشفا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، تضمنت هذه السورة من كرم الله له وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة أوجه:

الأول: القسم له عما أخبره به عن حاله أي ورب الضحى، وهذا من أعظم درجات المبرة به ﷺ.

الثاني: بيّن مكانته عنده وحظوته لديه بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] أي ما تركك وما أبغضك وقيل ما أهملك بعد أن اصطفاك.

الثالث: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] قال ابن اسحاق: أي ما لك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا، قال سهل أي ما ادّخرت لك من الشفاعة العظمى والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا.

الرابع: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، وهذه آية جامعة لوجوه الكرم وأنواع السعادة وكثرة الإنعام في الدارين وزيادة، وسيكون لنا فيها كلام في محله إن شاء الله تعالى كالحوض والشفاعة ولواء الحمد والمقام المحمود، وغير ذلك بإذن الله عَزَّوَجَلَّ إن بقي في العمر بقية.

وقد نقل القرطبي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أنه قال: «مِنْ رِضَى محمدٍ ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار».

وفي رواية أخرى: «أحد من أمته النار»[1].

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي ٣/ ١٦٠.

وعن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «ليس آية في القرآن أرجى منها»[1].

الخامس: ما عدده تعالى من نعمه عليه وقرره من آلائه عليه، في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير، ولا مال له فأغناه بما آتاه أو بما جعل في قلبه من القناعة والغنى، ويتيماً فحَدَبَ عليه عمه وأواه أليه، وقيل يتيماً أى لا مثال لك ولا أحد يدانيك!! فآواك اليه ولذا سماه بعضهم بالدّرة اليتيمة الوحيدة الفريدة، اذ لاشبيه ولا ندّ لك، فلم يهمله في صغره وعيلته ويتمه، ولا ودّعه ولا قلاه بعد اختصاصه واصطفائه معاذ الله.

السادس: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ٣] أمره عَزَّوَجَلَّ بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه بنشره، فإنّ مِنْ شكر النعمة الحديث بها.

وهذا خاص له ﷺ عام لأمته من بعده.

يقول صاحب الظلال: هذه السورة بموضوعها وتعبيرها وشاهدها وظلالها وإيقاعها، لمسةٌ من حنانٍ ونسمةٍ من رحمةٍ وطائفٍ من ودٍ ويدٍ حانيةٍ تمسح الآلام والأوجاع وتنسم بالروح والرضى وتكسب البرد والطمأنينة واليقين.

إنّها كلها خالصة للنبي ﷺ، كلها نجاة له من ربه وتسرية وتسلية وترويح وتطمين، كلها أنسام من الرحمن وألطاف من القربى وأنداء من الود وهدهده للروح المتعبة والخاطر المقلق والقلب الموجوع، ذاك الحنان وتلك الرحمة وذاك الرضى وهذا الشذى تنسرب كلها من خلال ألنَظْم اللطيف العبارة الرقيق

(١) تفسير الثعالبي.

اللفظ، ومن هذه الموسيقى السارية في التعبير الموسيقى الرتيبة الحركات الوئيدة الخطوات الرقيقة الأصداء الشجية الإيقاع، فلما أراد إطاراً لهذا الحنان اللطيف ولهذه الرحمة الوديعة ولهذا الرضا الشامل ولهذا الشجى الشفيف، جعل الإطار من الضحى الرائق ومن الليل الساجي، أصفى أنين من آونة الليل والنهار وأشف أنين تسري فيهما التأملات وتتصل الروح بالوجود وخالقه، وتمس بعبادة الكون كله لمبدعه وتوجهه لبارئة بالتسبيح والفرح والصفاء وصورهما باللفظ المناسب. فالليل هو الساجي لا الليل على إطلاقه بوحشته وظلامه، الليل الساجي الذي يرق ويسكن ويصفو وتغشاه سحابه رقيقة من الشجى الشفيف والتأمل الوديع كجو اليتم والعيلة ثم ينكشف وينجلي مع الضحى الرائق الصافي فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الإطار ويتم التناسق والاتساق والتناغم.

أما سورة النجم فيقول سيدنا ومولانا التيجاني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فاعلم أن الله سبحانه وتعالى برّأ رسوله ﷺ من جميع تعلقات الهوى وأسبابه، لأنّ نفسه الشريفة خلصت إلى مواطن القرب وتمكنت من صفاء مشاهدة الحضرة الإلهية، بحيث لا تغيب عنها طرفة عين، ولا يشغلها شاغل طرفة عين، والخلاص إلى مواطن القرب هو وصول العبد إلى رتبة حق اليقين، فإن رتبة عين اليقين وإن كانت تُخلّص النفس من جميع البقايا المناقضة لأمر الربوبية، لكونها ليس فيها إلا الربوبية محضاً، فصاحبها ناقص النظر، من كونه لا يعطي المراتب حقها ولا يستوفي العلم بخواص المراتب الحقية والخلقية فلذا كان ناقصاً. وصاحب مرتبة حق اليقين، قد استكمل الخلاص من جميع غبش طباع البشرية، لأنّها استهلكت منه في مرتبة عين اليقين، فلما وصل مرتبة حق اليقين، أشهده الله تعالى المراتب الحقية والخلقية، فاعطى كل ذي حق حقه

ووفى الوظائف والآداب، فما يحيف ولا يميل ولو لحظة إلى متابعة الهوى، ثم مراتب حق اليقين وهو استهلاك العبد بالكلية، ولم يبق فيه إلا حق بحق في حق عن حق، فلا علم ولا رسم ولا أين ولا كيف، ثم بعد هذا مقام الصحو والبقاء وهو مقام رتبة حق اليقين. ومثال هذه المراتب في الشاهد مثال النار العِلم بها عن بعد من كونها محرقة طابخة مسخنة، هذا مثال علم اليقين، والمراد بعِلم اليقين هو تبدي الحقائق من وراء ستر رقيق. وأما عين اليقين فهو بمنزلة من وصل إلى النار وكوي بها وذاق حرارتها، فهو مثال عين اليقين وهو انكشاف الحقائق من غير حجاب ولا خصوصية. ومثال حق اليقين من ألقي في النار برمته وكانت في غاية القوة والكثرة والالتهاب، فصار يحرق فيها ففي زمن حرقه لا علم له بغيرها ولا يلم في قلبه غيرها، كذلك صاحب رتبة حق اليقين ليس في نظره إلا الحضرة الإلهية، وإنْ نظر إلى متفرقات الكون فما في الوجود كله في نظره إلا الله سبحانه وتعالى، قد محق منه السوى من كل وجه وبكل إعتبار، ما عنده إلا الله وحده. فكيف بنبينا ﷺ الذي تجاوز سدرة النتهى بإسرائه ومعراجه فهو ﷺ فوق هذا كله فإنّ له ما فوق ذلك حقيقة حق اليقين.

وإنّ الله سبحانه وتعالى كان في الأزل في حجاب الكنزية العظمى، لا يعلمه سواه كما قال ﷺ في الحديث حين سأله السائل: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق قال: «كان في عمى ما فوقه هواء وما تحته هواء».

وإنما العمى المقصود بالحديث هو احتجاب الرب سبحانه وتعالى في حضرة ذاته، بما هي متصفة به من العلو الذاتي والكبرياء والعظمة الذاتيين والعز الذاتي، فلا وجود لشيء معه، «كان الله ولا شيءَ معه». وهذه الحضرة الذاتية هي حضرة الطمس والعمى، لا ظهور فيها لإسم ولا صفة إلا الذات

بالذات في الذات عن الذات لا شيء غير ذلك وما تعرّف إليهم إلا بظاهر الألوهية، والذات في حضرة الطمس والعمى ولا مطمع لأحدٍ في معرفتها لا يعلم ذاته في تلك الحضرة إلا هو سبحانه وتعالى لاغير، والتعريف للمخلوقات بمرتبة الألوهية وهي عكوف الوجود على عبادته سبحانه وتعالى، بالخضوع تحت كبريائه وعظمته وجلاله والتذلل لكمال عزه والخمول تحت قهره، بتسليم القياد إليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا منازع له في حكمه، وهذا التعريف بمنزلة الألوهية له ظاهر وباطن، فالتعريف بظاهر الألوهية لأصحاب الحجاب من جميع الأكوان، فكلها تقر له بالألوهية وتعترف بأنهم عبيد مقهورون تحت حكمه، وهذا الأمر فيهم جبلّة من أصل خلقتهم، فإن الرسل التي أرسلت للخلق ما بعثوا إليهم إلا بتوحيد العبادة لله وخلع ما يعبدون من دون الله. وعلى رأسهم نبينا المكرم ﷺ، الذي جاء بالتوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة قط، وخير مَن عبّر عن ربه عَزَّوَجَلَّ فقد أوتي جوامع الكلِم ﷺ(١).

فقد اشتملت هذه الآيات العظيمه على إعلام الله تعالى بتزكية جملته ﷺ وعصمتها من الآفات في هذا المسرى الذي بلغ فيه سدرة المنتهى فزكى الله فؤاده ولسانه وجوارحه وقلبه بقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١].

ولسانه بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣].

وأخيراً بصره بقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

فأي تزكية وأي عصمة هذه؟. هذا ولما كان ما كاشفه، ﷺ من ذلك الجبروت، وشاهده من عجائب الملكوت، لا تحيط به العبارات، ولا تستقل

(١) جواهر المعاني وبلوغ الأماني من فيض سيدي أبي العباس التيجاني بتصرف بسيط.

بمحمل سماع أذنيه العقول، رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الداله على التعظيم بقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] حيث لا مَلَكٌ مقربٌ، ولا نبيٌ مرسلٌ فلا أحد يدانيه أو يماثله، في هذا القرب الإلهي العظيم، انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى، وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى، وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي والإرشاد وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز، وقد دافع عنه بما اتهموه به بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]. أي: ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وليس بمتهم على قراءة ظنين.

قوله تعالى في سورة القلم: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى ﷺ بما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له، فآنسه وبسط أمله بقوله تعالى محسنا خطابه إليه: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] وهذه نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الأدب في المحاورة، ثم أعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع، لا يأخذه عدٌّ ولا يمُن به عليه فقال عز من قائل: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣]. ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك تتميماً للتمجيد بحرفيّ التأكيد فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قيل: الإسلام، وقيل: القرآن، وقيل: الطبع الكريم، وقيل: ليس لك هِمّةٌ إلا الله تعالى.

قال الواسطي: أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفُضّل بذلك على غيره، لأنه جَبَلَهُ على ذلك الخُلق، فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسره للخير والهدى إليه، ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه

سبحانه ما أغمر نواله وأوسع أفضاله ثم سلّاه عن قولهم بعد هذا بما وعدهم به من عقابهم وتوعدهم بقوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ [القلم: ٥].

ثم عطف بعد مدحه، ذم عدوه وذكر سوء خُلقه وعدّ معايبه، متولياً ذلك بفضله ومنتصراً لنبيه ﷺ، فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ إلى... أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ٨-١٥] ثم ختم ذلك الوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بَوارِه وسؤ منقلبه، بقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦]. فكانت نصرة الله له أتم وأكمل وأعظم من نصرته لنفسه، ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده عليه، وأثبت في ديوان مجده وعلاه.

قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١-٢].

قال الواسطي وغيره: أراد يا طاهر يا هادي، وقيل: هو أمر في الوطء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك، ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدمٍ واحدةٍ حيث نزلت الآيه، فيما كان النبي ﷺ يتكلفه من السهر والتعب والقيام جاء في الحديث عن الربيع عن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل واحدة ورفع الأخرى.

فأنزل الله تعالى: ﴿طه﴾ يعني طأ الارض يا محمد! ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾. ولا يخفى ما في هذا الخطاب، من الكرم وحسن المعاملة والتكليف بما في الوسع والطاقة والملاحظة، إذ لا نطلب منك فوق طاقتك وقدرتك فاكلف من العمل ما تطيق ولا تجاهد نفسك أكثر من مدى تحملك وطاقتك.

قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] ابتداء سورة مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ.

قال صاحب الشفا: إنّ بعض المتكلمين قال: إنّ الكاف من كافٍ أي كفاية الله تعالى لنبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦].

والهاء هدايته له ﷺ قال تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢].

والياء تأييده له ﷺ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ ﴾ [الأنفال: ٦٢].

والعين عصمته له ﷺ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧].

والصاد صلاته عليه ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فهو سبحانه الذي كفاه وهداه، وأيده بنصره وعصمه، وصلى عليه وملائكته، وأمرنا بذلك تكليفاً وتشريفاً. ومن هنا يتبين لنا أنه ﷺ كان معصوماً فلا ينطق إلا بحقٍ وما ينطق إلا عن وحي إلهي، وقد أُوتي جوامع الكلم!!!.

وإليك بعض الأمثله:

روى مسلم وغيره أن ضماداً بن ثعلبة الأزدي لما وفد على النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله».

قال له: أعد علي كلماتك هؤلاء، فلقد بلغن قاموس البحرهات يدك أُبايعك[1]

وذكر أبو عبيدة أن أعرابياً سمع رجلا يقرأ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤].

فسجد، وقال: «سجدت لفصاحته».

وسمع آخر رجلا يقرأ: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ﴾ [يوسف: ٨٠].

فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام.

---

(١) رواه مسلم (٨٦٨).

حكي أنّ ابن المقفع رام معارضته، وكان من أفصح أهل وقته، فمرّ بصبي يقرأ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤] فرجع فمحا ما عمل، وقال: أشهد أنّ هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر. حقاً إنه وحيٌ إلهيٌ لا قدرة للبشرعلى معارضته، جاء على لسان نبيه ﷺ.

وفي دلائل النبوة لأبي نُعيم:

ومن فضائله ﷺ أنْ فرض الله طاعته على العالَم فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء كما فرض طاعته تعالى فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

ولم يقل من طاعتي أو كتابي أو بأمري ووحيي بل فرض أمره ونهيه على الخلق طراً كفرض التنزيل لا يزاد في ذلك ولا يحاج ولا يناظر ولا يطلب منه بيّنَة، كما أخبر عن قوم موسى فقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [البقرة: ٥٦].

وقد جعل الله تعالى الاهتداء في طاعته فقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤].

وقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وجعل متابعته على محبة العبد له تعالى فقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١].

ثم وعد المتبعين له بمحبته إياهم وغفرانه لذنوبهم قوله: ﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١].

وتوعد المخالفين فقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقرن الايمان به بالايمان به آمراً تارة ومثنياً تارة أخرى في قوله:
﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ﴾ [الأعراف :١٥٨].

وقوله: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصف: ١١].

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾ [النور: ٦٢].

والكفر به بالكفر به في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٨٠].

وقوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

وطاعته بطاعته آمراً بها تارةً ومثنياً عليها تارةً أخرى في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقوله: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران :١٣٢].

وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله خطاب للزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين:
﴿وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء: ٦٩].

وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

وقوله: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [التوبة: ٧١].

ومعصيته بمعصيته في قوله: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء: ١٤].

وقوله: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وتكذيبه بتكذيبه في قوله: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ [التوبة: ٩٠].

وإذايته بإذايته في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

ومحاربته بمحاربته في قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

وقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣].

وقوله: ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [التوبة :١٠٧].

ومشاققته بمشاققته في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣].

ومحاددته بمحاددته في قوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ﴾ [التوبة: ٦٣].

وخيانته بخيانته في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

ونصحه بنصحه في قوله: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ [التوبة: ٩١].

ووعده بوعده في قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وصدقه بصدقه في قوله: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

والرد إليه بالرد إليه في قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وتحريمه بتحريمه في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٢٩].

وولايته بولايته في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥].

وعزته بعزته في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨٠].

وبيعته ببيعته في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

وإرضائه بإرضائه في قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

وإجابته بإجابته في قوله: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ثم إنه تعالى وحّدَ الضمير في قوله: ﴿دَعَاكُمۡ﴾ وقوله: ﴿أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

ليفيد أنهما شيء واحد، وأن الاستجابة للرسول والإرضاء له ﷺ، نفس الاستجابة لله تعالى والإرضاء له سبحانه وتعالى.

وقرن أيضاً رؤيته برؤيته في قوله: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [التوبة: ٩٤].

وقوله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة :١٠٥].

وإيتاءه بإيتائه في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التوبة: ٥٩].

وإنعامه بإنعامه في قوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وإغناءه بإغنائه في قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٤].

إلى غير ذلك من المواضع التي قرن تعالى فيها ذكره بذكره واسمه باسمه مُشَرِّكاً له معه في أمر ما كقوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١].

وقوله: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣].

وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١]. أي الغنائم.

وقوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [التوبة: ٢٤]. يعني يجعلانها حيث شاءا.

وقوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

جعل يد النبي ﷺ يده عَزَّوَجَلَّ بدون حرف الواو، وقد جعل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين يد النبي أعلى من أيديهم أدباً وتعظيماً، فانتبه.!! قرن اسمه باسمه في جميع هذه الأحكام والأحوال، وعطفه عليه بالواو المفيدة للتشريك تعظيما له وتشريفا وتنبيها على إقامته مقامه وخلافته المطلقة عنه وتعريفا بقدره ومنزلته. ولهذا نظائر في الكتاب والسنة يُنزل الحق تعالى فيها عبده ﷺ حالة قيام بعض الأوصاف والحالات به منزلة نفسه، ويضيف أوصافه وحالاته إليه حتى كأنها حالّة به وهو المنزه عن اتحاده بغيره أو حلوله به أو قيام أوصاف خلقه به تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإنما ذلك كله إشارة إلى مظهريته تعالى عن ذلك وتجليه في خلقه فيصير العبد مرآة لظهور ذاته تعالى وصفاته من غير اتحاد به ولا حلول فيه ولا تشبيه ولا تكييف ولا تغيير لذاته العلية عما هي عليه من التنزيه بل على حسب ما يليق به ويعلمه هو سبحانه، ومعلوم أنّ أكمل مظاهره تعالى وأعلاها على الإطلاق مظهريته ﷺ فهو المَظهرُ الأتمُ والمجلى الأعظمُ ﷺ(١).

وفي شعب الإيمان للشيخ عبد الجليل بن موسى القصري في الشعبة الموفية خمسين: وهو حبه ﷺ ما نصه:

فأما جمال شخصه الكريم الظاهر الذي هو جسده الطيب الطاهر، فإنّ الله خلق آدم وولده أجمعين على صورة حروف اسمه ﷺ، كي لا يرى

(١) الشيخ محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، جلاء القلوب من الأصداء الغينية، ص١٥٠-١٥٤ بتصرف.

البصر إلا اسمه ولذلك من أحب شيئاً لا يرى إلا صورته فجعل الميم الأولى من محمد ﷺ هي الرأس، وجعل الحاء من حروف اسمه ﷺ هي اليدان، وجعل الميم الثانية من اسمه ﷺ هي البطن، وجعل الدال هي الفخذان والساقان والقدمان، وعلى هذه الصورة صورة أهل الجنة رجالاً ونساءً وولداناً كي يرى اسمه في كل مكرّمٍ ومحبوبٍ ومعظّمٍ فيعم حبه في كل شيء برؤية اسمه ﷺ، وإنما خرجت البهائم والنباتات والآلات والمعادن والأثاث وسائر المخلوقات عن هذه الصورة المحمدية من أجل أنها مستخدمة مملوكة لبني آدم مخلوقة من أجله لا يستخدم اسم الحبيب ولا يبتذل ولا يمتهن.

ويقول: أنه لا يبقى على جمال صورة هذا الاسم الكريم المحمدي في الآخرة إلا أهل الجنة، وإنه لا يدخل النار من يدخله من الكفار والمخالفين أعاذنا الله تعالى من ذلك بفضله إلا بعد مسخه وتغيير خلقته الظاهرة وتشويه صورته إكراماً لصورة هذا الاسم الشريف ﷺ(١).

قال الشاعر:

مَدحتكَ آياتُ الكتابِ فما عسى ... يثني على علياك نَظمُ مديحي

وإذا كتاب الله أثنى مفصحاً ... كان القصورُ قصارَى كلّ فصيح!!

قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) جلاء القلوب من الأصداء الغينية، ص١٥٠-١٥٤ بتصرف.

إنّ هذا السبيل القويم والطريق المستقيم، هو المحجة البيضاء، والحنيفية السمحاء، شريعة خير الأنام، وطريقه المبعوث إلى الخواص والعوام، عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد انسد في الظاهر كل طريق غير طريقه، وانغلق في الباطن كل باب غير باب تحقيقه، فلا سبيل إلى نيل السعادة الكبرى إلا بوسيلته، ولا وصول للزلفة العليا إلا بواسطة فضيلته، وكل وليّ إنما يستمطر سحابها، ويستهل عبابها، وكل من ظن أنه يعرج بغير واسطته، فإنما صعوده هبوط في سجنه وشهواته، فعليكم التعلق بجنابه الرفيع، والتمسك بالعروة الوثقى من جاهه المنيع، مع دوام استحضار تلك الصورة الكاملة، التي هي لمعاني الوجود وكمالاته جامعة شاملة، حتى تفيض لكم الأسرار على الأرواح، والأرواح على القلوب، والقلوب على النفوس، والنفوس على الجوارح، من حُبِهِ شراباً معنوياً تنتعش به الأرواح والأشباح، مُذْهِباً مُعْدِمَاً أطلالكم والرسوم، فتذهبون ويكون ﷺ فيكم عوضاً منكم عنكم، لتنالوا حينئذ بقابلية حقيقته المشرفة بوجودكم، ما لم ينله كون من الأكوان في معرفة معبودكم لأن الله سبحانه وتعالى خص سيدنا محمد ﷺ بالتجليات الكاملة التي لم يقبلها قابلية أحد غيره لعجزهم وكماله ﷺ، فإذا أشرقت أرض وجدكم بنور شمسه الظاهرة، واستنشقت مشام أرواحكم من خزامى تلك الرياض المحمدية اليانعة النضرة، واستوت ذواتكم بنصيبها من قابليتة على بعض تلك المجالي، فأصبحت إلى ربها ناظرة، أوصلنا الله تعالى وإياكم إليه ودلنا جميعاً به عليه. آمين.

أخي الحبيب تالله لا يخفاك أن سيدنا ومولانا ونبيناأبا القاسم محمداً صلى الله عليه وسلم هو في كل وصف جميل أفضل الأنبياء والمرسلين ،

والملائكة المقربين ، وجميع عباد الله أجمعين ، وكافة الخلق أجمعين، أفراداً وإجمالاً أي أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من كل فرد منهم على حِدتهِ، وأفضل من مجموعهم إذا اجتمعوا، بمعنى أنّ جميع فضائلهم لو اجتمعت في كفة ميزان وفضائله في الكفة الأخرى لرجحت فضائلُه صلى الله تعالى عليه وسلم على فضائلهم ، فإذا علمت ذلك تعلم أن لا سبيل إلى معرفة فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم ومزاياه، معرفة تحيط بها من كل الوجوه ولو اجتمع لذلك كل من عداه، إذ لا يَعرفُ حقيقته ولا يُحيطُ بفضائله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا الله الخالق جل جلاله، وما زال جهابذة العلماء ومهرتهم يغوصون في لجج بحورها الزواخر، فيستخرجون منها روائع اللآلي وبدائع الجواهر، فمنهم من نَظَمها عقوداً زيَّن بها جيد الزمان، ومنهم من نثرها على بساط البسيطة فاستغنى بها أهل المعرفة والإيمان، ألّفوا فيها الكتب ودونوا الدواوين، وَرَوَوْا أخبارها عن كل صادق أمين، فمنهم من اختصر في تأليفه فأجاد، ومنهم من أطال فأطاب وأفاد، ومنهم من توسط وكان مذهبه حُسن الإقتصاد.(١) نفعنا الله بهم جميعاً، وهانحن ننهل من علومهم ومعارفهم وطيب كلامهم، نستلهم من فتات موائدهم ما نفهمه على قدرنا لا على قدرهم، فهم جهابذة الزمان والعلوم والمعارف والسنن، أئمة هدى ومنارات على الطريق ، نستضيء بنورهم وشموسهم العالية التي لا تغيب أبداً رحمهم الله جميعاً.

١ - الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية / للنبهاني رحمه الله تعالى .

فاحرص أخي الحبيب أن تكون من أهل السّنة الغراء، فهم الغرباء في هذا الزمن وقبل هذا الزمن ، تتفاوت غربتهم من وقت لأخر، وذنبهم أنهم جعلوا القرآن والسّنة قائدهم ودليلهم ، وتبعوا آثار الصحابة الكرام حذو القذة بالقذة ، يسيرون مع الدليل حيث سار، وينيخون مطاياهم لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وما صح عنه من أخبار، فيتبعون ولا يبتدعون، ويقتدون ولا يقلدون، فكان هذا سبب غربتهم ووحشة الناس منهم .

قال سفيان الثوري ليوسف بن أسباط رحمم الله تعالى : (يايوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنّة، فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن رجل بالمغرب أنه صاحب سنّة، فابعث إليه بالسلام ، فقد قلّ أهل السنة والجماعة) .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:(استوصوا بأهل السنّة خيراً،فإنهم غرباء) .

قال محمد بن شهاب الزهري رحمه الله تعالى : (الاعتصام بالسنّة نجاةٌ) .

واعلم أنّ العمل بالعلم أبلغ من القول بلا عمل ، فدعوة الحال تغني عن المقال ، جاء عن المأمون أنه قال :" نحن إلى أنْ نوعظ بالأعمال أحوج من أن نوعظ بالأقوال ".[١] ولذا قالوا حال رجل في ألف رجل خير من مقالة ألف رجل لرجل، لأن الذي يعمل ويواظب على العمل بجد واجتهاد فهذا بحد ذاته أكبر دعوة ، ويكون بذلك للناس أسوة وقدوة حسنة .

[١] - جامع بيان العلم (١٢٣٦).

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن رجل يكتب الحديث فيكثر، قال :" ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب". ثم قال:" سبل العلم مثل سبل المال، إنّ المال إذا ازداد ازدادت زكاته". [1]

قال الخطيب :" كما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها، كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها، وراعى واجباتها، فلينظر امروء لنفسه، وليغتنم وقته، فإن المثوى قليل،والرحيل قريب،والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم ، والناقد بصير، والله تعالى بالمرصاد ، وإليه المرجع والمعاد. [2]

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: "أنزل القرآن ليعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملا". يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به. [3]

والحمد لله رب العالمين

❑ ❑ ❑

[1] - رواه الخطيب في الاقتضاء (١٢)
[2] - المصدر السابق(٢٠).
[3] - تلبيس إبليس لإبن الجوزي ص١٣٧ .

من الأحاديث الدالة على فضائل سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه»(١).

٢- عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّ الله اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كِنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(٢).

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»(٣).

٤- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»(٤).

٥- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خادم رسول الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة(٥).

٦- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمّدٌ، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحدٍ قبلك»(٦).

---

(١) رواه البخاري برقم٣٥٥٧.
(٢) رواه مسلم برقم (٢٢٧٦)،والترمذي(٣٦١٥).
(٣) رواه مسلم برقم (٢٢٧٨).
(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٦٢٤).
(٥) رواه مسلم برقم(١٩٦).
(٦) رواه مسلم برقم(١٩٧).

٧- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة لم يُصدّق نبي من الأنبياء ما صُدّقت، وإنّ من الأنبياء نبياً ما صدّقه من أمته إلا رجلٌ واحدٌ»(١).

٨- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلي ومَثَل الأنبياء كمثل قصرٍ أُحسن بنيانه تُرك منه موضع لبنة، فطاف به النظار، يتعجبون من حسن بنيانه، إلا موضع تلك اللبنة فكنت أنا سددت موضع اللبنة، خُتم بي البنيان وخُتم بي الرسل». وفي رواية: «فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»(٢).

٩- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحى الله إليّ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»(٣).

١٠- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيتُ خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي: نصرتُ بالرعبِ مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلي، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثتُ إلى الناس عامةً»(٤).

١١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «فُضّلت على الأنبياء بستٍ: أعطيتُ جوامع الكلم، ونُصرتُ بالرعب، وأحلتْ ليَ الغنائم، وجُعلتْ ليَ الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون»(٥).

---

(١) رواه مسلم(١٩٦).
(٢) متفق عليه، والترمذي(٣٦٢٢).
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه مسلم(٥٢٣).

١٢ – عن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زُويّ لي منها، وأعطيتُ الكنزين: الأحمر والأبيض، وإنّي سألتُ ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإنّ ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنّه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنةٍ عامةٍ، وأن لا أسلط عليهم عدواً سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو إجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً»[١].

١٣ – عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنّه قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجباً أن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلّمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج عليهم فسلّم وقال ﷺ: «سمعت كلامكم وعجبَكُم أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وهو كذلك، وموسى كلمه الله تكليماً وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله تعالى وهوكذلك، وأنا حبيبُ الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافعٍ وأول مشفعٍ ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ولا فخر، فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين من أمتي، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»[٢]. صدق رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه مسلم(٢٨٨٩).

(٢) رواه الترمذي برقم(٣٦٢٥)، والدارمي في سننه، باب ما أعطي النبي ﷺ برقم ٤٧.

أخي الحبيب:

اعلم أنّ هذا الحديث جامعٌ مصرّحٌ بكماله وأفضليته على كل الكملاء والفضلاء، صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين، وقد مضى بيان بعض علوّ مكانته ﷺ. ولقد شهدته الأنبياء والمرسلون صلوات الله تعالى عليه وعليهم قبل ظهوره بأنه صاحب كمالاتهم في ترقياتهم، وعلموا علوّ شأنه عليهم في عظيم مكانتهم، واستمد الجميع به في ذواتهم، وفي ذلك الإشارة في إمامته بهم، فهو إمام الأنبياء والمرسلين، وقدوة الأولياء الوارثين، صورةً ومعنىً، صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين.

فسترى كلماتٌ متنوعة،وآثارٌمنتقاة، وأخبارٌ مصطفاة،وقصصٌ مؤثرة، وصورٌ حية ناطقة، جعلناها للمهاجرين إلى رب العالمين زاداً، وللسالكين طريق سيد المرسلين مؤنساً ومرشداً ودليلاً، فإن وجدت أخي الحبيب خللاً فسدّه وسدده، وإن كان عندك من نصح وإرشاد فهاتِهِ ولا تضنن به، فالمؤمن كثيرٌ بإخوانه ، والله يتولى هدانا وإياك والمسلمين أجمعين.

نريد أن نكون جميعاً كهؤلاء اتقياء انقياء، طاهرين مطهرين، متحلين متخلين متزكين، صديقين طائعين، بواطننا كظواهرنا بل أجلى، وسرائرنا كعلانيتنا بل أحلى،وهممنا عند الثريا بل أعلى،سائرين على خطى الحبيب الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم شاربين من نبعه الرقراق الصافي العذب الكتاب والسنة المطهرة النقية .

كرّر عليّ حديثهم ياحادي   فحديثُهُم يجلو الفؤادَ الصّادي

❑ ❑ ❑

زيارة الحبيب الأعظم ﷺ

واعلم أخي الحبيب أنّ زيارة النبي ﷺ من أفضل الأعمال ـ رزقنا الله تعالى وإياكم زيارته في كل عام ـ في رأي الإمام ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، إذ يقول الشيخ ابن القيم في قصيدته المشهورة بالنونية:

فـــإذا أتينـــا المـــسجد النبـــوي صـــلينا التحيـــة أولا ثنتـــان
بتمـــام أركـــانٍ لهـــا وخـــشوعها وحضور قلبٍ فعل ذي الإحسان
ثــم انثنينــا للزيــارة نقــصد القــبر الــشريف ولــو علــى الأجفــان
فنقــوم دون القــبر وقفــة خاضــع متـــذلل في الـــسر والإعـــلان
فكأنـــه في القـــبر حـــيٌ نـــاطقٌ فـــالواقفون نـــواكس الأذقـــان
مَلَكَــتهمُ تلــك المهابــة فــاعترت تلــك القــوائم كثــرة الرجفــان
وتفجــرت تلــك العيــون بمائهــا ولطالمــا غاضــت علــى الأزمــان
وأتـــى المـــسَلّم بالـــسلام بهيبـــة ووقـــار ذي علـــم وذي إيمـــان
لــم يرفــع الأصــوات حــول ضــريحه كــلا ولــم يــسجد علــى الأذقــان
كـــلا ولـــم يـــر طائفـــاً بـــالقبر أســبوعاً كــأن القــبر بيــت ثــان
ثـــم انثنـــى بدعائـــه متوجهـــاً لله نحـــو البيـــت ذي الأركـــان
هــذي زيــارة مــن غــدا متمــسكاً بـــشريعة الإســـلام والإيمـــان
مـن أفـضل الأعمـال هاتيـك الزيـارة وهـــي يـــوم الحـشر في الميـــزان

وإليك أخي الحبيب قصيدة الحجرة النبوية الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام، أنشأ هذه القصيدة العصماء السلطان عبد الحميد خان بن

السلطان أحمد خان عام ١١٩١هـ فاستحقت بإخلاص ناظمها وحبه الصادق لسيدنا رسول الله ﷺ، أن تنقش على الحجرة النبوية الشريفة وقد استخرجت من كتاب تركي قديم هو: «مرآة الحرمين» لأيوب صبري باشا.

يا سيّدي يا رسول الله خذ بيدي ... ما لي سواك ولا ألوي على أحد
فأنت نور الهدى في كل كائنة ... وأنت سر الندى ياخير معتمد
وأنت حقاً شفيع الخلق أجمعهم ... وأنت هادي الورى لله ذي المدد
يا من يقوم مقام الحمد منفرداً ... للواحد الفرد لم يولد ولم يلد
ياامن تفجرت الأنهار نابعة ... من إصبعيه فروى الجيش ذي العدد
إني إذا سامني ضيمٌ يروعني ... أقول ياسيد السادات يا سندي
كن لي شفيعاً إلى الرحمن من زللي ... وامنن علي بما لا كان في خلدي
وانظر بعين الرضا لي دائما أبداً ... واستر بفضلك تقصيري مدى الأمد
واعطف عليّ بعفو منك يشملني ... فإنني عنك يا مولاي لم أحد
إني توسلت بالمختار أشرف من ... رقى السماوات سر الواحد الأحد
ربّ الجمال تعالى الله خالقه ... فمثله في جميع الخلق لم أجد
خير الخلائق أعلى المرسلين ذُرىً ... ذخر الأنام وهاديهم إلى الرشد
به التجأت لعل الله يغفر لي ... هذا الذي هو في ظني ومعتقدي
فمدحه لم يزل دأبي مدى عمري ... وحبه عند رب العرش مستند
عليه أزكى صلاة لم تزل أبداً ... مع السلام بلا حصر ولا عدد
والآل والصحب أهل المجد قاطبة ... بحر السماح وأهل الجود والمدد

يا رسول الله عذرا

يـــا رســـولَ اللهِ عُـــذراً   لــن يطــولَ الليــلُ دهـــرا
إنَّمـــا الليـــلُ قـــصيرٌ   ويعــودُ الفجــرُ فَجــرا
كيـــف للقاصـــر عقـــلاً   أنْ يــرى للــشمس قــدرا
لـــيس للجاهـــل عـــذرٌ   إنْ أرادَ الجهـــلَ عُـــذرا
فـــشعاعُ الـــشمس ينبـــي   مــا ســرى في الأفــق قهــرا
قبــل خلــق الخلــق كنــتم   للـــورى نـــورا وذخـــرا
مـــن يـــضاهي البــدرَ لمّــا   يعتلـــي في الأفـــق بـــدرا
أو يجـــاري الـــشمس إمَّـــا   ترســـلُ الأنـــوارَ سِـــحْرا
أو يحـــاكي المـــزن لمّـــا   تنـــشر الأمـــدادَ بُـــشرى
فَعَطِيـــرُ الزهـــر مـــنكم   كـي يـضوعَ الزهـرُ عِطـرا
لــن يحــوطَ المــدحَ شــعرٌ   لـــو نثـــرتَ الـــشعرَ درّا
أو يطيـــقَ الوصـــفَ نثـــرٌ   لـــو كـــسوتَ النثـــرَ تـــبرا
ذاتـــهُ للنـــور نـــورٌ   وبـــذات الـــذات أســـرى
لا زمانـــاً لا مكانـــاً   لا حجابـــاً لـــيس ســـترا
حيـثُ صـار القـربُ قربـاً   ولطيـــف العـــزِّ جهـــرا
عـــينُ عـــينِ الرحمـــةِ   المهـداة بـالرحموتِ طهـرا
فبـــه للـــشم أرســـى   وبـــه للمـــاء أجـــرى

فتـــسامى الدهـــــرُ تيهـــاً   وفـــــمُ الآلاء شــــــكرا
لـــــم يكـــــن للخلـــقِ إلا   رحمـــةً قـــد جـــاء بِـــشرا

للشاعر والأديب الأخ الفاضل
محمد عبد الله أبو عواد

والحمد لله رب العالمين

❑ ❑ ❑

وجوب محبة النبي ﷺ

إنّ محبة النبي ﷺ من أعظم الواجبات في الدين، ومن أعظم الحقوق الواجبة علينا تجاهه ﷺ ، ولا ريب أن أسباب المحبة ترجع إلى أنواع الجمال والكمال والنوال ، فهو عليه الصلاة والسلام مجمع صفات الكمال ومحاسن الخصال ، قد أبدع الله صورته العظيمة ، وهيئته الكريمة ، وطوى فيها أنواع الحسن والبهاء، بحيث يقول مَن نعته : لم يُرَ قبله ولا بعده مثله .

ولذلك كان من الواجب على المكلف أن يتعرف إلى جمال هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ومحاسنه الخلقية ، وكمالاته النفسية والروحية ، والقلبية والعقلية والعلمية ، وذلك لينال مقام محبته الصادقة ، لأن المعرفة هي سبب المحبة ، فكلما زادت المعرفة بمحاسن المحبوب ، زادت المحبة له .وعلى هذا دل القران الكريم والسنة المطهرة، وإليك أخي الحبيب بعض هذه الأدلة:

١- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤] دلت هذه الآية على وجوب محبة النبي ﷺ، وليس كذلك فقط، بل يجب أن تكون هذه المحبة مقدمة على كل محبوب، كالأب والابن والأخ... الخ.

وتوعد عباده بالعذاب والعقاب، وحكم عليهم بالفسق إنْ آثروا هذه الأشياء على الله ورسوله ﷺ.

قال القاضي عياض: «كفى بهذه الآية حظاً وتنبيهاً ودلالةً وحجةً، على لزوم محبته، ووجوب فرضها واستحقاقه لها ﷺ؛ إذ قرّع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده، أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم، بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤] ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل، ولم يهده الله».

٢- روى البخاري: من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: للنبي ﷺ: «يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شي إلا من نفسي».

فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: «فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي!».

فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»(١).

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ، قال: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»(٢).

٤- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»(٣).

٥- عن أنس عن النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٦٣٢).

(٢) رواه البخاري (١٤).

(٣) رواه مسلم (٦٩).

(٤) رواه البخاري (١٦) واللفظ له، ومسلم (٤٣).

٦- عن أنس بن مالك قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حبّ اللهِ ورسولِهِ قال فإنّك معَ مَن أحبَبتَ»(١).

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام، فرحا أشدّ من قول النبي ﷺ: «فإنّك مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحبّ الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم. هذه الأحاديث وغيرها، تدل على وجوب محبة النبي ﷺ، وعظمها في الدين، ولهذا كان صحابة رسول الله ﷺ، من أشد الناس حباً له، ﷺ، فعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عيني منه وما كنت أطيق أن املأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن املأ عيني منه».

وسئل علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: «كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ».

والمطالع في كتب السير يجد صوراً كثيرةً رائعةً تدل على مدى حب الصحابة له ﷺ وإيثارهم له وتقديم أرواحهم رخيصةً فداءً له.

فتأمل أخي الحبيب!!جعلنا الله وإياك، من أحباب هذا النبي الكريم، كيف أقسم وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، ليؤكد لنا وجوب محبته، ﷺ، حيث قال لعمر: «لا والذي نفسي بيده».

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٩).

فأعظم صورة، وأجلى مَظهر ظهرت فيه تلك الحقيقه الحبية، لله تعالى ولرسوله، ﷺ هم أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

فقد ضربوا لنا أروع الامثلة، في حبهم وبذلهم الغالي والنفيس، بحب هذا النبي المكرم ﷺ، وأن رغبتهم بنفسه الطاهره الزكيه، مقدمة على رغبتهم بأنفسهم، وحبهم لنفسه الزكيه، أعظم من حبهم لأنفسهم، كما دلت على ذلك الوقائع والشواهد، التي شهدت لهم بذلك، كأنها ماثلة أمامنا حتى هذه اللحظة، بصدقهم وفنائهم ومحبتهم وفدائهم، له ﷺ.

فقد روى أصحاب السير والبيهقي عن عروة قال: لما أخرج المشركون، زيد بن الدثنه، من مكه ليقتلوه في التنعيم، وقد اجتمع بالطريق خبيب وزيد، فتواصيا بالصبر والثبات، قال أبوسفيان بن حرب، لزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنشدك بالله! أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك، وتضرب عنقه، وأنت في أهلك.

فقال له زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: والله ما أحب أن محمداً الأن في مكانه الذي هو فيه، تصيبه شوكه، وأني جالس في أهلي.! فقال أبو سفيان: ما رايت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً. قال الحافظ الزرقاني وفي رواية: أنهم ناشدوا بذلك خبيبا فقال: «والله ما أُحب أن يفديني رسول الله بشوكة في قدمه».

هكذا الحب وإلا فلا ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأرضاهم، وألحقنا بهم خير خلف لخير سلف، آمين.

جاء في المسند عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أ نّ أبا طلحة، كان يرمي بين يدي النبي يوم أحد، والنبي خلفه يتترس به، وكان رامياً، وكان إذا رمى، رفع النبي

شخصه ينظر أين يقع سهمه؟ ويرفع أبو طلحة صدره، ويقول: هكذا بأبي أنت وأُمي يا رسول الله! لا يصيبك سهم نحري دون نحرك».

وكان أبو طلحة يسوّر نفسه أي: يجعل نفسه سوراً بين يدي رسول الله تعالى ﷺ[1].

روى البيهقي وابن إسحاق وحكاه صاحب الشفا وغيره: أن امرأة من الأنصار، قد قُتل أبوها وأخوها وزوجها، شهداء يوم أُحد مع رسول الله ﷺ، فقالت لما أخبرت بذلك: ما فعل رسول الله ﷺ؟.

قالوا: خيراً بحمد الله كما تحبين.!!فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل ، أي هينة حقيرة بعد سلامتك ورؤيتك.

وانظر أخي في الله: لما احتضر بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نادت امرأته «واحزناه!» فقال لها: واطرباه!! غداً ألقى الأحبه محمداً وصحبه.!!

الله أكبر! ما أجمل وأعظم هذا المشهد من أصحاب رسول الله ﷺ خريجي هذه المدرسة المحمدية الربانية، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

لطيفه: ـ رُبّ قائل يقول: ما الفائدة المرجوة من حبنا له، فحبنا لا يزيده منزلةً ورفعةً ولا ينقصه مكانةً وشرفاً، لأنهُ حبيبُ ربِ العالمين، ومحبةً الله له تكفيه ﷺ؟

أقول وبالله التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق: إن محبتة ﷺ، عائدة بفضلها على المحب، لأن في محبته واتباعه محبة لله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ

(١) رواه البخاري (٤٠٦٤)، ومسلم (١٨١١).

رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، فالمحبة وغفران الذنوب، عائدة على مَن أحبه، فهو يسعد بذلك في الدنيا والاخرة، واول ثمرات هذا الحب، أن يحصل المحب على حلاوة الإيمان، التي تباشر القلوب، النقية الطاهرة. كما في الحديث السابق رقم (٥).

وما أشرفها من ثمرة وأكرمها وأعظمها وأجلها.

اللهم لا تحرمنا والمسلمين منها، آمين يا رب العالمين.

ومعنى حلاوة الإيمان ـ كما ذكر العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ـ: هو استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على متاع الدنيا، وأغراضها الزائلة الفانية(١).

مَن أحب النبي ﷺ، سيكون معه في الآخرة، فقد روى الإمام مسلم، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعه؟! قال: «وما أعددت لها؟» قال: حب الله ورسوله.

قال: «فانّك مع من أحببت»(٢) فقال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فأنا أُحب الله ورسوله، وأبا بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم. وقد مر الحديث آنفا.

وفي حديث آخر رواه الشيخان: عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»(٣).

---

(١) فتح الباري.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠).

والمراد بقوله ﷺ: «المرء مع من أحب» أي في الجنة. كما فسره العلماء[1].

الله اكبر!! ما أجل وأعظم جزاء من أحب النبي الكريم ﷺ.

يقول القاضي عياض صاحب كتاب الشفا: ومن محبته ﷺ، نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه[2].

ويقول العلامه العيني: واعلم أن محبة الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إرادة طاعته، وترك مخالفته، وهي من واجبات الإسلام[3].

نستنبط مما ذكر أن علامات حبه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تتلخص فيما يلي:

١ - تمني رؤيته وصحبته وتقديمها على كل مرغوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٢ - نصر سنته والذب عن شريعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٣ - امتثال أوامره واجتناب نواهيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٤ - بذل النفس والمال دونه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

٥ - كثرة ذكرة والصلاة والسلام عليه تنفيذاً لأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن توفرت فيه هذه العلامات، فليحمد الله عَزَّوَجَلَّ، على حُبِّه للحبيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويسأل الله الثبات على ذلك، ومن فقدها أو بعضها، فليحاسب نفسه قبل أن يُحاسب، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. وسأتكلم عن كل واحدة بمفردها بعون الله تعالى.

❑ ❑ ❑

---

(١) عمدة القاري للعيني ٢٢/ ١٩٧.

(٢) شرح النووي ٢/ ١٦.

(٣) عمدة القاري ١/ ١٤٤.

العلامة الأولى

تمني رؤيته وصحبته وتقديمها على كل مرغوب

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

١ - انظر أخي الحبيب، كيف بكى الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فرحاً عندما أدرك الصحبة في الهجرة. فقد روى البخاري عن عائشة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في نحر الظهيرة! قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعه إلا أمر!!. قالت: فجاء رسول الله ﷺ، فاستأذن، فأذن له فدخل.

فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج مَنْ عِنْدَكَ»!!.

فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله!.

قال: «فإني قد أُذن لي في الخروج».

فقال أبو بكر: الصحابة (أي المصاحبة بأبي أنت يا رسول الله!).

قال رسول الله ﷺ: «نعم»[1].

يقول الحافظ ابن حجر: زاد ابن إسحاق في روايته قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب، أن أحداً يبكي من الفرح»[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٢) فتح الباري ٧/ ٢٣٥، وسيرة ابن هشام ٢/ ٩٣.

وهنا تذكرت قول الشاعر:

فاض الغرام عليّ حتى أنّه ... من فرط ما قد سرّني أبكاني
إنَّ الغرام إذا تمكن بامرئٍ ... أبكاه مثل تزايدِ الأحزان

وها هو الصديق يقول للنبي ﷺ لما انتهيا إلى الغار: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار فدخل فاستبرأه، ثم قال: إنزل يا رسول الله. فنزل رسول الله ﷺ(١).

أخي الحبيب... لم يكن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بغافل عن الأخطار والمخاوف التي تحف هذا السفر، لكنها لم تؤثر فيه ولم تقلل من رغبته في الصحبه، فما أن سمع بالموافقة على طلبه حتى بكى فرحاً بنيل هذه السعادة دنيا وبرزخ وآخرة.

٢- فرح الأنصار بمقدمه ﷺ عندما سمعوا بهجرته اليهم.

قد حفظت لنا كتب السنة والسيرة، ما يصور لنا شوق الأنصار إلى استقباله، لما سمعوا بهجرته وسرورهم بوصوله إلى ديارهم، فيروي لنا البخاري عن عروه بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كيفية خروجهم وانتظارهم للحبيب الأعظم ﷺ بالحرّة حيث روى: «سمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرّة فينتظرونه حتى يردهم حَرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما طال انتظارهم فلما آووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدّكم الذي

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٨٠، ودلائل النبوة للبيهقي، وكنز العمال للمتقي الهندي ٨/ ٣٣٥.

تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ، بظهر الحرّة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف»[1].

وفي رواية ابن سعد: «فإذا أحرقتهم الشمس رجعوا إلى منازلهم»[2].

وفي رواية الحاكم: «فينتظرونه حتى يؤذيهم حرّ الظهيرة»[3].

الله أكبر... كم كان حبهم وشوقهم وتعظيمهم لهذا الحبيب، يخرجون في كل صباح إلى الحرّة منتظرين قدومه ويجلسون حتى تشتد عليهم حرارة الشمس فيعودون لبيوتهم وانت تعلم أخي الحبيب شدة الحرارة في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

ويحدثنا البخاري أيضاً عن كيفية استقباله ﷺ من قِبل الأنصار بالمدينة. فقد روي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرّة، ثم بعث إلى الأنصار، فجاءوا إلى نبي الله ﷺ وأبي بكر فسلموا عليهما، وقالوا: «اركبا آمنين مطاعين». فركب نبي الله ﷺ، وأبو بكر، وحفوا دونهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبي الله! جاء نبي الله! ﷺ. فأشرفوا ينظرون ويقولون: «جاء نبي الله ﷺ».

فأقبل يسير حتى نزل جانب دارأبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4].

ويحدثنا أحمد بن حنبل عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عدد الأنصار المستقبلين كانوا خمسمائه من الأنصار قائلين: «انطلقا آمنين مطاعين».

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٣٣.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ١١.

(٤) رواه البخاري (٣٩١١).

ويخبرنا الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائلاً: «ومضى رسول الله ﷺ، وأنا معه، حتى قدمنا المدينة، فتلقاه الناس، فخرجوا في الطرق، وعلى الأجاجير ـ السطوح ـ فاحتشد الخدم والصبيان، في الطرق، يقولون: الله أكبر!! جاء رسول الله ﷺ، جاء محمد ﷺ».

ويصف الصحابة فرح أهل المدينه بمقدم الحبيب إليهم وفرحهم بهذا اليوم المبارك فيقول البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ»(١).

ويقول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فما رأيت يوما قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ وابو بكر المدينه»(٢).

٣- سؤال ربيعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرافقة النبي ﷺ في الجنه.

هذا المحب الصادق الصحابي الجليل ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأل رسول الله ﷺ مرافقته في الجنه حيث يقول عن نفسه: «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوَضُوئه وحاجته. فقال لي: «سلْ» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: أو غير ذلك؟ قلت: هو ذاك.

قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود»(٣).

فهذا المحب الصادق حينما وجد فرصة لم يتردد في أن يسأل النبي ﷺ مرافقته في الجنة ولم يخطر بباله أي شيء آخر رغم أن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ يكرر عليه السؤال.

---

(١) رواه البخاري (٣٩٢٥).
(٢) رواه أحمد، الفتح الرباني (١٥٢).
(٣) رواه مسلم (٤٨٩).

٤- في عزوة حنين، خُيّر الأنصارُ، بين مرافقته ﷺ، وبين الشاة والبعير من الغنائم، فرضوا أن يذهب الناس بمتاع الدنيا الزائلة الفانية، ويذهبون هم بصحبة النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فقد روى البخاري عن عبدالله بن زيد بن عاصم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لما أفاء الله على رسوله، ﷺ، يوم حنين، قسّمَ بين الناس والمؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا، اذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضُلالاً، فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين، فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي».

كلما قال شيئاً قالوا: «الله ورسوله أَمَنُّ».

وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقالوا: ماذا نجيبك يا رسول الله؟ ولله ولرسوله المنُّ والفضلُ.

قال: «لو شئتم قلتم»: «جئتنا كذا وكذا»[١].

وفي حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أحمد: «أفلا تقولون جئتنا خائفا فآمناك، وطريدا فآويناك، ومخذولا فنصرناك؟». «ألا ترضون أن يذهب الناس، بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً، لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، وإنّكم ستلقون بعدي أثرة! فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[٢]وزاد في حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصاروأبناء أبناء الأنصار».

---

(١) فتح الباري ٨/ ٥١.

(٢) رواه البخاري (٤٣٣٠).

قال: فبكى القوم حتى أخضَلوا لحاهم. وقالوا: «رضينا برسول الله ﷺ قِسْما وحظا»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «شرح لهم ﷺ، ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع، فرجعوا مذعنين، ورأوا أن الغنيمة العظمى، ما حصل لهم من عودة رسول الله ﷺ إلى بلادهم، فسلوا عن الشاة والبعير، والسبايا من الأنثى والصغير، بما حازوه من الفوز العظيم، ومجاورة النبي الكريم ﷺ حياً وميتاً»[2].

٥- روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله».

قال: فبكى أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فعجبنا لبكائه، أن يخبر رسول الله ﷺ، عن عبد خُيّر، فكان رسول الله ﷺ، المُخَيّر!

وكان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أعلمنا[3].

فقد فَهِمَ دون غيره من الصحابة الكرام أن أجل النبي قد اقترب فلم يتمالك نفسه فبدأ يبكي»، وزاد بعضهم في رواية أنه قال: «نفديك بآبائنا وأُمهاتنا وأبنائنا»[4].

٦- روى أحمد في مسنده عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من على هذا المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ في هذا اليوم من عام الأول، ثم استعبر أبو بكر وبكى. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم تؤتوا شيئاً بعد كلمة الإخلاص مثل العافيه فسألوا الله العافيه»[5].

---

(١) فتح الباري ٨/ ٥٢.
(٢) المرجع السابق ٨/ ٤٩.
(٣) رواه البخاري (٣٦٥٤).
(٤) مجمع الزوائد كتاب المناقب ٩/ ٤٢.
(٥) رواه أحمد (١٠)، وصححه أحمد شاكر.

وفي رواية أُخرى فخنقته العبره ثلاث مرات ثم قال الحديث.

٧- روى أحمد في مسنده عن عائشة أُم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حضرته الوفاة قال: «أي يوم هذا؟».

قالوا: «يوم الإثنين» قال: «فان مت من ليلتي، فلا تنتظروا بي الغد، فان أحب الأيام والليالي إليَّ، أقربها من رسول الله ﷺ»(١).

الله اكبر!! حب الليالي والأيام، يقدّر من حيث قربها، من رسول الله ﷺ، حتى في الموت والانتقال إلى الآخرة. ما أعظمكم؟؟!!.

٨- روى البخاري عن عمرو بن ميمون أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يا عبد الله بن عمر! انطلق إلى عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست والله للمؤمنين أميراً. وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فسلّمَ واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أُريده لنفسي، ولأوثرنه به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أميرالمؤمنين، أذنت. قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم لي من ذلك. قال: فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سَلّمْ، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فادخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٤٥)، وصححه أحمد شاكر.

(٢) رواه البخاري (٣٧٠٠).

الله أكبر!! الله أكبر!! ما هذا الأدب الرفيع من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يجود بأنفاسه بعد طعنه مرتحلا إلى دار الخلود، فكان أهم ما لديه أن يدفن بجوار حبيبه وصاحبه ﷺ.

هكذا حبّ الصحابة للنبي المكرم ﷺ، فهل نحن كذلك؟؟.

حقا لقد كانوا صادقين في محبتهم له ﷺ، وفي شوقهم إلى رؤيته، وحرصهم على صحبته، وسرورهم بالنظر إليه، وفرحهم بمرافقته، وطلبهم ذلك في الدنيا والآخرة واختيارهم صحبته، على كل غالٍ ونفيس، وخشيتهم من فقدانه، وبكائهم على فراقه، فأين نحن من ذلك اليوم؟؟؟!!!.

٩- روى الطبراني عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وابن مردويه عن بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنّ رجلاً هو ثوبان أو عبد الله بن زيد ـ صاحب قصة الأذان ـ أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لأنت ـ أي: والله لأنت ـ أحب إليّ من أهلي ومالي، وإنّي لأذكرك فما أصبر حتى أجيء إليك ـ أي: فيطمئن قلبي وتقر عيني ـ، وإنّي ذكرت موتي وموتك، فعرفت أنك إذا دخلتَ الجنة رُفِعْتَ مع النبيين، وإن دخلتُها لا أراك ـ أي: لأنك في مقام لا يصل إليه غيرك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩][(١)].

فدعا به النبي ﷺ فقرأ عليه الآية.

فكان أصحاب النبي ﷺ، لا تطيب نفوسهم، ولا تقر أعينهم إلا بمشاهدته، حباً فيه، وايماناً به، وتصديقاً له، ﷺ.

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية.

العلامة الثانية

نصر سنته والذب عن شريعته ﷺ

إنّ المحب الصادق ليبذل نفسه وماله وما ملكت يمينه وأوقاته وطاقاته لحبيبه في سبيل رضاه ومرضاته. ولقد بذل الحبيب المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، جميع ما وهبه الله تعالى من طاقات وقدرات ومال ونفس وجاه، في سبيل الله والدعوة إليه، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبودية العباد إلى عبادة رب العباد الواحد الأحد الفرد الصمد... وجاهد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الله حق جهاده، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وقاتل حتى لا تكون فتنه ويكون الدين كله لله تعالى. فكُسرت رباعيته وشُجّ وجهه الشريف، ﷺ فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً ورسولاً عن أُمته ورسالته.

والذين أحبوه ﷺ، يتأسون به ويقتدون بهديه سائرين على خطاه مطبقين لسنته، ويبذلون الغالي والنفيس للغاية التي سنها لهم الحبيب ﷺ، وإليك بعض مواقف أولئك الأبرار المتقين الأخيار، التي هزت العالم وفتحت مشارق الأرض ومغاربها. فهذا عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول للمقوقس: مبينا حرص المسلمين الصادقين المحبين لرسول الله ﷺ على بذل نفوسهم وأرواحهم في سبيل الله. «وما منا رجل إلا وهو يدعوا ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة، وألا يرده إلى بلده ولا الى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منا هم فيما خلفه، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده، وإنما همنا ما أمامنا»(١).

---

(١) فتح مصر وأخبارها، ص٥٤.

الله أكبر!! ما أعظم جهادهم وحبهم لدينهم ولرسولهم ﷺ، وإليك التفاصيل حسب الوقائع والتاريخ الذي سطروه لنا بدمائهم الزكية الطاهرة.

١- في معركة أُحد، انكشف المسلمون بعد نزول الرماة عن الجبل، وحدث اضطراب بين المسلمين، وشاع نبأ أن رسول الله ﷺ، قد قتل فتأثر الصحابه لهذه الإشاعه، وتركوا القتال، متأثرين بهذا الخبر المفجع، فانتهى إليهم أنس بن النضر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فخاطبهم بقوله: «ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ». قال: «فماذا تصنعون بالحياة بعده؟».

«قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ»[1].

يحدثنا البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون قال: أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء» - يعني الصحابه -. «وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين -.

ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «يا سعد بن معاذ! الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أُحد». قال سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فما استطعت يا رسول الله ما صنع». أي أنه لم يفعل فعله.

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مَثّلَ به المشركون فما عرفه أحد إلا أُخته ببنانه». ثم قال: «كنا نرى أو نظن أن هذه الآيه نزلت فيه وفي أشباهه».

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَـهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣][2].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٠، وسيرة ابن حبان البستي (٢٢٥).

(٢) رواه البخاري (٢٨٠٥).

٢- البخاري عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أن النبي ﷺ بعث خاله - أخ لأم سليم - في سبعين راكباً فا نطلق حرام - أخو أم سليم - هو ورجل أعرج ورجل من بني فلان» قال حرام: «كونا قريباً حتى آتيهم فإن آمنوني كنتم قريباً مني وإن قتلوني أتيتم أصحابكم».

فقال: «أتأمنوني أن أُبلغ رسالة رسول الله ﷺ؟».

فجعل يحدثهم فأومؤوا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه.

قال: «الله أكبر فزت ورب الكعبه!»[١].

هذا محب صادق، من أصحاب رسول الله ﷺ، ذهب يبلغ رسالة الرسول الكريم، إلى أهل بئر معونة فقتلوه، ولكنه استبشر وفرح ووجد فرصة قبل الانتقال إلى الآخرة، للافصاح والتعبير عما في نفسه من فرحٍ وسرورٍ وغبطةٍ بنيل هذه السعادة والشهادة العظمى إذ يرى نفسه فائزا بالجنة في بذله نفسه أثناء تبليغ رسالة حبيبه المصطفى ﷺ.

٣- تحدثنا السيرة النبوية: ابتلي أصحاب رسول الله ﷺ عند انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، أشدّ الابتلاء حيث ارتدت العرب وقصدوا مهاجمة المسلمين في معقلهم - المدينة المنورة - وصار الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كما وصفهم عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حيث يقول: «كنَعم بلا راع وصارت المدينة المنورة على حسب تعبيره أضيق على أهلها من الخاتم»[٢].

وفي هذه الظروف العسيرة، والأحوال الصعبة المخيفة، جاء أمر تنفيذ بعث أُسامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، من الخليفة الشجاع أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، الذي كان

---

(١) رواه البخاري (٤٠٩١).

(٢) سيرة ابن حبان البستي، ص٤٢٨.

قد جهزه رسول الله ﷺ، لقتال أعداء الله في ديارهم، بعيداً عن المدينة المنورة. لكن الجيش كان قد توقف نظراً لشدة مرض رسول الله ﷺ أرواحنا له الفداء.

ثم انتقاله إلى جوار ربه ﷺ.

فما كان موقف الصديق الأكبر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلا تنفيذ أمر الحبيب صلوات الله وسلامه عليه. فلنسمع ما يرويه الإمام الطبري عن عاصم بن عدي قال: نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ: «ليتم بعث أُسامه ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أُسامة إلا خرج الى عسكره بالجرف»[1] ولما استأذن أُسامة الصدّيق الأكبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في البقاء مع الجيش بالمدينة المنورة نظراً إلى تقلب الأحوال والظروف الصعبة كتب إليه الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كنت لاستفتح بشيء أولى من إنفاذ أمر رسول الله ﷺ ولئن تخطفني الطير أحب إليّ من ذلك»[2].

ولما أُشيرَ إلى خوف مهاجمة العرب المدينة المنورة إذا سمعوا بوفاة الرسول الكريم ﷺ رد عليهم الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله:

«أنا أحبس جيشا بعثهم رسول الله ﷺ؟ لقد اجترأت على أمر عظيم». والذي نفسي بيده لأن تميل العرب أحب إليّ من أن أحبس جيشا بعثهم رسول الله ﷺ[3] وفي رواية الطبري قال: «والذي نفس أبي بكر بيده!! لو ظننت أن

(١) تاريخ الطبري٣/ ٢٢٣.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص١٠٠.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي، ص٢١.

السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته»(١).

ثم يخرج الصدّيق يشيع الجيش وهو ماشٍ على قدميه وأسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راكباً وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقود دابته.

فيقول له أسامة: ياخليفة رسول الله، والله!لتركبن أو لأنزلن!!

فقال: والله! لا تنزل ووالله! لا أركب!

وما علي أن أُغبّر قدميّ في سبيل الله ساعة(٢).

وأوصى أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «اصنع ما أمرك به، نبي الله ﷺ... ولا تُقصّرن في شيءٍ من أمر رسول الله ﷺ»(٣).

وفي رواية أُخرى، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «امض يا أسامة في جيشك في الوجه الذي أُمرت به، ثم اغزو حيث أمرك رسول الله ﷺ»(٤).

وفي روايةٍ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: والله الذي لا إله غيره لولا أن أبا بكر استُخلف ما عُبِدَ الله، ثم قال الثانية: ثم قال الثالثة: فقيل له مه ياأبا هريرة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام فلما نزل بذي خشب قُبِضَ رسول الله ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا ياأبا بكر رُدّ هؤلاء... توجه هؤلاء على الروم وقد إرتدت العرب حول المدينة؟. فقال: والله الذي لا إله غيره لو جرّت

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٢٢٦.

(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٢٧.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٢٢٧.

الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ، ما رددت جيشاً وجهّهُ رسول الله ﷺ ولا حللت لواءً عقدهُ رسول الله، فوجّه أسامة، فجعل لا يمر بقبيلة يريدون الإرتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن نَدَعُهُمْ حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام[1].

وبهذا أخي الحبيب تبينت الحكمة العظمى من إرسال هذا الجيش، حيث صد الله به عن المسلمين حروباً كثيرة كان عليهم أن يخوضوها مع بعض القبائل، فأخمد الله الفتنة وقطع دابرها بغير قتال، وتبين تفوُق الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على بقية الصحابة في مجال فهم الدين الحنيف، وتطبيق أوامر وسنة رسول الله ﷺ ولو كلفته الكثير، حيث يروي لنا الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

لقد أشار بعض الصحابة على أبي بكر بتغيير قائد الجيش «أسامة بن زيد» لكونه حديث السن ـ لا طعناً فيه ـ، ونقل مشورتهم عمر بن الخطاب، فكان لأبي بكر موقف آخر يدل على شدة تمسكه بأوامر رسول الله ﷺ وكان مما قال لعمر في ذلك: «ثكلتك أمك يا ابن الخطاب أأُمّرُ غير أمير رسول الله ﷺ؟».

تأمل أخي الحبيب هذه العزيمة وهذا الموقف الصلب العالي، كيف وقف وحده مقابل جمهور الصحابة الكرام، وأصرعلى إرسال الجيش بأميره الفتي، تطبيقاً حرفياً لأوامر حبيبه المصطفى ﷺ. نعم إنها رجولة الصديق وفهمه العالي النفيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) ابن كثير ٦/ ٣٠٨.

٤- موقف أخر لهذا الصحابي الجليل الصدّيق الأكبر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. ثبتت به أركان الدولة الفتية، وهابها القاصي والداني، حيث قرر قتال مانعي الزكاة، بحزمٍ وعزيمةٍ لا تلين، قائلا: «والله! لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله! لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه». قال عمر: فوالله ما هو إلا أنْ رأيت أنّ الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق[١].

ويروي لنا المتقي الهندي عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لما قبض رسول الله ﷺ إرتد من العرب من ارتد، وقالوا: نصلي ولا نزكي، فأتيت أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقلت: ياخليفة رسول الله، تآلف الناس وارفق بهم، فإنهم بمنزلة الوحش، فقال: رجوت نصرتك، وجئتني بخذلانك؟!. ماذا عسيت أن أتألفهم، بِشِعْرٍ مُفتعلٍ، أو بسحر مُفترى، هيهات، هيهات!!مضى النبي ﷺ، وانقطع الوحي، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالا، قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فوجدته في ذلك أمضى مني وأعزم مني، وأدّبَ الناس على أمور هان عليّ كثير من مؤونتهم حين وُليتهم»[٢].

ولما علم الصدّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نية بعض القبائل المرتدة، وعزمهم على غزو المدينة المنورة، خرج اليهم بنفسه، شاهراً سيفه، تقول عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «خرج أبي شاهراً سيفه راكباً راحلته الى ذي القصة، فجاء علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فأخذ بزمام راحلته، وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟

---

(١) رواه البخاري (١٤٥٦)، ومسلم (٢٠)، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي(٢٦١٢)، والنسائي وأحمد وغيرهم.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ٣/ ٣٠٠.

أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أُحد: «شِمْ سيفك ولا تفجعنا بنفسك» فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً. فرجع وأمضى الجيش»[1].

ولما طلب الصحابة منه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، البقاء في المدينة المنورة، ويبعث من ينوب عنه، رد عليهم بقوله: «لا، والله! لا أفعل، ولأواسينكم بنفسي»[2].

فتأمل أخي الحبيب وانظر نظرة إكبارٍ وإجلالٍ وتعظيمٍ لهؤلاء الأبطال المجاهدين، ألحقنا الله وإياك بهم، كيف تصرف الصدّيق للدفاع عن هذا الدين، وعن هذه الشريعة الغراء الطاهرة، التي أنزلها الله على نبيه ورسوله، ﷺ، وأوصلوها إلينا، بدمائهم الطاهرة الزكية، بيضاء نقية!!.

فهل يا ترى نحافظ عليها ونستجيب لها؟؟.

٥- تحدثنا كتب السيرة أنّ أصحاب مسيلمة الكذاب في معركة اليمامة لجأوا إلى الحديقة وأغلقوا عليهم الباب. فما كان من أحد ألمحبين الصادقين أصحاب هذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه أنْ طلب من إخوته برميه على جدار الحديقة كي يقتحم عليهم الباب فيفتحه للمسلمين. يروي لنا الطبري قصته بقوله: ثم زحف المسلمون حتى ألجأوهم إلى الحديقة: حديقة الموت، وفيها عدو الله مسيلمة الكذاب. فقال البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا معشر المسلمين! ألقوني عليهم في الحديقة». وفي رواية أخرى قال: «يا معشر المسلمين! إرموني عليهم في الحديقة».

---

(١) ابن كثير ٦/ ٣٥٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٧، والكامل لابن الأثير ٢/ ٢٣٣ والبداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٣٥٥.

فقال الناس: «لا تفعل يا براء». فقال: «والله لتطرحني عليهم فيها».

فاحتُمل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار، إقتحم فقاتلهم على باب الحديقة، حتى فتحها للمسلمين ودخل المسلمون عليهم فيها، فاقتتلوا حتى قتل الله مسيلمة الكذاب عدو الله ورسوله[1].

الله أكبر!! ما هذا الحب وما هذه التضحية في سبيل الله؟؟. كيف جعل البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نفسه رخيصة في سبيل الله تعالى؟؟. اللهم أكرمنا كما أكرمتهم ومُنّ علينا كما مننت عليهم.

٦- وفي معركة اليرموك حدّث ولا حرج عن بطولة أصحاب النبي الكريم ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فقد بايع أربعمائة منهم على الموت في سبيل الله دفاعاً عن الدين وإعلاءً لكلمة الله تعالى، وإزالة للفساد والفتنة والشرك، فقد ذكر الحافظ ابن كثير عن أبي عثمان الغساني عن أبيه قال: قال عكرمة بن أبي جهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قاتلت مع رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم».

ثم نادى بأعلى صوته: «من يبايع على الموت؟». فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار ابن الأزور، في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن الأزور. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا[2].

٧- في فتح مصر نجد محباً صادقاً آخر، يهب نفسه لله تعالى ويفعل ما فعله الصحابي الجليل البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في معركة اليمامة ولا غرابة في

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩٠، والكامل لابن الأثير ٢/ ٢٤٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٤٠١، وتاريخ ابن كثير ٧/ ١١-١٢، وتاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٨٣.

تشابههم هذا في الفداء والتضحية، لأنهم تخرجوا جميعاً من مدرسة واحدة إنّها مدرسة النبوة والرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

حيث يروي لنا ابن عبد الحكم في فتوح مصر وأخبارها قصته وقصة أصحابه الأبرار بقوله: فلما ابطأ الفتح على عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني أهب نفسي لله، وأرجوا الله أن يفتح بذلك على المسلمين».

«فوضع سلما إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا. فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر! معه السيف، وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر.

فلما اقتحم الزبير وتبعه من تبعه وكبّروكبّر من معه وأجابهم المسلمون من الخارج لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعاً فهربوا. فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن واقتحم المسلمون الحصن»[1].

٨- في معركة نهاوند نشاهد محباً صادقاً آخر يدعو الله تعالى أن يرزقه الشهادة بنصر المسلمين حيث ذكر الحافظ الذهبي: قال النعمان بن مقرن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما التقى الجمعان ـ في معركة نهاوند ـ: «إنْ قتلت فلا يلوي علي أحد وإنّي داعٍ بدعوةٍ فأمنوا». ثم دعا: «اللهم ارزقني الشهادة بنصر المسلمين». فأمن القوم فكان النعمان أول صريع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه[2] وفي رواية أنه قال: «اللهم أعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك».

فكان أول شهيد[3].

❑ ❑ ❑

(١) فتوح مصر وأخبارها، ص٥٢.

(٢) تاريخ الإسلام، ص٢٢٥.

(٣) الكامل لابن الأثير٣/ ٥.

العلامة الثالثة

امتثال أوامره واجتناب نواهيه ﷺ

قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه	هذا لعمري في الحياة بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته	إنّ المحب لمن يحب مطيع

إنَّ المحب الصادق الصدوق الورع، يتّبعُ ولا يبتدع، ويقتفي أثر حبيبه بمحبة قلبية، ويبذل أقصى ما عنده، لنيل رضى حبيبه، ولو كلفه حياته، ويجد في ذلك لذة لا توصف، إلا لمن ذاق ذلك فقد قيل من ذاق عرف، ومن عرف اغترف، فكيف بالله عليكم؟!. اذا كان هذا الحبيب المصطفى المكرم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه!! ألا يحرص كل الحرص على اتباعه شبراً بشبروذراعاً بذراع، ويسارع إلى تنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه وكم تجلت هذه المواقف الرائعة لأصحاب النبي الكريم ﷺ.

وإليك أخي الحبيب بعض الأمثلة الحية النابعة من القلوب الطاهرة العامرة الممتلئة بحب الله ورسوله ﷺ.

١ - روى البخاري عن البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ﴾ [البقرة: ١٤٤]. فوجه نحو الكعبة، وصلى معه رجل العصر، ثم خرج فمرّعلى قوم من الأنصار فقال: «هو يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ وأنه قد وجّه إلى الكعبة». «فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر»[١].

---

(١) رواه البخاري (٧٢٥٢).

الله أكبر ما أسرعهم تأسياً واقتداءً بحبيبهم رسول الله ﷺ! فما إن سمعوا الخبر لم يترددوا لحظةً واحدةً، ولم ينتظروا رفع رؤوسهم من الركوع وبادروا فوراً بالتوجه إلى حيث توجه الحبيب ﷺ إلى الكعبة المشرفة ـ حماها الله وحرسها ـ وهم ركوع، دونما سؤال أو استفسار!!.

٢- روى أبو داود في السنن عن مسارعة الصحابة في تنفيذ أوامر النبي الكريم ﷺ المتعلقة بآداب السفر، لا في مجال الصلاة أو الجهاد فحسب.

عن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنَّما ذلكم من الشيطان».

فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: «لو بسط عليهم ثوب لعمهم»(١).

فما لنا اليوم نفترق ونختلف على كل شيء، أحزاباً مفرقةً كل حزب ضد الآخر، وربما حمل السلاح في وجهه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

٣- روى البخاري عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكان خمرهم يومئذ الفضيح، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: «ألا إن الخمر قد حرمت». قال: فقال لي أبو طلحة: «اخرج فأهرقها». فخرجت فهرقتها. فجرت في سكك المدينة»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٢٨).

(٢) رواه البخاري (٢٤٦٤).

الله أكبر!! لم يكن اتباع هؤلاء الأبرار المحبين الصادقين لهذا النبي الكريم ﷺ عند النهي عما رغبوا فيه فحسب، بل تركوا أشياء كثيرة مما اعتادوا عليه منذ سنوات عديدة، ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، ولم يحتجّوا أو يقفوا لحظةً واحدةً وسارعوا إلى تطبيق الأوامر والنواهي دونما تأخير أو استفسار فمتى نترك عاداتنا وتقاليدنا المخالفة للشريعة الغراء السمحة، ونتمسك بها تمسك هؤلاء الأبطال المحبين الصادقين المجاهدين.

فقد أراقوا الخمر تنفيذا لأمر رسول الله ﷺ، ولذا جرت في سكك المدينة. أين قوانيننا وبرلماناتنا وأنظمتنا من الخمر الآن؟؟؟.

اللهم إليك المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بك ياعلي ياعظيم.

يقول ابن حجر: «وفيه إشارة إلى توارد من كانت عنده من المسلمين على إراقتها حتى جرت في الأزقة من كثرتها»[(١)].

وقد تم هذا من غير قيل وقال، وتردد واستفسار، أو وقفة، أو اختيار؟؟.

فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وهل بلغكم الخبر؟». فقالوا: «وما ذاك؟». قال: «حرمت الخمر». قالوا: «أهرق هذه القلال يا أنس». قال: «فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل»[(٢)].

يا لله!! يا له من استسلام مطلق، وانقياد تام!! دون تردد أو استفسار أو تأخير. إنهم خريجي المدرسة المحمدية -عليه الصلاة والسلام-. ورضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٣٩.

(٢) رواه البخاري (٤٦١٧).

هكذا كانوا من شاء فليلحق... فاستحقوا أن يمدحوا، من فوق سبع سماوات، حيث يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١].

٤- روى البخاري في المغازي، باب غزوة خيبر، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ رسول الله ﷺ، جاءه جاءٍ، فقال: «أكلت الحمر». فسكت. ثم أتاه الثانية، فقال: «أكلت الحمر». فسكت. ثم أتاه الثالثة، فقال: «أفنيت الحمر». فأمر منادياً ينادي في الناس: «إنّ الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر الأهليه».

فأكفئت القدور وإنّها لتفور باللحم[1].

انظر أخي الحبيب... لم يفكر أحدهم في البحث عن فرصة أو مخرج أو استثناء، ولم يتحايلوا على النص فأكفؤوا قدورهم امتثالاً لأمر الحبيب الأعظم ﷺ، لإدراكهم أنّ المحب يسارع الى تطبيق أوامرحبيبه، بل إلى تحقيق رغباته، فقد قيل رغبة القائد أمر!!. فما بالك اذا كان الحبيب رسول رب العالمين، ﷺ.

٥- روى الطبري في تاريخه أنّه: لما نزلت جنود المسلمين اليرموك، بعث إليهم المسلمون: «إنّا نريد كلام أميركم وملاقاته، فدعونا نأته ونكلمه».

فأبلغوه فأذن لهم. فأتاه أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وضرار بن الأزور، وأبو جندل بن سهيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومع أخي الملك «أمير الجيش الرومي واسمه تذارق».

يومئذ ثلاثون رواقا في عسكره، وثلاثون سرادقا، كلها من ديباج.

---

(١) رواه البخاري (٤١٩٩).

فلما انتهوا إليها أَبَوْا أن يدخلوا عليه فيها، وقالوا: «لا نستحل الحرير فابرز لنا».

فبرز إلى فرشٍ ممهدةٍ وبلغ ذلك هرقل، فقال: «ألم أقل لكم! هذا أول الذل. أما الشام فلا شام، وويل للروم من المولود المشؤوم»[١].

وفي رواية: قال الصحابة: «لا نستحل دخولها». فأمر لهم بفرش بسط من حرير. فقالوا: «ولا نجلس على هذه». فجلس معهم حيث أحبوا[٢].

لم تصرف مواجهة الأعداء، هؤلاء الصحابة الأبرار المحبين عن اتباع رسولهم الكريم ﷺ، في أحلك الظروف حتى وإن كان العدو دولة عظمى كالروم، على مجاملتهم والنزول عند رغبتهم، رغم مافعلوه من حسن ضيافة واستقبال. وكيف لهم العدول عن اتباعه ﷺ وقد سمعوه ﷺ يقول: «وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري»[٣].

فقد حفظوا ووعوا ورعوا وطبقوا ماسمعوه في حياتهم، وياليتنا في زماننا هذا ندرك هذه الحقيقة!!. فالنصرالحقيقي لهذه الامة لا يكون إلا باتباع هذا النبي الكريم وتطبيق شرعه، وإحياء سنته ﷺ، لا بالذل والخضوع للغرب، ولا بالمعاهدات مع أعداء الله ورسوله، اليهود ومن شاكلهم لعنهم الله تعالى.

هدانا الله والمسلمين لذلك قريباً عاجلاً.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٠٣.
(٢) ابن كثير ٧/ ٩-١٠.
(٣) رواه أحمد (٥١١٥).

٦- روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه، إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره. فلما رأى ذلك القوم القوا نعالهم». فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «ما حملكم على القائكم نعالكم؟». قالوا: «رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا».

فقال رسول الله ﷺ: «إنّ جبريل أتاني فأخبرني أنّ فيها قذرا». وقال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فان رأى في نعليه قذرا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما»[1].

هكذا كل محبٍ صادقٍ، يسارع إلى تنفيذ أوامر حبيبه، بل يراقب بشوق حركاته، وسكناته ويلاحظ بدقةٍ تعابير وجهه وإشارات عيونه، لعله يجد فيها شيئاً يحبه حبيبه، فيفعله أو يعرف ما يبغضه، فيبتعد عنه. فهؤلاء الأبرار من الصحابة الأخيار لم يقفوا عند امتثال أمره واجتناب نواهيه، بل كانوا يتابعون أفعاله ويلاحظون تصرفاته بحب وتقدير وشوق، حرصاً على الاقتداء به فاذا وجدوه يفعل شيئاً سارعوا إلى فعله، وإذا ابتعد عن شيء بادروا إلى تركه والابتعاد عنه، وهذا شأن المحب الصادق مع أبناء الدنيا فكيف إذا كان في النبي الأعظم ﷺ. فيا لله!! كم كانوا حريصين على الإسراع والمبادرة في التأسي به ﷺ. فهل لنا إلى ذلك سبيل؟.

٧- روى أبو داود عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالوا: إنّ امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال: «أتعطين زكاة هذا؟».

قالت: «لا». قال: «أيسرك أن يُسوِرُكِ الله بهما يوم القيامة سِوارين من نار؟».

---

(١) رواه أبو داود (٦٥٠).

قال: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله ﷺ وقالت: «هما لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله»(١).

لم يكن اتباع النبي الكريم ﷺ من قِبَل الرجال فحسب، بل كان كذلك من المؤمنات الصادقات اللواتي أحببنه ﷺ، فلم تقتصر هذه المرأة المحبة الصادقة إلى امتثال أمره بدفع زكاة السوارين، بل تنازلت عنهما وقدمتهما إلى رسول الله ﷺ صدقة لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يدل فقها على زكاة الحلي. والله تعالى أعلم.

٨- روى أبو داود عن أبي أُسيد الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط رجال مع النساء في الطريق، فقال: رسول الله ﷺ: «استأخرن فإنّه ليس لكن أنْ تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق»(٢).

فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى أنّ ثوبها يتعلق بالجدار من لصوقها به، فلا يظن أحد أنّ مثل تلك المسارعة ألى امتثال أمر الله وأمر رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من امرأة مؤمنة كان أمراً نادراً أو حادثاً شاذاً كلا والله!! لقد عُرف من سيّرهن أنّ هذا كان هو السائد فيهن من غير تكلف بل محبة لله ولرسوله ﷺ. فانظر أخي الحبيب... إلى نسائنا في هذا الزمان وخروجهن إلى الأسواق والحفلات؟. واحكم بما تراه أين نحن وأين هم؟ هدانا الله للإسلام وأعاننا على تطبيق شرعه وسنة نبيه الكريم ﷺ.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٦٣) وحسنه الألباني.

(٢) رواه أبو داود(٥٢٧٢).

٩- في معركة أُحد نهض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بَدُنْ ﷺ، فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته الصحابي الجليل طلحة بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله ﷺ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع»(١) أي وجبت له الجنة.

١٠- خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداةٍ باردةٍ فلم يكن عندهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، قال: «اللهم إنّ العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة». فقالوا مجيبين له ﷺ:

نحــن الــذين بــايعوا محمــداً ... علـى الجهـاد مـا حيينـا أبـداً(٢)

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم أجمعين.

١١- وكذلك ما جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، في قصة فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها بنت نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، عندما جاءت تطلب خادماً فقال لها عليه الصلاة والسلام :"أو لا أدلك على ما هو خير لك من خادمٍ:إذا أويت إلى الفراش تسبحين الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين، وتكبرينه ثلاثاً وثلاثين "(٣) قال عليٌ رضي الله عنه:"فما تركتها منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٥، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٣٨٧٣).

(٣) رواه البخاري (٥٣٦٢)، ومسلم(٢٧٢٧.)

فاختار أحد الحاضرين ليلة عظيمة عصيبة تشيب لهولها الولدان ، وقد يذهل في مثلها الإنسان ، قائلاً : ولا ليلة صفين ؟! قال: "ولا ليلة صفين". انظر إلى هذه العظمة في الاتباع والاقتداء والمواظبة على أوامر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

نعم أنهم أصحاب وخريجي مدرسة هذا النبي المعظم المكرم من رب العالمين ، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

١٢- روى مسلم عن داود بن أبي هند،عن النعمان بن سالم ، عن عمروا بن أوس، قال : حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يُتسارُّ إليه، قالك سمعت أمّ حبيبة تقول : سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول:" من صلى اثنتي عشرة ركعةً في يوم وليلةٍ بُنيَ له بهنّ بيتٌ في الجنة "،قالت أمُّ حبيبة : فما تركتهنَّ منذ سمعتُهُنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال عنبسةُ : فما تركتهنَّ منذ سمعتهنّ من أم حبيبة ، وقال عمروا بن أوسٍ:ما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من عنبسة، وقال النعمانُ بن سالم : ما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من عمروا بن أوس.[1]

أخي الحبيب انظر إلى هذه الهمة العالية في المسارعة والمواظبة منهم جميعاً والمبادرة إلى القيام به مع الاستمرار دون انقطاع أو تراخٍ من أحدهم .

[1] - رواه مسلم (٧٢٢).

١٣- ما جاء في الصحيحين من حيث أبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهم قال الأول : "أوصاني خليلي بثلاثٍ لا أدعُهُنّ حتى أموت : صوم ثلاثة أيام من كل شهر ،وصلاة الضحى، ونوم على وتر".[١]

وقال الثاني رضي الله عنه: "أوصاني حبيبي صلى الله عليه وسلم بثلاث لن أدعَهُنّ ما عشت " وذكر هذه الثلاث .[٢]

١٤- ومما يبين لنا عظيم عنايتهم واهتمامهم وسرعة تطبيقهم للأوامر والنواهي النبوية ما جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه ، وقال صلى الله عليه وسلم :"يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده". فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك انتفع به (يعني تبيعه ، تتركه لأهلك) قالك لا والله ! لا خذه أبداً، وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣)

الله اكبر زهدت نفسه في هذا المباح من شدة العناية والاهتمام والالتزام بما جاء عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى أله وصحبه.

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إنّ الله ينهاكم عن أنْ تحلفوا بآبائكم". قال عمر رضي الله عنه : (فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ذاكراً ولا آثراً) أي لا من قولي ولا حاكياً لقول غيري.[٤]

---

[١] - رواه البخاري (١١٧٨)
[٢]- رواه مسلم (٧٢٨)
[٣]- رواه مسلم(٢٠٩٠)
[٤]- رواه البخاري (٦٦٤٧) ومسلم (١٦٤٦) .

وإذا نظرنا إلى سيرة السلف الصالح فيما بعد الصحابة الكرام رضي الله عنهم ينقل عنهم في هذا المعنى أمور عظيمة وكثيرة جداً، فقد قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى : " ما بلغني حديثٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عملت به ".

وقال عمروا بن قيس الملائي رحمه الله تعالى : "إذا بلغك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعمل به ولو مرةً تكن من أهله ". وهذا في السنن والرغائب وفضائل الأعمال لا على إطلاقه فانتبه.

ونقل ابن القيم في كتابه زاد المعاد عن شيخه ابن تيمية رحمها الله تعالى ، لما ذكر ابن القيم حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرأ آية الكرسي دُبُرَ كلِّ صلاةٍ لم يكن بينه وبين الجنةِ إلا أن يموتَ". قال ابن القيم :"بلغني عن شيخي ابن تيمة أنه قال : ما تركتها عقيب كل صلاة ".

وجاء عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه قال:"ما كتبت حديثاً إلا عملت به، حتى إنني سمعت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحاجم ديناراً فاحتجمت وأعطيت الحاجم ديناراً".

فهذه طريقة أصحاب النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، وكذلك التابعين وتابعيهم من سلفنا الصالح الدالة على حرصهم ومواظبتهم ودأبهم وعظيم عنايتهم ومسارعتهم إلى تطبيق أوامره واجتناب نواهيه وزواجره، صلى الله تعالى عليه وسلم .

❑ ❑

العلامة الرابعة

بذل النفس والمال دونه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

إنَّ المحب الصادق الغيور، يترقب بكل شوقٍ وحماسٍ فرصةً، يتمكن فيها من بذل راحته وماله وما ملكت يمينه في مرضاة حبيبه، وللصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أعظم سجل في التضحية والفداء والمحبة والاتباع لهذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، سطروه لمن جاء بعدهم من محبيه ﷺ الذين يجدون في قلوبهم حسرةً لا توصف لفواتهم تلك السعادة العظمى والأمنية الغالية لفوات الصحبة وبعد الزمن، فان فاتنا صحبة نفسه الشريفة فلا تحرمنا اللهم صحبة أنفاسه ﷺ، آمين.

١ - تروي لنا كتب السيرة أنّ الصديق الأكبر بكى خوفا على النبي الكريم في الهجرة، عندما أدرك سراقة بن مالك رَكْب رسول الله ﷺ المهاجرإلى المدينة المنورة.

فحين يقترب منه يضطرب الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ويبكي، لا خوفاً على نفسه بل خوفاً على الحبيب الأعظم ﷺ. ويحدثنا أحمد في مسنده عن هذه القصة عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فارتحلنا والقوم يطلبونا، فلم يدركنا، إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت: «يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا».

فقال: «لا تحزن إنّ الله معنا» حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، قال: قلت: «يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا». وبكيت. قال: «لم تبكي؟». قلت: «أما والله! ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك».

قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اكفناه بما شئت». فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد... وذكر الحديث[1].

٢- روى البخاري عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حيث يقول: شهدت مع المقداد بن الأسود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مشهداً لأنْ أكون صاحبه أحب الي مما عدل به: قال أتى النبي ﷺ وهو يدعوا على المشركين. فقال: «لا نقولُ كما قالَ قومُ موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «اذهبْ انتَ وربُكَ فقاتلا»، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك»[2].

فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسَرّه ـ يعني قوله ـ.

وفي هذه الرواية جوانب مهمه منها استعداد المقداد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للفداء والتضحية دون الحبيب المصطفى ﷺ. ورغبة ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنْ يكون هو صاحب هذا الموقف المشرف، حيث قال: «لأنْ أكون صاحبه أحب مما عدل به».

قال ابن حجر في شرحه: «أنّه كان لو خُيّر بين أنْ يكون صاحبه وبين أنْ يحصل له ما يقابل ذلك كائنا ما كان لكان حصوله له أحب إليه»[3].

٣- روى النسائي عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لمّا كان يوم أحد، وولى الناس كان رسول الله ﷺ، في ناحية في اثني عشر رجلاً من الأنصار، وفيهم طلحة بن عبيد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فأدركهم المشركون.

فالتفت رسول الله ﷺ وقال: «من للقوم؟». فقال طلحة: «أنا». قال رسول الله ﷺ: «كما أنت». فقال رجل من الأنصار: «أنا يا رسول الله». فقال: «أنت». فقاتل حتى قتل.

---

(١) رواه أحمد (٣)، وصححه أحمد شاكر.

(٢) رواه البخاري (٣٩٥٢).

(٣) فتح الباري ٧/ ٢٨٧.

ثم التفت فإذا المشركون فقال: «من للقوم؟» فقال طلحة: «أنا». قال: «كما أنت». فقال رجل من الأنصار: «أنا». فقال: «أنت». فقاتل حتى قتل.

ثم لم يزل يقول ذلك ويخرج لهم رجل من الأنصار فيقاتل قتال من قبله حتى يقتل، حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال رسول الله ﷺ: «من للقوم؟». فقال طلحة: «أنا». فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه، فقال: «حس». فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». ثم رد الله المشركين[١].

يترك الرماة في معركة أُحد أماكنهم فيحدث خلل واضطراب في صفوف المسلمين، فتأتي مجموعة من جيش قريش المكي تحت قيادة خالد بن الوليد من خلف المسلمين. ولم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً.

فانظر يا أخي الحبيب... كيف يفدي أحد عشر محباً أرواحهم دون حبيبهم، والثاني عشر يقاتل كقتالهم جميعًا، فقد قاتل قتال الأحد عشر وشلت يده حيث كان يقي بها رسول الله ﷺ من سهام المشركين، وليس هذا فحسب بل جرح جسده كله فقد كانت به حوالي سبعين جراحه.

فقد روى أبو داود الطيالسي، عن عائشة عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة ورمية وضربة[٢]وقد كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا ذكر يوم أُحد بكى، ثم قال: «ذلك كله يوم طلحة»[٣].

---

(١) صحيحة النسائي (٢٩٥١).

(٢) فتح الباري ٧/ ٨٢-٨٣.

(٣) منحة المعبود ٢/ ٩٩.

ما أسعد وأطهر وأزكى وأنقى وأكرم هذه اليد التي شُلّت دفاعاً عن رسول الله ﷺ وما أسعد صاحبها رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه ويقع النبل في ظهره وهو منحنٍ عليه حتى كثر فيه النبل»[1] وفي رواية أُخرى: «وهو لا يتحرك».

الله أكبر! ما الذي جعل أبا دجانة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يترّس دون الرسول الكريم بنفسه ينحني عليه ويصبر على النبل تقع في ظهره ولا يتحرك؟.

إنّه الحب الصادق والفداء الحق، وكذلك أبو طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يجعل نحره دون نحر النبي ﷺ. كما مر سابقاً في نفس المعركة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

٤ - تحدثنا كتب السيرة والتاريخ عن محب صادق ومخلص لله ولرسوله، يبذل نفسه دفاعاً وفداءً دونه ﷺ، ويلفظ أنفاسه الأخيرة مرتحلاً عن الدنيا وخده على قدم الحبيب المصطفى ﷺ في غزوة أُحد أيضا. لله درك ياجبل أُحد!!

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم: «من رجل يشتري لنا نفسه؟».

الله أكبر ما أحلى وأعذب هذا الكلام، وما أعظم دلالته!!

فقام زياد بن السكن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في نفر خمسة من الانصار.

وبعضهم يقول: إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن.

فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة هذا، فقاتل حتى أثبتته الجراح.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٠، وابن حبان (٢٢٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي، ص١٧٤-١٧٥.

ثم فأت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه. فقال رسول الله ﷺ: «ادنوه مني». فأدنوه منه فوسده قدمه. فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ[1].

الله أكبر!! الله أكبر!! الله أكبر!! ما أطيب وأشرف وأحلى هذ الموتة وأزكاها، على قَدَمِ الحبيب ﷺ وفي سبيل الله تعالى!!

٥- وفي أُحد أيضاً، وكم في أُحد من درووس وعبر وتضحيات، سُطّرت بدماء أبرارٍ صادقين محبين مجاهدين، أعزةٍ على الكافرين أذلةٍ على المؤمنين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

روى الحاكم عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أُحد لطلب سعد بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال لي: «إنْ رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟».

قال: «فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رَمَقٍ وبه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمحٍ، وضربةٍ بسيفٍ، ورميةٍ بسهمٍ، فقلت له: «يا سعد! إنّ رسول الله ﷺ، يقرأ عليك السلام، ويقول لك: خبِّرني كيف تجدك؟».

قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: «أجدني أجد ريح الجنة».

وقل لقومي الأنصار: «لا عُذر لكم عند الله إنْ يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفر يطرف». قال: وفاضت نفسه. رَحِمَهُ اللَّهُ»[2].

الله أكبر!! بماذا يفكر هذا المحب الصادق؟ وماذا يشغل باله؟ وهو في آخر لحظات حياته يجود بأنفاسه الطاهرة الزكية، وبماذا يوصي قومه وهو يودعهم مرتحلاً عن الدنيا الفانية وما فيها من أهل ومتاع؟.

---

(١) ابن هشام ٣/ ٢٩.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٠١، ونحوه عند مالك في الموطاء، وسيرة ابن هشام ٣/ ٣٨-٣٩.

شُغلهُ الشاغل مع الأنفاس سلامة الحبيب المصطفى ﷺ ويوصي قومه ببذل المهج والأرواح فداءً للحبيب الأعظم والرسول الأكرم ﷺ!!.

نعم إنّه الحب الصادق الذي لا مِريةَ فيه والفداء الخالد الذي لا شُبهةَ فيه.

إنّهم أصحاب سيدنا محمد ﷺ، الذين عرفوا قدره ومقداره وحقيقته ومنزلته، كيف لا وقد اختصهم الله بصحبة خير خلق الله أجمعين. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم وألحقنا بهم خير خلف لخير سلف. آمين.

٦- روى مسلم عن أبي قتاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «إنّكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء إنْ شاء الله غداً». فانطلق الناس لا يلوي أحدٌ على أحدٍ. قال أبو قتاده: «فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى إبهار الليل ـ انتصف ـ وأنا الى جنبه». قال: «فنعس رسول الله ﷺ فمال عن راحلته فأتيته فدعمته ـ صرت تحته كالدعامة للبناء ـ من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته».

قال: «ثم سار حتى تهور الليل ـ ذهب أكثره ـ مال عن راحلته».

قال: ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الاوليين حتى كاد أن ينفجل ـ أي يسقط ـ فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال: «مَنْ هذا؟» قلت: «أبو قتادة». قال: «متى كان هذا مسيرك مني؟». قلت: «ما زال هذا مسيري منذ الليلة». قال: «حفظك الله لما حفظت به نبيه»[(١)].

انظر أخي الحبيب... إلى قصة هذا المحب الصادق كيف كان يهتم براحلة رسول الله ﷺ، فسار معه ليلته كي يحفظه من سقوط عن راحلته عند ميله

---

(١) رواه مسلم (٦٨١).

عنها، بسبب غلبة النعاس عليه ﷺ وكم كان أبو قتادة حريصا على سلامته وراحته وعدم إزعاجه، وكلما مال رسول الله عن راحلته كان يصير تحته كالدعامة للبناء.

لكنه مع هذا لم يجعله يستيقظ حرصاً منه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على راحته ﷺ. هكذا حب وإيمان وفداء وتضحية أصحاب رسول الله ﷺ، وجهادهم في سبيل الله ونصرة دينه وشرعه وإعلاء كلمته. رزقنا الله وإياكم الاقتداء بهم وبسنة هذا النبي المعظم ﷺ.

فتشبهوا إنْ لم تكونوا مثلهم إنَّ التشبه بالكرام فلاح

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

❑ ❑ ❑

العلامة الخامسة

كثرة ذكره والصلاة والسلام عليه تنفيذاً لأمر الله عَزَّوَجَلَّ

اعلم أخي الحبيب إنّ محبة النبي ﷺ واجبة على كل مسلم، وقد مرت معنا عدّةُ أحاديث تحُضُ على ذلك فلا داعي لتكرارها مخافة التطويل والملل، وصدق صاحب جوهرة التوحيد إذ يقول:

لكن من التطويل كلّتِ الهمم   فصار فيه الاختصار ملتزم

واعلم أنّ الله تعالى أمرنا بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنّى بملائكة قُدُسِه، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فأمرنا بالصلاة والسلام عليه ﷺ، وأثابنا على ذلك جزيل المغفرة والثواب والقرب والمحبة.

وإليك أخي الحبيب بعض الأحاديث الدالة على ذلك.

قال رسول الله ﷺ: " مَن صلّى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، وكتب له بها عَشْر حسنات ". كما مرّ معنا سابقاً(١).

قال رسول الله ﷺ: «أكثروا عليّ الصلاة في يوم الجمعة فإنه ليس أحد يصلّي عليّ يوم الجمعة إلا عُرضت عليّ صلاته»(٢).

قال رسول الله ﷺ: «البخيل مَن ذُكِرْتُ عندَهُ فلم يُصَلّ عليّ»(٣).

---

(١) رواه الترمذي برقم(٤٨٤)ومسلم(٤٠٨)وأبو داود(١٥٣٠)والنسائي(٣/ ٥٠).

(٢) الحاكم(١/ ٢٧٨)وأبوداود(١٠٤٧-١٥٣١)والنسائي(١٣٧٤)وابن ماجة(١٠٨٥).

(٣) أحمد(١/ ٢٠١)وابن حبان(١/ ٢٣٨)والحاكم(١/ ٥٤٩)وصححه الألباني في المشكاة.

والصلاة على النبي ﷺ، تقي مصارع السوء وشرور المصائب والنوائب، وتزيل الهموم والغموم، وتفرج الكروب، وتشرح الصدور، وتغفر الخطايا، وتمحو السيئات، وتقربك من الحبيب الأعظم ﷺ، وتتشرف بصلاة الله تعالى عليك، كما تتشرف برد السلام عليك من جنابه الرفيع ﷺ.

فقد ورد في سنن الترمذي: «أنّ رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبُشرى في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البُشْرى في وجهك، فقال: إنّه أتاني المَلَكُ فقال: يامحمد إنّ ربك يقولُ: أما يرضيك أنّه لا يصلّي عليك أحدٌ إلا صليتُ عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحدٌ إلا سلمتُ عليه عشراً»(١).

وفي سنن أبي داود، قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يسلم علي إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أرُدّ عليه السَّلام»(٢).

وفي سنن الترمذي، قال أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت. قال: قلت: الربع، قال ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف، قال: ما شئت. فإن زدت فهو خير لك. قال: قلت: فالثلثين، قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذاً تُكفى همك، ويغفر لك ذنبك(٣) فانظر أخي الحبيب ما أعظم الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، تكفيك الهموم وتغفر الذنوب وما أكثرها هذه الأيام، نسأل الله تعالى السلامة والعفو والعافية للمسلمين أجمعين.

---

(١) رواه النسائي برقم (١٢٨٣) باب فضل التسليم على النبي ﷺ.

(٢) رواه أبو داود برقم (٢٠٤١).

(٣) رواه الترمذي برقم(٢٤٦٢) والحاكم ٢/ ٤٢وصححه ووافقه الذهبي.

أخي الحبيب يقول الشيخ عبد الكريم الجيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: اعلم وفقنا الله تعالى وإياك للوقوف ببابه، والعكوف بجنابه أنّ الحبّ على الإطلاق له تسع مراتب في الخلق، ومرتبتان في الحقّ، ومرتبة واحدة مشتركة بين الحقِ والخَلقِ.

المرتبة الأولى: في الحق تسمى الحب باسمه، ما لم تكن حركة لظهور أثرها، فإذا حصلت تلك الحركة سمي الحب إرادة. فالحب الحقيقي والإرادة الحقيقية لله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «...لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه»[1].

ومراتب الحب في الخلق: فأولها الميل، وهو انجذاب القلب إلى المطلوب، فإذا زاد سمي رغبةً، فإذا زاد أكثر سمي طلباً، فإذا زاد أكثر فأكثر سمي ولهاً، فإذا اشتد ودام سمي صبابةً، فإذا قوي واسترسل بالقلب في المعنى المراد سمي هوىً، فإذا استولى حكمه على الجسد بحيث أنْ يفنى المحب عن نفسه سمي شغفاً، وهذا المقام حصل لزليخا امرأة العزيز حين افتتنت بسيدنا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى مخبراً عنها في سورة سيدنا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]. فانظر إلى علو ورفعة هذه الرتبة في حقها. فإذا نما وظهرت علامة بحيث أنْ يفنى المحب عن نفسه وعن فنائه سمي غراماً، فإذا استحكم وطفح وظهر وتمكن تمكنا أفنى المحب عن نفسه وعن حبيبه أيضاً بحيث يبقى الأمر شيئاً واحداً، وهو الحب المطلق سمي عشقاً، وهذا آخر مقامات الخلق فيه، فيصير المحب في هذا المقام حبيباً، والحبيب محباً، فيتلون كل منهما بصورة الآخر، وذلك أنّ العاشق

---

(١) رواه البخاري وابن حبان.

قد تمكنت روحه بصورة المعشوق فتعلقت بتلك الصورة الروحانية مع الأنفاس تعلق التمازج فتستحيل المفارقة والانفصال.

والمرتبة الأخيرة للحب المشتركة بين الحق والخلق وتسمى المرتبة الجامعة، وهي مرتبة الود فإنّ الحق يسمى بالودود، فهو يَوُد من يشاء من خلقه والخلق يَوُدونه، فالود مرتبة مشتركة تظهر بالقدم في القديم، وبالحديث في المحدث. والمودة من خصائصها الاشتراك لوقوعها من الجانبين ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

فالمودة تكون من الجانبين، فهي اسم للمحبة إذا ظهرت في المحب والمحبوب لأنّ الشيء إذا كان بين اثنين لا يختص به واحد دون الآخر، بل هما مشتركان فيه بالود فإذا صار كل واحدٍ منهما محباً للثاني ومحبوباً له، كانت المحبة والمودة بينهما ظاهرة. وهو نهاية مراتب العشق في الظهور لأجل وقوعه من الجانبين فقط وإلا فلا شيء في الخلق أعلى مرتبة من ظهور العشق، إذهو نار الله الموقدة، فافهم والله يتولى هدانا وهداك والمسلمين.

واعلم أنّ الله لمّا أحب حبيبه المصطفى ﷺ، جعله شفيعاً لخلقه إلى يوم القيامة وليس لأحدٍ من الخلق عموم الشفاعة سواه ﷺ، وسر ذلك أنّ الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لم يبعثوا إلى كافة الخلق، وإنّما بُعث إلى كافة الخلق سيدنا محمد ﷺ. فهو مُقَدَمَهُم، وراعيهم، وكل راع مسؤول عن رعيته، فأوجب الله تعالى الشفاعة لهم والقيام بمصالحهم دنيا وأخرى، وما أوجب الله تعالى عليه إلا ما وفقّه للقيام به.

فمن أجل ذلك وعده بالوسيلة التي هي المقام المحمود يوم القيامة، وليست الوسيلة في المعنى إلا الواسطة للوصول إلى المطلوب وهي الشفاعة. ولهذا المعنى منزلة صورية في الجنة المسماة بالفردوس الأعلى، وهي أرفع منازل الجنان، يكون هو ﷺ فيها الوحيد الفريد الذي يحوي الكمال صورةً ومعنىً، ظاهراً وباطناً، أي أنه ﷺ كان واسطة الجميع في البداية لأجل الظهور، كان كذلك واسطتهم في النهاية لأجل النعيم المقيم، فليس في الأول والأبد وسيلة ولا واسطة ولا علة لوجودك ووجود كل خير لك، ولكل موجود أحد سواه ﷺ.

فمن الأولى أيها المحب، أنْ تتعلق بجنابه الشريف ﷺ، وتعتكف على بابه المنيف ﷺ ليحصل الميل من الجهتين، فيسرع الوصول إلى المقصود، ألا تراه ﷺ قال للصحابي الذي تمنى أنْ يكون رفيقه في الجنة: «أعني على نفسك بكثرة السجود». ليكون الجذب من الطرفين ليسرع وصوله إلى ذلك، فلا بد من بذل المجهود ليتحقق بالمقصود أكمل تحقيق، ولهذا كان دأب الكُمّل من الأولياء رضوان الله تعالى عليهم أنْ يتعلقوا بجنابه ويحطوا جباههم على بابه ﷺ، ولم يزل ذلك دأبهم ودأب كل من أراد الله تكميله، حتى إنهم إذا حضروا في بعض الحضرات الإلهية التي يمكنهم أنْ لا ينظروا فيها إلى سيدنا محمد ﷺ أسرعوا إلى توجيه المشاهدة للأنوار الإلهية نحو الجناب المحمدي، وصرفوا إليه كلمة الحضرة الإلهية، وذُهِلُوا عن كل ما تقتضيه حقائقهم من الكمالات الإلهية تأدباً معه ﷺ. فيحصل لهم ببركة هذا الحالة من الزيادة ما لا يمكن شرحه، وذلك أنهم يسمعون ويشهدون حينئذ بالسمع والبصر المحمدي ما هو مناسب للقابلية المحمدية التي ليس في

ذات أحد قوتها، فيخلع عليهم إذ ذاك من الخلع المحمدية ما لا يمكن حصولها إلا بهذه الطريقة عناية أو نظرة أو وراثة محمدية، فإذا علمت هذا وتحققته فالزم سبيل جنابه الشريف ولازم الوقوف ببابه المنيف ﷺ.

فإن قلت: لا أدري كيف هذا التعلق والملازمة بهذا الجناب العظيم والنبي الكريم ﷺ؟. أقول لك ولكل محب صادق متوجه، إنّ التعلق بسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ على نوعين:

النوع الأول: هو التعلق الصوري بالجناب المحمدي ﷺ وهو على قسمين أيضاً:

١- هو الاستقامة على كمال الاتباع له ﷺ بمواظبة ما أمر به الكتاب والسُّنة قولاً وفعلاً واعتقاداً على ما هو عليه أحد الأئمة الأربعة الفقهاء، وهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، إذ قد وقع إجماع العلماء المحققين بأنّ هؤلاء المذكورين من الأئمة هم أهل الحق، وهم الفرقة الناجية إنْ شاء الله تعالى يوم القيامة وهم في خيرية القرون.

ومن كمال هذا القسم من الاتباع الصوري، أنْ تعتمد فعل عزائم الأمور ولا تركن إلى الرخص، فإنّ الله تعالى أمر نبيه ﷺ بارتكاب العزائم في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. فأمره أنْ يصبر صبراً كصبر أولي العزم دون غيرهم، وهم خمسة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ جميعاً، سيدنا نوح، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا موسى، وسيدنا عيسى، وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. فينبغي للتابع الكامل الاتباع أنْ يأتي بعزائم الأمور ولا يركن إلى التسهيل ولا يقف مع الرخص، ولا مع ما أمر به ونهى عنه، فإنّ ذلك مقام الإسلام، ونحن نطلب لك ما نطلبه لأنفسنا من مقامات القربة والصدّيقية.

ومن شرطها: اتباع النبي ﷺ في ارتكاب عزائم الأمور، ولن تقدر على ذلك إلا بعد معرفة النفس ودسائسها وعللها، ولا يعرف ذلك إلا بواسطة شيخ من أهل الله تعالى مشهود له بالتربية والتزكية يدلك على ذلك جميعه ويعرّفك ما هو اللائق بك في كل زمان من الأعمال والأحوال.

وفي القصيدة العينية الطويلة يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

وإنْ ساعَدَ المقدورُ وساقك … إلى شيخ حقٍ في الحقيقة بارع
فقم في رضاه واتّبِع لمراده … ودع كلَ ما من قبل كنت تصانع
وكن عنده كالميتِ عند مغسّل … يقلبُهُ ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره … عليه فإنّ الاعتراض تنازع

ثم يقول: ألا ترى أنّ النبي ﷺ كان في بدايته يتحنث في غار حراء الأيام الكثيرة، فلما انتهى وعظم شأنه ترك التحنُّث في الغار وبقي مع أصحابه طول السنة ما خلا العشر الأواخر من شهر رمضان، فينبغي لك أنْ تطلب شيخاً مرشداً يدلك على معرفة الله تعالى بتعريفه لك بنفسك. فإذا وقعت عليه فلا تخالف أمره ولا تفارق موضعه ولو قطعك البلاء إرباً إرباً، واحذر أنْ تعصيه أو تكتمه شيئاً من أمرك، فلو قضى الله تعالى عليك بعصية ينبغي لك أنْ تعرض لشيخك بعلم ذلك ليسعى في دفع المقتضى لذلك بمداواتك بما يعرفه من أمرك، أو بالشفاعة والالتجاء إلى الله تعالى في حقك ليزيل عنك وخاصة تلك الزلة، فإذا لم يتفق لك الوقوع على رجل من أهل الله تعالى المربين المرشدين، فالزم طريق أهل الله تعالى فيما أدلك عليه.

أ - فراغ القلب من الميل إلى ما سوى الله تعالى في الدنيا والآخرة.

ب- الإقبال على الله تعالى بالكلية بالقصد والمحبة المنزهة عن العلل من غير فتورٍ ولا التفاتٍ ولا مللٍ ولا طلب عِوَضٍ.

جـ- دوام المخالفة للنفس في كل ما تطلبه من الأمور التي تتعلق بمصالحها دنيا وأخرى، وأعظم المخالفات للنفس ترك ما سوى الله تعالى نظراً واعتقاداً وعلماً وحالاً .

د - دوام ذكر الله تعالى من استغفار وتهليل وتكبير وتحميد والصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ ـ وهي من أعظم الأذكار في هذا الزمن لمن لازمها وحافظ عليها بأي صيغة، وأفضلها الجوامع، خاصة لمن فقد المربي المرشد ـ والله يتولى هداك.

٢- **القسم الثاني من النوع الأول**: الذي هو التعلق الصوري. وهو أنْ تتبعه ﷺ بشدة المحبة له حتى تجد ذوق محبتك له سارية في جميع وجودك، سريان الماء في الشجرة، وإنّي والله لأجد محبته ﷺ في قلبي وروحي وسري وجسمي وشعري وشعوري كما أجد شريان الماء البارد في عروقي ووجودي إذا شربته بعد الظمأ الشديد في الحر الشديد. فإنْ لم تجد هذه المحبة التي وصفتها لك، فاعلم أنّك ناقص الإيمان، فاستغفر الله تعالى وتضرع إليه وتب من ذنوبك، وتولع بدوام ذكره النبي ﷺ والتأدب معه، والقيام بما أمر مع اجتناب ما نهى لعلك تنال ذلك فتحشر معه لأنه ﷺ القائل: «المرء مع من أحب». كما مر معنا في الأحاديث السابقة، وقد علمت بما ذكرته لك أنّ النوع الأول الذي هو التعلق الصوري بالجناب المحمدي ﷺ، إنّما هو القيام على ظاهر الشريعة، وسلوك عزائم الأمور، والاسترسال في محبته بالكلية، وبالتعظيم لشأنه ﷺ في السر والعلانية.

ومن جملة التعظيم لشأنه ﷺ: أنْ تتأدب مع أصحابه وأهل بيته بالمحبة والتعظيم والإيثار لهم عليك، وأنْ تتأدب مع كافة أهل الله، فإنهم أقرب الناس إلى النبي ﷺ فإنّ سوء الأدب مع أهل الله موجب للبعد عن الله تعالى، فالله الله في محبتهم والتأدب معهم حق التأدب، والله الموفق الهادي.

النوع الثاني: هو التعلق المعنوي بالجناب المحمدي ﷺ.

وهو أيضاً على قسمين:

١- هو دوام استحضار صورته ﷺ التي سبق حليتها ووصفها في الذهن، والتأدب لها حال الاستحضاربالإجلال والتعظيم والهيبة، فأنْ لم تستحضر تلك الصورة البديعة المثال، وكنت قد رأيته بالمنام، فاستحضر الصورة التي رأيتها في النوم، فإنْ لم تكن رأيته ولم تستطع أنْ تستحضر تلك الصورة المشخصة الموصوفة بعينها، فاذكروصلِّ عليه، ﷺ، وكن في حال ذكرك له كأنك بين يديه في حياته، متأدباً بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء، فإنّ صلاتك تبلغه ويُذكراسمك عنده وربما رَدّ عليك إنْ كنت حاضراً في ذكرك وصلاتك عليه ﷺ. فإنْ لم تستطع أنْ تكون بين يديه بهذا الوصف وكنت قد زرت يوماً ما قبره الشريف، ورأيت روضته الشريفة، وقبته الخضراء العالية الغالية المنيفة، فاستحضر في ذهنك قبره الشريف وتلك الحضرة السنية كلما ذكرته ﷺ أو صليت عليه، وكُن كأنك واقف عند قبره الشريف ﷺ مع الإجلال والتعظيم إلى أن تشهد روحانيته ظاهرة لك، فإن لم تكن زرت قبره الشريف، ولا رأيت موطن حضرته وروضته الشريفة، فأدم الصلاة عليه وتصور أنّه يسمعك ﷺ، وكن إذ ذاك متأدباً جامع الهمة لتصل إليه صلاتك عليه، وأنت حاضر بقلبك لديه، فإنّ لجمع

الهمَّة أثراً، واستحي أن تذكره أو تصلي عليه ﷺ وأنت مشغول عنه بغيره، فتكون صلاتك جسماً بلا روح لأنّ كل عمل يعمله العبد من أعمال البر إذا كان منوطاً بحضور القلب كانت صورة ذلك العمل حية، وإذا كان منوطاً بالغفلة وشُغِلَ الخاطر بالغير كانت صورته ميتة لا روح فيها. فتنبه لذلك والله يتولى هداك.

٢- هو استحضار حقيقته الكاملة، المشرّفة بنور الذات الإلهية في الآباد والآزال، المحيطة بكل كمالٍ حقّيٍ وخَلقيٍ، المستوعبة لكل فضيلة في الوجود صورة ومعنى حكماً وعيناً غيباً وشهادة ظاهراً باطناً، ولن تستطيع أن تستحضر كل ذلك له حتى تعلم أنه ﷺ هو البرزخ الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحديث، لأنه الوحيد المخلوق من نور الذات، والذات جامعة لأوصافها وأفعالها ومؤثراتها، حكماً وعيناً. وإنما كان برزخاً بين الحقايق الحقية والخلقية، لأنّه حقيقة الحقائق أجمع، ولهذا كان ليلة المعراج فوق العرش، وقد علمت أنّ العرش غاية المخلوقات، إذ ليس فوق العرش مخلوق، فعند استوائه ﷺ، كانت المخلوقات بأسرها حتى العرش تحته وربه فوقه، فكان برزخاً بين الحق والخلق بالصورة المحسوسة كما كان برزخاً بالمعنى، لأنّه أصل الوجود صاحب الوجهتين الحقي والخَلقي «يتلقى من الحق ويرشد الخلق» فهو المتصف بكلتا الصفتين، من كلتا الجهتين، صورة ومعنى، حكماً وعيناً ﷺ[1].

أخي الحبيب: اعلم أنّ ثمرة العكوف عليه، هي سبب الوصول إليه، لأنّ المصلي عليه ﷺ كثيراً لا بد أن يتعلق به خاطره فيتعشق قلبه بالصورة

(١) الشيخ عبد الكريم الجيلي، قاب قوسين وملتقى الناموسين بتصرف بسيط، ما بين الشرطتين والقوسين مني.

الروحانية تعشقاً يوجب المحبة. ودوام الذكر له بالصلاة عليه ﷺ، فلأجل ذلك يقرب إليه ويكون عنده ومعه ﷺ. ألا تراه يقول ﷺ: «أكثركم عليّ صلاة أقربكم مني يوم القيامة»(١)، وفي رواية أخرى لأبي يعلى في المسند بلفظ: «إنّ أولاكم بي يوم القيامة أكثركم عليّ صلاة»(٢) ﷺ.

وقد مرّ معنا سابقاً أنّ الله تعالى يُصلّي على المُصلّي على النبي ﷺ بكل واحدة عشراً، كما في حديث أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمروبن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ، فإنه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»(٣).

ولهذا يحصل المصلّي على حقيقة القرب، فيحشر معه ﷺ، فإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان فما تكون نتيجة الصلاة بالقلب والروح والسر، وهل الصلاة إلا الصلة والقرب والاجتماع والإقبال، فإذا حصل هذا الأمر، هل يكون إلا معه عند الله؟! في مقام القربة والعندية عند مليك مقتدر جل جلاله. رزقنا الله وإياكم والمسلمين ذلك، آمين.

قالت عبدة بنت خالد بن معدان : ما كان أبي يأوي إلى فراش مقيله ، إلا وهو يذكر فيه شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والانصار ، يسميهم ويقول : هم أصلي وفصلي ، وإليهم يحن

---

(١) رواه البزار في المسند (١٤٤٦).

(٢) رواه أبو يعلى في المسند (٥٠٨٠).

(٣) رواه مسلم (٣٨٤).

قلبي ، طال شوقي إليهم ، فعجل ربي قبضي إليك !... حتى يغلبه النوم .ورحم الله الشاعر إذ يقول :

كل القلوب إلى الحبيب تميل ومعني بهذا شـاهـد ودليـــل
أما الدليل إذا ذكرت محمـداً صارت دموع العاشقين تسيل

قال اسحق التجيبي رحمه الله تعالى : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده ، لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا .[1]

ونقل ابن جماعة الكناني في كتابه تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم فقال رحمه الله تعالى :

كان الإمام مالك رحمه الله تعالى إذا ذُكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني .

وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده اصفّرَّ لونه .

وكان ابن القاسم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يجف لسانه في فيه، هيبة وإجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى : كنا ندخل على أيوب السختياني، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكى حتى نرحمه .

والحمد لله رب العالمين

❑ ❑ ❑

[1] ـ الشفا / للقاضي عياض .

إثبات نبوته ﷺ

لقد أرسل الله الكثير من الأنبياء، ليبشروا المؤمنين ولينذروا العصاة الكافرين والمنافقين ليخرجوهم من الشرك إلى التوحيد ومن الجهل إلى العلم ومن العصبية القبلية إلى عصبة الأخوة الإيمانية... منهم من أيده الله بمعجزات عظيمة تصديقا لنبوته. كنبيّ الله سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأعطاه الله آية العصا التي تحولت ثعبانا فهزم بها سحرة فرعون وحولت البحر يَبَسَاً فنجى الله بها بني إسرائيل، بل وأحيا الله لموسى السبعين رجلا الذين قالوا: أرنا الله جهرةً فأخذتهم الرجفة.

وكذلك نبي الله وخليل الله سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كيف تحولت النار التي ألقي فيها إلى بردٍ وسلامٍ وخضرةٍ، وكأنّها بستان يتفكّه منه أنّى سار عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومنهم نبي الله إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان يمشي على الماء بعد أن يضرب بردائه الماء، وإحياءه الموتى ورفعه الله إلى السماء لينقذه من مؤامرة القتل، بعد أنْ قُتل أنبياء كثر من قِبل بني إسرائيل حتى سموا بقتلة الأنبياء، فقد جاء في الحديث عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ثم يقوم سوقُ بَقلهم في آخر النهار»[1]، كذلك النبي اليسع عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أحيا موتى وبارك الطعام وشفى مرضى.

ونبي الله حزقيال أو حزقيائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أحيا الله له ثلاثين ألفا من الموتى لتكون آية عظيمة أمام بني اسرائيل. وكذلك أعطى الله المسيح بن

---

(١) أخرجه أحمد وابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٤٨٣.

مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ معجزات أحيا بها ثلاثة من الموتى وشفى مرضى وأخرج شياطين.

وكذلك النبي المصطفى ﷺ سيد المرسلين وخاتم النبيين، أيده الله تعالى بالمعجزات البينات الواضحات الصريحات والتي عدها المؤرخون بألف معجزة أو تزيد.

إنّ دلائل نبوته ﷺ قسمان كما قرره أهل العلم:

الأول: الخوارق التي ظهرت في حياته المباركة ﷺ.

الثاني: الخوارق التي حدثت بعده ﷺ تصديقاً لنبوته.

والأول ينقسم إلى قسمين أيضاً: معنوي قرآني، ومادي كوني.

وعلى الوجه الآخر نجد من هؤلاء الأنبياء، من لم تذكر الكتب أنه أتى بمعجزة واحدة كيحيى بن زكريا عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، ومع ذلك فهو نبي كريم من الأنبياء المقربين المذكورين بالقرآن العظيم. إلا أنه في وقتنا هذا اجتمعت كل قوى الشرك على الإسلام ونبي الإسلام ﷺ، ليطفئوا نور الله بأفواههم فأصبحنا نرى الكثير من منتسبي الأديان... يفترون الكذب على النبي ﷺ سيد المرسلين، وخاتم النبيين ليشككوا في نبوته؟؟!!. وإنّ هذه من أخطر الوسائل المعاصرة للكيد للإسلام والمسلمين، ألا وهي التشكيك في نبوته ﷺ، وهذا هو سبيل المشركين والمستشرقين وأذنابهم الفسقة أصحاب اللاضمير، وهم يحاولون بشتى الوسائل إثارة الشُبه بين المسلمين في مصادر الوحي والتنزيل ولا شك أنّ القرآن الكريم قد تصدى إلى كثير من شبههم وادعاءاتهم وكذبهم وفنّدَها ورد عليها ودحضها.

فنقول في إثبات نبوته ﷺ لمن شكك في ذلك. إنّ ثبوت نبوته ﷺ من الأمور التي لا تحتاج إلى كثير جدال، لأن جحدها إنكار للربوبية والألوهية على حد سواء بل إنكار للكتب السماوية والشرائع السابقة. وإنكار لنبوة جميع الأنبياء من قبله، فجميع العقائد لم تُعرف بالوجه الصحيح، إلا عن طريقه ﷺ، وأنّ جميع الرسل قبله قد بشروا بنبوته ﷺ، فيلزم من تكذيبه تكذيب جميع الرسل قبله. وقد جاء ﷺ بالآيات الباهرات والدلائل العظام، على نبوته ما لم يأت به نبي قبله، فإذا انتفت نبوته مع وضوحها كان الانتفاء لغيرها من باب أولى. ومن هنا فان إثبات نبوته ﷺ، لا تحتاج إلى دليل وبرهان لأن الأدلة تصغر وتتلاشى أمام دلائل صدقه، وما نراه اليوم من حملات الشجب والإستنكار والادانة في العالم الإسلامي، وكثرة المدافعين عنه من هذه الامة التي لم تره ﷺ، ولكنها أُشربت حبه لخَير دليلٍ كافٍ على نبوته ﷺ وكان هذا من أسباب تأليف هذا الكتاب.

ولم نكتف بهذا بل لا بد من الرد عليهم، بكل الوسائل الممكنة والمتاحة، فكراً وعلماً. ومن هذه الأباطيل التي أصبحت تطفو على السطح تلكم الحرب الدنيئة المسعورة... القول بأنّ النبي لم تكن له معجزات كباقي الأنبياء!!.. وتناسى هؤلاء أنه لو لم يأت النبي الأمي إلا بالقرآن الكريم وحده لكفاه!!. وإلى هؤلاء الضالين الكاذبين المارقين أذناب أسيادهم المستشرقين أقول: «أنّى للذباب أنْ يناطح السحاب» و«أنّى لليد الشلاء أنْ تطال السماء». فها هي أمامكم بعض معجزات النبي المصطفى ﷺ، تتحداكم وتثبت بهتانكم وتكشف عوار كذبكم.. ولتثبّتَ قلوب المؤمنين.

ولعل أبرزها المعجزة العظمى الخالدة:

١ - القرآن الكريم المعجزة الخالدة

هو كلام الله المعجز نزل بلسان عربي مبين أعجزالعرب بحسن ألفاظه وجميل معانيه تحدى الله به العرب وقد كانوا أصحاب فصاحة وبلاغة وبيان..

هو الكتاب الذي أفحم الشعراء وأسكت الخطباء وأعجز الفصحاء وأعجب العلماء وأذهل الحكماء. وليس الإعجاز القرآني لوناً واحداً بل هو ألوان متعددة، فهذا إعجاز في خلق الأكوان، وآخر في خلق الإنسان، وثالث في خلق النبات والطير والحشرات والحيوان، ورابع غيبي وخامس تشريعي، وسادس اقتصادي، وسابع غذائي، وثامن وقائي، وتاسع طبي، وعاشر لغوي، وألوان أُخرى لا يُحصى عددها، ولا يعلم كنهها إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ [فصلت: ٥٣].

هو المعجزة المستمرة إلى يوم القيامة لكل الأجيال والأزمان.

ما إن سمعه الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ حتى قال: «سمعت منه كلامًا ليس من كلام الجن، ولا من كلام الإنس، والله إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه يعلو ولا يُعلى عليه». اهـ.

فيه إخبار بالمغيبات فلا يمر عصر من العصور، إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر وهو معجزة اختص الله بها نبيه محمداً ﷺ دون بقية الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، الذين كانت معجزاتهم تنتهي بموتهم. وفيه الكثير الكثير من المعجزات فكل آية منه معجزة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحيا أوحاه الله الي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ لهذا الحديث عدة معان منها:

١- إنّ القرآن هو المعجزة العظمى التي تحدى بها الرسول ﷺ العرب والعجم وهي خاصة به وليس المراد أنه لم يؤت غيرها.

٢- إنّ هذا القرآن ليس له مثل بخلاف غيره من المعجزات ومنها أنّ كل نبي قبله يأتي بمعجزة إنّما يكون مثلها حصل لغيره من الأنبياء عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ.

أما النبي محمد ﷺ فلم يؤتى غيره مثله.

٣- إنّ معجزات الأنبياء عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ انقرضت بانقراض أعصارهم، أما معجزة القرآن الكريم فهي باقية ودائمه(٢) وهو منطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها نحتصرها في خمسة أوجه:

الوجه الأول:إعجازكلماته وفصاحته،ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة لعادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن، وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة أو الحكمه بما لم يخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من فصاحة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب. وكأن الله تعالى يهيء لغة ويهيء رسولاً لاستقبال هذا القرآن المعجز لفظاً ومعنىً.

جعل الله لهم ذلك طبعًا وخلقة، فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أحكمت

---

(١) رواه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

(٢) فتح الباري.

آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتضافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه، صارخًا بهم في كل حين بضعة وعشرين عامًا على رؤوس الملأ أجمعين: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨]، ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٣]، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

الوجه الثاني: من إعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم ووقفوا عاجزين أمام تحديه المعجز.

أخرج البخاري عن جبير بن مطعم، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥] إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: ٣٧]. كاد قلبي أن يطير للإسلام[(١)].

وفي رواية: «وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي»[(٢)].

(١) رواه البخاري (٤٨٥٤).

(٢) رواه البخاري (٤٠٢٣).

وعن عتبة بن ربيعة: «أنه كلم النبي ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه، فتلا عليهم: ﴿حمٓ﴾ [غافر: ١] فصلت إلى قوله: ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسك عتبة بيده على فيِّ النبي ﷺ، وناشده الرحم أن يكف». وفي رواية: «فجعل النبي ﷺ يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره، معتمد عليهما، حتى انتهى إلى السجدة، فسجد النبي ﷺ، وقام عتبة لا يدري بم يراجعه، ورجع إلى أهله، ولم يخرج قومه حتى أتوه، فاعتذر لهم، وقال: والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط وما دريت ما أقول له»[1].

الوجه الثالث: من الإعجاز ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقوله: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٣-٤].

وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: ٩].

وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

وقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١-٢].

فكان جميع هذا كما أخبر عنه ﷺ.

---

(١) الشفا للقاضي عياض.

فغلبت الروم فارس ودخل الناس في الدين أفواجاً، واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم في وقت من أقصى بلاد الأندلس غرباً إلي أقاصي الهند شرقاً، ومن بلاد الأناضول تركيا شمالاً إلي أقاصي السودان جنوباً.

الوجه الرابع: ظهوره على لسان أمي لم يعرف القراءة ولا الكتابة، وما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع السابقة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك.

فيورده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على وجهه، ويأتي به على نصه فيقر العالم بذلك بصحته وصدقه، وإنّ مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه ﷺ، أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مجالسة، لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم.

وكثيراً ما كان يسأله أهل الكتاب عن هذا، فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً كقصص الأنبياء وبدء الخلق وما في الكتب السابقة، مما صدقه فيه العلماء بها، ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، ولم يؤثر أنّ واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحاً ولا سقيماً من صحفه، بعد أن قرّعهم ووبخهم بقوله: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

روى البخاري في إسلام عبدالله بن سلام عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال: إنّي سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلّا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ فقال رسول الله ﷺ: «أخبرني بهن آنفا جبريل» قال: فقال عبد الله: ذلك عدو اليهود من الملائكه، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإنّ الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان

الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها». قال: أشهد أنّك رسول الله ثم قال: يا رسول الله، إنّ اليهود قوم بُهتٌ، إنْ علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟». قالوا أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال: رسول الله ﷺ: «أفرأيتم إن أسلمَ عبد الله؟». قالوا أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، فقالوا: شرُنا، وابنُ شرنا، ووقعوا فيه!!»[1].

قال أبو نعيم في الدلائل: «ونعوته وصفاته في الكتب المنزلة، وعند الرهبان والأساقفة والأحبار من أهل الكتابين مستفيض، وكانوا يرجعون في أمر بعثته وإرساله إلى علم متيقن، كتبشير الأنبياء في أمر بعثته وإرساله، وإيصائهم أمتهم بتصديقه إنْ أدركته وما كانت في أيديهم من الكتب والعهود المتقدمة المتواترة عن آبائهم».

الوجه الخامس: أسرار علمية لم تهتدي العقول إليها بعد عصر القرآن إلا بأحدث الأجهزة الالكترونية الحديثة. وإليكم بعض الأمثلة وهي قليل من كثير اكتفينا بالبعض دون الكل:

هل تذكرون نظرية الانفجار العظيم الذي فاز صاحبها بجائزة نوبل. إنّ القرآن قد أخبر عنها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان. وذلك في قول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٢٩)،وأحمد (١٢٠٨٠)، وابن حبان(٧١٦١).

إنّ القرآن يقول منذ أربعة عشر قرناً من الزمان أنّ السماوات والأرض مخلوقتين... وليستا أزليتين... وهذا ما أكدته نظرية الانفجار العظيم..

إذ يقول الدكتور «روجر» أحد علماء الفلك والأرصاد في أمريكا: كل الدلائل تثبت أنّ الأرض والسماء كانتا جسماً واحداً ثم أخذ ينفصل بعضه عن بعض، كانتا جسماً حاراً، فيه حرارة ولم يكن فيه ظلام شديد، ولا ضوء شديد بل ممزوج، فيه شيء من الحرارة، وشيء من الاضاءة الخفيه، وشيء من الظلام وهو دخان حار، وبعد الانفصال انفصلت الأرض عن السماء، بعد هذا تجمعت النجوم، والمادة التي تُكَوِن النجوم، ثم أضاءت واشتد ضوء السماء، والمناطق التي انفصلت منها هذه المادة أظلمت واشتد ظلامها، فخرج النور واشتد الظلام بعد أن رفعت السماء عن الأرض وتباعدت.

ونسبة الهيليوم إلى الهيدروجين الموجودة على الأرض... وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

إنّ القرآن الكريم يقول: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وهذا ما أثبتته نظرية الانفجار العظيم حين قالوا إنّ الكون في حالة تمدد دائم مثل البالون، أعلن عالم الفلك الأمريكي المشهور ـ هابل ـ في عام ١٩٢٩م.

أنّ المجرات تتباعد بسرعة عنا في جميع الاتجاهات، وتخضع لعلاقة طردية مباشرة واستنتج وفقا لظاهرة دوبلر أنّ الكون يتمدد... هل كان النبي محمد ﷺ يعلم ذلك من تلقاء نفسه أم أنّ الله علمه بالوحي والتنزيل؟.

إنّ القرآن منذ أربعة عشر قرنا من الزمان يقول إنّ الشمس تجري وتتحرك وتدور حول نفسها. ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٨-٣٩] والمدار الذي يدور فيه القمر كأنّه ورق النخيل القديم: ذكر ابن كثير في تفسيره[1]: «وأما القمر فقدره منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا، قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة الثانيه ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وإن كان مقتبسا من الشمس، حتى يتكامل نوره في الليله الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم». قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: وهو أصل العذق. وقال مجاهد: العرجون القديم أي العذق اليابس.

فبالشمس تعرف الأيّام وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام.

قال القرطبي: والمنازل ثمانية وعشرون منزلة للقمر ينزل القمر كل ليلة منها بمنزل، فإذا صار القمر في آخرها عاد الى أولها، فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ثم يطلع هلالاً. أثبت العلم الحديث أنّ القمر أصغر كثيرا من الشمس فقطره أصغر ٤٣٦ مرة من قطر الشمس وحجم الشمس يساوي ٣٣٣ ألف مرة قدر كوكب الأرض.

ولهذا قال سيدنا إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: لما رأى الشمس بازغة قال «هذا أكبر» فالشمس أكبر شيء رآه سيدنا إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، ولم يقل أكبر من القمر، لأنها أكبر أيضًا من الكوكب الآخر الذي رآه ابراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

كشف العالِم الإنجليزي «ريتشارد كارينغتون» في منتصف القرن التاسع عشر أنّ الشمس تدور حول نفسها خلال فترة زمنيه بـ٢٨ يوماً وست ساعات و٤٣ دقيقة. وجاء في الموسوعة الأمريكية أنّ الشمس تجري بسرعة ٢٢٠كيلو

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٩.

متر في الثانية. وأن درب التبانة تحتوي على ١٠٠ بليون نجم[١] هل كان النبي محمد ﷺ يعلم ذلك من تلقاء نفسه أم أنّ الله علمه ذلك بالوحي والقرآن؟.

إنّ القرآن منذ أربعة عشر قرناً من الزمان يقول إنّ كمية الماء الموجودة على الأرض.. هي.. هي نفس الكمية الموجودة منذ خلق الله السماوات والأرض.

أثبت العلم الحديث بعد أن اتسعت آفاقه واستحدث كل جديد في قياساته، يقرر أنّ دورة المياه الأرضية ثابتة ما دامت قد وجدت الحياة، وأنّه لا سبيل إلى زيادة الماء قطرة واحدة ولا أن ينقص منها قطرة واحدة، فالماء يتبخر من المسطحات المائيه ليعود على شكل أمطار يشرب منها الإنسان والحيوان، ويسقى بها الزرع والنبات، وما تستهلكه كل الأحياء من ماء إنّما يعود إلى الأرض ثانيةً كاملاً غير منقوص في مخلفاتها أو بقايا أجسامها، وأنّ جبال الجليد والثلوج عندما تسيل فانها لا تضيف جديدا على الماء لأنها أصلا من ماء الأرض[٢].

وأنّ طبقات الجوالعليا تحفظ الأرض من خطرالأشعة الكونية الخارجية الضارة، فيقول تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ [الطارق: ١١].

وأثبت العلم الحديث ما يلي:

١- ترجع بخار الماء مطراً.

٢- ترجع الاجسام بالجاذبية الارضية.

٣- ترجع الأمواج اللاسلكية بانعكاسها من طبقة الأيونوسفير.

٤- ترجع الأشعة الحمراء فتدفئ الأرض ليلاً.

---

(١) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم.

(٢) الإشارات العلمية، ص٧٢.

وهذا ما أثبته العلم الحديث.. هل كان النبي محمدٌ ﷺ يعلم ذلك من تلقاء نفسه أم الوحي والتنزيل من الرب العظيم؟.

إنّ القرآن منذ أربعة عشر قرناً من الزمان يقول: إنّ الأرض بها شق يساعد على ابتعاد اليابسة بعضها عن بعض كل عام فيقول: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١٢] وهذا ما أثبته العلم الحديث..

هل كان النبي محمدٌ ﷺ يعلم ذلك من تلقاء نفسه أم القرآن المنزل عليه من ذي الجلال والإكرام؟.

إنّ القرآن منذ أربعة عشر قرنا من الزمان يقول إنّ الحديد قد أنزله الله من الفضاء بعد استواء طبقات الأرض فيقول: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد: ٢٥].

وهذا ما أثبته العلم الحديث.

هل كان النبي محمدٌ ﷺ يعلم ذلك من تلقاء نفسه؟

إنّ القرآن منذ أربعة عشر قرناً من الزمان يقول باختلاف بصمات الإنسان وأنّها خاصة بكل شخص فيقول: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣-٤].

وهذا ما أثبته العلم الحديث، لكل شخص بصمة خاصة به لا تماثلها بصمة أُخرى، إنّ الخطوط المميزة لبصمات الأصابع والتي لا تتكرر بين إنسانٍ وإنسانٍ آخر في أي زمانٍ أو مكانٍ، حقيقة علمية لم يكتشفها الطب الحديث إلا في القرن التاسع عشر، ومن هنا كان إعجاز القرآن في الرد على منكري البعث بالتنويه بقدرة الله تعالى على تسوية البنان، بأدق التفاصيل

المميزة لكل إنسان ذلك البنان الذي يبدو ضئيل الشأن صغير الحجم بينما هو دقيق في خلقه ودلالته(١).

إنّ القرآن منذ أربعة عشر قرناً من الزمان يقول عن مراحل تكوين الجنين بدقةٍ متناهيةٍ لا مثيلَ ولا نظيرَلها. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٣-١٥].

هذا ما قال به ـ كيث مور ـ عالم الأجنة وهذا ما أثبته العلم الحديث، بعد ظهورالميكروسكوبات وتتطور العلم بالأشعه وغيرها. فاذا استقرت النطفة في رحم المرآة مكثت أربعين يوماً، ثم تنقلب علقة حمراء بإذن الله. فتمكث كذلك أربعين يوماً ثم تستحيل فتصير مضغة. ثم يشرع في التشكل والتخطيط، فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء، فإذا مضى عليها أربعون يوماً وهي مضغة أرسل الله لها ملكاً فنفخ فيها الروح(٢).

حقيقة علمية طبية حديثة جداً: ظل المختصون في علم الأجنة، حتى فترة قريبة يفترضون أنّ العظام والعضلات، تتكون في وقت واحد ولكن الأبحاث الميكروسكوبية المتطورة، كشفت أنّ الوحي القرآني صحيح تماماً، بحيث تتكون الأنسجة الغضروفية التي تتحول إلى عظام الجنين، ثم تتكون بعدها خلايا العضلات، ثم تتجمع وتتكون لتلتف حول العظام،

---

(١) البرهان العلمي للإسلام، ص١١٥-١١٦ بتصرف.

(٢) تاريخ ابن كثير ٢/ ٦٤٢.

ففي الأسبوع السابع يبداء الهيكل العظمي بالانتشار في الجسم، وتأخذ العظام شكلها المألوف، وفي نهاية الأسبوع السابع وخلال الأسبوع الثامن تأخذ العضلات وضعيتها حول أشكال العظام[1] وكذلك مراحل خلق الإنسان في بطن أمه عبر جدار البطن وجدار الرحم والغشاء الأمنيوتي فيقول تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦] قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يعني ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، التي هي كالغشاوة، وظلمة البطن[2].

وهذا ما أثبته العلم الحديث تماماً فهي:

١- ظلمة البطن Abdominal Cavity.

٢- ظلمة الرحم Cavity Uterine.

٣- ظلمة المشيمة Placenta[3].

هل كان النبي محمدٌ ﷺ يعلم ذلك من تلقاء نفسه؟.

وكيف طابق العلم الحديث تفسير حبر الامة سيدنا عبد الله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا حرفاً بحرف. فمن عرّفه ذلك؟.

القرآن منذ أربعة عشر قرنا من الزمان يقول إنّ جنس الجنين يتحدد بنوعية الحيوان المنوي الآتي من الذَكَر.

---

(١) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية، بتصرف.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٨.

(٣) آيات الله في خلق الإنسان، ص٢١.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥-٤٦] وهذا ما أثبته العلم الحديث فالرجل هو المسؤول عن جنس الحيوان المنوي وليس الأنثى. هل كان النبي محمد ﷺ يعلم ذلك من تلقاء نفسه، أم إنّه الوحي والتنزيل والعلم الإلهي؟

هل تعلمون أنّ في هذا الكون العظيم ٢٠٠ بليون مجرة في كل مجرة ٢٠٠ بليون نجم وكوكب.. والأرض كوكب من هذه الكواكب التي في المجرات.

أخي الحبيب: لا ولم يحدث أنْ اصطدم كوكب بكوكب أو نجم بنجم رغم هذا العدد الهائل، فأي نظام إلهي محكم عظيم يسيطر على هذا الكون الواسع بمنتهى هذه الدقة العظيمة؟!. تُرَىٰ كم حادث مروري يقع في العالم يومياً، وكم نصيب بلدنا من هذه الحوادث اليومية، وكم عدد ضحايانا جرّاء هذه الحوادث، رغم القوانين والتكنولوجيا الحديثة؟. وكم خسارتنا المادية السنوية للحوادث؟. وتذكروا معي أنّ مدير دائرة السير في الأردن عربيات رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات بحادث سير، وفقدنا غيره الكثير الكثير من الأعزاء كالآباء والأبناء والأطفال والنساء. رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جميعاً، وألهمنا وذويهم الصبر والسلوان. آمين.

لقد أخبرنا القرآن عن ذلك منذ أربعة عشر قرنا من الزمان حيث قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

يقول موريس بوكاي: «لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصه بهذه الظواهر، وهي تفاصيل لا يمكن أنْ تدرك إلا بالنص الأصلي، أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظواهر، والتي لم يكن ممكنا لأي إنسان بعصر محمد، أن يكوّن عنها أدنى فكرة»، ويقول أيضاً: «وبفضل

الدراسة الواعية للنص العربي، استطعت أن أُحقق قائمة أنّ القرآن لا يحتوي على أيّة مقولة قابلة للنقض من وجهة نظر العلم في العصر الحديث. الله أكبر!!. هذه اعترافاتهم»[1].

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وسائر معجزات الأنبياء لم يبق إلا خبرها والقرآن إلى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضته ممتنعة ومستحيلة تتحدى الكل.

وصدق رسول الله إذ يقول فيه: «إنّ الله أنزل هذا القرآن آمراً وزاجراً وسنةً خاليةً ومثلاً مضروباً فيه نبؤكم، وخبر من كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم وحُكم ما بينكم، لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به أفلح، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هُدي إلي صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله. هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ولا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا يخلق من كثرة الرد». (٢)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

❑ ❑ ❑

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الإلهية.

(٢)رواه الترمذي ، وضعفه الألباني في المشكاة(٢١٣٨)

٢- معجزاته ﷺ الدالة على صدق نبوته

١- سأل كفار مكة الرسول ﷺ أنْ يريهم آية فدعا ربه فأراهم القمر ينشق إلى شقين. فقالت قريش: هذا سحر ثم قالوا انظروا ما يأتيكم من أهل الأسفار فإنّ محمداً لا يستطيع أنْ يسحر الناس كلهم؟. فجاء أهل الأسفار بخبر انشقاق القمر، ومع عظم هذه المعجزة فإنّ أهل مكة المعاندين لم يصدقوا ولم يذعنوا بل استمروا على كفرهم وإعراضهم، فقال: أبو جهل هذا سحر مستمر دائم. وقال آخرون سحرنا محمد. فقال: بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أنْ يسحر الناس كلهم.!! فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢].

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنّ أهل مكة سألوا الرسول ﷺ أنْ يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما[١].

٢- لما أَمَرَ النبي ﷺ عليًا، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوم الهجرة أنْ يبيت في مضجعه تلك الليلة، واجتمع أولئك النفر من قريش، يتطلعون من صير الباب ويرصدونه ويريدون بياته، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج الرسول ﷺ عليهم، فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذره على رؤوسهم وهم لا يرونه وهو يتلو الآية: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

ومضى الرسول ﷺ إلى بيت أبي بكر فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً وجاء رجل ورأى القوم ببابه. فقال: ما تنتظرون؟

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

قالوا: محمدًا قال: خبتم وخسرتم.. والله لقد مرّ بكم وذرّ على رؤوسكم التراب!!

قالوا: والله ما أبصرناه وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم:

أبو جهل والحكم بن العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأبي بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج[1].

٣- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ رجلاً دخل المسجد يوم جمعة والرسول ﷺ قائم يَخْطُبُ فاستقبل الرسول ﷺ قائمًا ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال، «المراد المواشي خصوصاً الإبل وهلاكها من قلة الأقوات بسبب عدم المطر والنبات» وانقطعت السبل «أي انقطت الطرق فلم تسلكها الإبل إما لخوف الهلاك أو الضعف بسبب قلة الكلأ أو عدمه» فادع الله يغثنا قال: فرفع الرسول ﷺ يديه ثم قال: «اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا» قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة «القطعة من الغيم» وما بيننا وبين سلع «جبل قرب المدينة» من بيت ولا دار قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس «هو ما يتقي به السيف ووجه الشبه الاستدارة والكثافة لا القدر»، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا «أسبوعاً». قال: ثم دخل الرجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة والرسول ﷺ قائم يَخْطُبُ فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع الرسول ﷺ يديه ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام «جمع أكمة

(١) أخرجه أحمد١/ ٣٤٨،وابن سعد١/ ٢٢٧-٢٢٨،وحسنه ابن حجربالفتح.

وهي الرابية المرتفعة من الأرض» والظراب «جمع ظرب وهي صغار الجبال والتلال» ومنابت الشجر».

فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس[1].

٤- حينما لحق سراقه بالرسول ﷺ وأبي بكر، لما جعل المشركون لمن يظفر بهما مائة ناقه. فقال ﷺ: «اللهم اكفناه بما شئت». فساحت يدا فرسه في الأرض، فقال سراقة: ادعو الله لي وأرد عنكم الطلب. فدعا له الرسول ﷺ فأُطلِق وحدث ذلك ثلاثاً.

ثم قال له النبي كيف بك يا سراقة وفي يديك سواري كسرى.

فعاد يقول لمن يجد لقد كفيتكم ما هنا.. ثم أسلم سراقة بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وتوفي النبي ﷺ.

وفي عهد عمر بن الخطاب فتح الله عليهم بلاد فارس. فأخذ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سواري كسرى وجعلهم في معصمي سراقة بن مالك.

ومضى في المدينة يقول صدق رسول الله، صدق رسول الله، ﷺ.

حقاً إنها معجزة نبوية محمدية مصطفوية[2].

٥- دعا الرسول ﷺ لسعد بن أبي وقاص فقال: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك». فكانت دعوته مستجابة..

وقيل لسعد متى أصبت الدعوة؟

---

(١) رواه البخاري (١٠٢١).

(٢) سبق تخريجه.

قال يوم بدر حين قال ﷺ: «اللهم استجب لسعد»[1].

ومن هذا ما رواه جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شكا أهل الكوفة سعدًا بن أبي قاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعزله واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا سعدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إنّ هؤلاء يزعمون أنّك لا تحسن تصلي! فقال: أما والله فإنّي كنت أصلي بهم صلاة الرسول ﷺ لا أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين.

قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق.

وأرسل معه رجالاً إلى الكوفة يسألون عنه أهل الكوفة فلم يدع مسجدًا إلا سأل عنه ويثنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس فقام رجل منهم يقال له:

أسامة بن قتادة يُكنّى أبا سعدة فقال: أما إذا نشدتنا، فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية.

قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءً وسمعةً فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن.

قال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة:

فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن، وكان بعد ذلك إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد[2].

---

(١) الحاكم (٦١١٨)، وابن حبان (٦٩٩٠)، وابن عساكر في تاريخه ٢٠/ ٣٣٨.

(٢) تاريخ ابن عساكر.

٦- ترك عمير بن وهب ابنه بعد بدر أسيراً لدى المسلمين، فجلس مع صفوان بن أمية عند الكعبة وقال: لولا ديون علي وعيال أخشى عليهم الضياع لمضيت إلى محمد وقتلته. فقال صفوان: أنا أكفيك دينك وأضم عيالك إلى عيالي، فحشا سيفه سماً، وذهب إلى المدينة وأراد مسجد الرسول ﷺ.

فلما رأه عمر بن الخطاب أخذ بتلابيبه وطوق عنقه بحمالة سيفه وأدخله على الرسول ﷺ. فقال: «أستأخر عنه يا عمر».

فتأخر عنه فقال له رسول الله: «ما الذي جاء بك يا عمير؟».

قال: جئت أرجو فكاك هذا الأسير «يقصد ابنه».

قال رسول الله: «فما بال السيف الذي في عنقك؟»..

قال: قبحها الله من سيوف.. وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر؟..

قال رسول الله: «اصدقني ما الذي جاء بك يا عمير؟» قال: ما جئت إلا لذاك.

قال رسول الله: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية عند الحِجر فتذاكرتما أصحاب القليب من صرعى قريش ثم قلت: لولا دَيْن علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا... فتحمّل لك صفوان بن أمية دينك وعيالك على أن تقتلني والله حائل بيني وبين ذلك». فذهل عمير لحظة ثم قال: أشهد أنك رسول الله.

٧- عن عثمان بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أنّ رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أدع الله أنْ يعافيني، فقال: «إنْ شئت أخّرت ذلك فهو أفضل لآخرتك وإنْ شئت دعوت لك» قال: لا بل أدع الله لي. قال: فأمره

أنْ يتوضأ ويصلي ركعتين وأنْ يدعو بهذا الدعاء: «اللهم أني أسألك وأتوجّه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة أن ترد علي بصري».

وفعل الرجل فبرأ(١).

٨- تلى الرسول ﷺ سورة النجم ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] حتى وصل إلى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]. قال عتبة بن أبي لهب: كفرت بالذي دنى فتدلى، فقال الرسول ﷺ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فخرج عتبة مع أصحابه في عير إلى الشام، حتى إذا كانوا في طريقهم زأر أسد، فجعلت فرائص عتبة ترتعد، فقال أصحابه: من أي شيء ترتعد؟ فو الله ما نحن وأنت إلا سواء! فقال: إنّ محمداً دعا علي وما ترد له دعوة ولا أصدق منه لهجة، فوضعوا العشاء فلم يُدخل يده فيه، وحاط القوم أنفسهم بمتاعهم وجعلوا عتبة وسطهم، وناموا فجاء الأسد يشم رؤوسهم حتى انتهى إلى عتبة فهشمه فقال: وهو يموت ألم أقل لكم إنّ محمداً أصدق الناس لهجة(٢).

الله أكبر الله أكبر!!!. حقاً إنّ الكفر عناد!!! يعرفون صدقه ولا يتبعونه، الله أكبر ما أقسى قلوبهم، وأشد كفرهم!!

٩- إنّ ضمرة بن ثعلبه البهزي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قال يا رسول الله أدع الله لي بالشهادة، فقال الرسول ﷺ: «اللهم إني أحرم دم ابن ثعلبه على المشركين». فكان يحمل على المشركين حتى يخرق الصف ثم يعود.

---

(١) رواه أحمد (١٧٢٤٠)، والترمذي (٣٥٨٧)، وصححه الألباني.

(٢) رواه الحاكم ٢/ ٥٨٨، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٢٣٨، وابن حجر بالفتح ٤/ ٣٩، وصححه الذهبي.

قال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول أهل التحقيق أنّ الاعجاز وقع في جميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده فإنّه جمعٌ كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق[1] وقد نقل عن بعض المتأخرين إنكار هذه المعجزات والزعم بانّ معجزته ﷺ خاصة بالقرآن فقط، وهذا القول يفضي إلى إنكار السنة والطعن فيها وهذا سبيل إلى إنكار أحكام الشريعة وتفاصيلها فنقول: إنّ من روى لنا هذه المعجزات هو الذي روى لنا هذه الأحكام، لا سيما مع ما علم من اهتمام العلماء الأجلاء والسلف الصالح، في تدقيق النصوص وتمحيصها والحكم على الأسانيد، وكثير منها قد تواتر نقله، وقد نص على تواترها عدد من الأئمة الأعلام.

قال ابن تيميه: «ومنها ماهو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من أصابعه وتكثير الطعام وحنين الجدع، فانّ كل من ذلك تواترت به الأخبار واستفاضت، ونقلته الأُمة جيلاً بعد جيلٍ وخلفاً عن سلفٍ، فما من طبقةٍ من طبقات الأُمة إلا وهذه الآيات منقولةٌ مشهورة مستفيضة فيها»[2].

وقد نص على تواترها ابن حجر حيث قال: «ومجموع ذلك يفيد القطع حيث ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بجود حاتم! وشجاعة علي! وإنْ كانت أفراد ذلك ظنيه وردت مورد الآحاد، مع أنّ كثيراً من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير والجم الوفير، وأفاد الكثير من القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسيّر والأخبار... بل لو ادعى مدعٍ أنّ غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطرق النظر لما كان مستبعداً»[3].

---

(١) البرهان في علوم القرآن.

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية.

(٣) فتح الباري.

أقول بلغت حد التواتر اللفظي لا المعنوي لكثرة طرقها وتقوية بعضها بعضا.

ناهيك أخي الحبيب... أنّه ﷺ أُرسل للثقلين الإنس والجن فرسالته عامة. فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، الا كان من أصحاب النار»[1].

قال ابن تيمية في الفتاوى: «يجب على الإنسان أنْ يعلم أنّ الله عَزَّوَجَلَّ أرسل محمداً ﷺ، إلى جميع الثقلين: الأنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف السلمين، أهل السنة والجماعة وغيرهم لم يخالف أحد...»[2].

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله: أنّ النبي ﷺ قال: «أعطيتُ خمساً، لم يعطهنّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهرٍ، وجعلت لي لأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحدٍ قبلي، وأُعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً، وبُعثتُ إلى الناس عامةً»[3].

صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله

❑ ❑ ❑

(١) مسلم (١٥٣).

(٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية.

(٣) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

من جوامع خطبه ﷺ

لقد اعتنى الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بحفظ السنة، وبلغوها إلى من بعدهم، ثم دونت في المعاجم، والمصنفات والمسانيد فيما بعد كما هو معلوم.

وخُطَبُ النبي ﷺ لم يحصل تدوينها وكتابتها في عهده ﷺ، لكنها توجد في الغالب مفرقة فيما نقله الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فقد ينقل بعضهم أول كلامه ﷺ في الخطبة، وينقل صحابي آخر آخرها أو وسطها، ولهذا جاء في حديث أبي زيد عمرو بن أخطب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال:

١- صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الفَجْرَ، وصَعِدَ المِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَت الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَت العَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَت الشَّمْسُ، فأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وبِمَا هُوَ كَائِن، وأَعْلَمُنَا أَحْفَظنا[1].

وقد يحصل النص في بعض الأحاديث أنّ النبي ﷺ قاله في خطبة الجمعة كما في حديث جابر بن عبد الله قال:

٢- كان رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاه، وعَلا صَوْتُهُ، واشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يقولُ: «صَبَّحَكُمْ ومَسَّاكُمْ»، ويقولُ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى، ويقولُ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وخَيْرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»، ثُمَّ يقولُ: «أنا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، ومَنْ تَرَكَ دَيْنًا أو ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وعَلَيَّ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٢).

وفي لفظ: كَانَتْ خُطْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ: يَحْمَدُ اللهَ، ويُثْنِي عَلَيْه، ثُمَّ يقولُ على إِثْرِ ذَلِك، وقَدْ عَلا صَوْتُهُ، ثُمَّ سَاقَ الحَدِيثَ بِمِثْلِه. ومما حفظ من خطبه ﷺ أنّه كان يكثر أنْ يخطب بالقرآن وسورة (ق)(١).

٣- عن أم هشام بنت الحارث بنِ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لقد كانَ تَنورنا وتَنور رسول الله ﷺ واحداً، سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ إلا عن لسان رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقرؤها كل يوم جُمُعَة على المنبر إذا خَطَبَ الناس».

٤- جاء في مسند الإمام أحمد من حديث أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ وهُوَ قَائِمٌ يُذَكِّرُ بأَيَّامِ اللهِ(٢).

٥- من حديث أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ: ﴿تَبَٰرَكَ﴾ وهُوَ قَائِمٌ فَذَكَّرَنَا بأَيَّامِ اللهِ. ومما حفظ من خطبته ﷺ أيضاً.

٦- ما أخرجه ابن ماجة من حديث جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلى اللهِ قَبْلَ أنْ تَمُوتُوا، وبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أنْ تُشْغَلُوا، وصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ، وكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ في السِّرِّ والعَلانِيَةِ تُرْزَقُوا وتُنْصَرُوا وتُجْبَرُوا، واعْلَمُوا أنَّ اللهَ قَد افْتَرَضَ عَلَيْكُم الجُمُعَةَ في مَقَامِي هَذَا، في يَوْمِي هَذَا، في شَهْرِي هَذَا، مِنْ عَامِي هَذَا، إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا في حَيَاتِي أو بَعْدِي ولَهُ إِمَامٌ عَادِلٌ أو جَائِرٌ اسْتِخْفَافًا بِهَا، أو جُحُودًا لها فَلا جَمَعَ اللهُ لَهُ شَمْلَهُ، ولا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، ألا ولا صَلاةَ لَه، ولا زَكَاةَ لَهُ، ولا حَجَّ لَه، ولا صَوْمَ لَهُ،

---

(١) رواه مسلم (٨٧٣).

(٢) رواه أحمد (٢٠٣٢٥).

ولا بِرَّ لَهُ، حَتَّى يَتُوبَ فَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، ألا لا تَؤُمَّنَّ امْرَأةٌ رَجُلًا، ولا يَؤُمَّ أعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا، ولا يَؤُمَّ فاجِرٌ مُؤْمِنًا إلَّا أنْ يَقْهَرَهُ بِسُلْطَانٍ يَخَافُ سَيفه وسَوطَهُ[1].

٧- وحُفِظَ مِن خُطبَتِهِ أيضاً ما أخرجه أبو داود من حديث ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إذَا تَشَهَّدَ قال: «الحَمْدُ للهِ نَسْتَعِينُه، ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أنْفُسِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَه، ومَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وأشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أرْسَلَهُ بِالحَقِّ بَشِيرًا ونَذِيرًا بَيْنَ يَدَي السَّاعَة، مَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ ومَنْ يَعْصِهِمَا فَإنَّهُ لا يَضُرُّ إلَّا نَفْسَه، ولا يَضُرُّ اللهَ شَيْئًا»[2].

٨- ومن خطبه ﷺ أيضاً ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن البصري قال: طلبت خُطَبَ النبي ﷺ في الجمعة فأعيتني فلزمت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فسألته عن ذلك، فقال: كان يقول في خطبته يوم الجمعة ﷺ: «أيُها الناس إنّ لكم علماً فانتهوا إلى علمكم، وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإنّ المؤمن بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري كيف صنع الله فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري كيف الله بصانعٍ فيه، فليتزود المرء لنفسه ومن دنياه لآخرته، ومن الشباب قبل الهرم، ومن الصحة قبل السقم، فإنكم خلقتم للآخرة، والدنيا خلقت لكم، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا دار إلا الجنة والنار، وأستغفر الله لي ولكم»[3].

---

(١) رواه ابن ماجة (١٠٨١)

(٢) رواه أبو داود (٢١١٩).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

٩- وكان ﷺ يعلم أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في خطبته قواعد الإسلام، وشرائعه، ويأمرهم، وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي. كما في حديث مسلم عن جابر بن عبدالله قال: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فقال لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصَلَّيْتَ يا فُلانُ؟» قال: لا، قال: «قُمْ فارْكَعْ». قيل كان هذا الرجل اسمه سليك الغطفاني، لذا يسن لمن دخل المسجد أنْ يركع ركعتين يتجوز فيهما[١].

١٠- ونهى المتخطي رقاب الناس عن ذلك، وأمره بالجلوس. كما جاء فيما رواه أبو داود من حديث عَبْدُ اللهِ بنُ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الجُمُعَةِ والنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فقال لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ[٢].

وربما قَطَعَ خُطبتَه للحاجة تُعرَض، أو السؤال من أحد من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيجيبه ثم يعود إلى خطبته فيتمها، وكان ربما نزل عن المنبر للحاجة، ثم يعود فيتمها.

١١- كما جاء في سنن أبي داود من حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فأَقْبَلَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ ويَقُومَانِ فَنَزَلَ فأَخَذَهُمَا فَصَعِدَ بِهِمَا المِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ ثُمَّ أَخَذَ فِي الخُطْبَةِ، وكانَ يَدعو الرجل في خطبته تعالَ يا فُلان، اجلس يا فلان، صلِّ يا فلان، وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضّهم عليها[٣].

---

(١) رواه مسلم (٨٧٥).

(٢) رواه أبو داود (٩٢٣).

(٣) رواه أبو داود (٩٣٥).

كما جاء في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في صَدْرِ النَّهَارِ قال فَجَاءَهُ قومٌ حُفاةٌ عُراةٌ مُجتابِي النِّمَارِ أو العَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلّهم مِن مُضر فتمعّر وجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأى بِهِمْ مِن الفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فأمَرَ بِلالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأذَّنَ وأقَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ...﴾ [النساء: ١] إلى آخِرِ الآية، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨] تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال ولو بشق تمره. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها. بل قد عجزت، قال ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله يتهلل، كأنه مذهبّةٌ. فقال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنّةً حسنةً، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنةً سيئةً، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١).

١٢- وكان يستسقي بهم إذا قحط المطر في خطبته، كما جاء في صحيح البخاري من حديث أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَصَابَت النَّاسَ سَنَةٌ على عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ في يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أعْرَابِيٌّ، فقال يا رَسُولَ الله: هَلَكَ المَال، وجَاعَ العِيَال، فادْعُ اللهَ لنا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ومَا نَرَى في السَّمَاءِ قَزَعَةً، فوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما وضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أمْثَالَ الجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ على لِحْيَتِهِ ﷺ(٢).

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) رواه البخاري (٩٣٣).

١٣- وقد حفظت بعض كتب التاريخ نصاً كاملاً لبعض خطبه ﷺ مثل ما جاء في تاريخ الطبري قال ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة النبي ﷺ في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قال: «الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى، ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط، وضل ضلالاً بعيداً.

وأوصيكم بتقوى الله فإنّه خير ما أوصى به المسلم المسلم، أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله. فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرى، وإنّه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة وعون صدق ما تبتغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أنّ بينه وبينه أمداً بعيداً ويحذّركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد.

والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خُلْفَ لذلك فإنه يقول تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية، فإنّه من يتقّ الله فقد فاز فوزاً عظيماً. وإنّ تقوى الله توقي مقته، وتوقي عقوبته، وتوقي سخطه،

وإنّ تقوى الله تبيض الوجه، وترضي الرب، وترفع الدرجة. خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين.

فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله. فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد الموت، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله، يكفه ما بينه وبين الناس، وذلك بأنّ الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[(١)].

١٤- باب أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ حين قدم المدينة أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان، والأخنس بن شريق، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيها فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راعٍ ثم ليقولن له ربه ـ ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ـ: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالاً، وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟. فينظر ـ أي العبد ـ يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ، فإن بها تجزى

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٣٩٤-٣٩٦.

الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته»[١].

١٥ – خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال: «إنّ الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إنّ أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس إنّه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره، ولا تقس عنه قلوبكم، فإنه من يختار الله ويصطفي فقد سماه خيرته من الأعمال، وخيرته من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام. فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه حق تقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، إنّ الله يغضب أن ينكث عهده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». وفي إسناد ابن جرير والبيهقي إرسال، قاله ابن كثير: بعد أن ذكر أن طريق ابن جرير والبيهقي فيهما إرسال قال: إلا أنها ـ أي رواية البيهقي ـ مقوية بما قبلها وإن اختلفت الألفاظ[٢].

وفي خطبة أخرى، يذكر فيها عظمة الله وقيوميته.

١٦ – روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إنّ الله تعالى لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل

(١) رواه البيهقي في الدلائل ٢/ ٥٢٣-٥٢٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير.

الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خَلقه»[1].

ويستدل بما نقل من خطبه ﷺ على طريقته في الخطبة وهديه فيها فمن ذلك: يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت خطبته ﷺ إنّما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه، وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً ومعرفة الله وأيامه، وقال: «ومن تأمل خطب النبي ﷺ وجدها كفيلة ببيان الهدى، والتوحيد، وذكر صفات الرب جَلَّجَلَالُهُ، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه ـ تعالى ـ التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره، وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته، وأسمائه، ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته، وشكره، وذكره ما يحببهم إليه سبحانه وتعالى»[2].

١٧- عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنّ النبي ﷺ خطب يوماً، فقال: «ألا وإنّ الدنيا عَرَض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، ألا وإنّ الآخرة أجل صادق، ويقضي فيها ملك قادر، أي وإنّ الخير كله بحذافيره في الجنة، ألا وإنّ الشر كله بحذافيره في النار، ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر، وأعلموا أنّكم معرضون على أعمالكم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره»[3].

---

(١) رواه مسلم(١٧٩).

(٢) زاد المعاد ١/ ٤٢٣.

(٣) المواهب اللدنية.

١٨- روى الشيخان عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنّ النبي ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إنّي فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإنّي ـ والله ـ لأنظر إلى حوضي الآن، وإنّي أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإنّي ـ والله ـ ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أنْ تنافسوا فيها».

وفي رواية: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحد بعد ثمان سنين، كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبرفقال: «إنّي بين أيديكم فرط وأنا شهيد عليكم، وإنّ موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها».

وفي رواية: «ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا وتهلكوا كما هلك من كان قبلكم».

قال عقبه: فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر(١).

١٩- روى البخاري ومسلم، عن أبي بكرة، عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان».

ثم قال: «أيّ شهر هذا؟»، قلنا الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنّه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجه؟»، قلنا: بلى، قال: «فأيّ بلد هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنّه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

البلدة؟»، قلنا: بلى، قال: «فأيّ يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟»، قلنا بلى يا رسول الله! قال: «فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعنّ بعدي كفارا (أو ضلالا) يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه». ثم قال: «ألا هل بلغت؟». قالوا: نعم. قال: «اللهم! اشهد»[1].

صلوات ربي وسلامه عليك، ياحبيبي ياسيدي يا رسول الله، ما أعظمك، وما أكرمك، وما أبلغك، وما أرحمك؟! روحي لك ولأهل العباء الفداء.!!

والحمد لله رب العالمين

❑ ❑ ❑

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ له (١٦٧٩).

من كمال أخلاق النبي ﷺ

لمْ يَعرِف التاريخ البشري سيرة نبيّ من الأنبياء ضُبطت بأعلى درجات الضبط، كما ضبطت سيرة سيدنا محمد ﷺ، فقد أبرز القرآن الكريم والسُّنّة المُطهّرة معالم سيرته الكبرى ﷺ، حتى في بيته وأهله وبين أزواجه أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أجمعين. فقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقاً وخَلقا، وأكرمهم وأتقاهم وأرحمهم، وقد اجتمعت فيه كل صفات الكمال، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلُقًا»(١).

وعن صفية بنت حيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما رأيت أحسن خُلقًا من رسول الله ﷺ».

قال تعالى مادحاً وواصفاً خُلق نبيه الكريم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] قالت عائشة لما سئلت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلق النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قالت: «كان خُلُقه القرآن»(٢).

فهذه الكلمة العظيمة من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ترشدنا إلى أنّ أخلاقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هي اتباع القرآن، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواهي، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم، وأثنى على أهلها والبعد عن كل خلق ذمه القرآن.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: ومعنى هذا أنّه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له وخلقاً، فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء، والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خُلقٍ جميل. اهـ.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢٣١٠).

(٢) رواه مسلم.

وقال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١).

ومنه يعلم أنّ كمالات خُلقه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأوصافه الجميلة ونعوته الجليلة لا تتقاضى ولا تتناهى كما أنّ معاني القرآن كذلك وأنّ التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر وقيل إنّها إشارات إلى جميع ما فُصّل في كتاب الله تعالى من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب فإنّ نبي الله سيدنا محمد ﷺ كان متخلقاً به وفاعلا له، وأنّ جميع ما نهى عنه فإن نبيّ الله سيدنا محمد ﷺ كان تاركاً له، لذا وصفه الحق بالخُلق العظيم لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ﷺ.

وفي الفتوحات لابن عربي في الباب السادس والأربعين وأربعمائة ما نصه: وإنّما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ذلك لأنه أفرد الخَلق ولا بدّ أن يكون ذلك الخَلق المفرد جامعاً لمكارم الأخلاق كلها، ووصف الله ذلك الخُلق بالعظمة كما وصف القرآن بالعظمة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] فكان القرآن خُلقه، فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن فإذا نظر إليه فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ، فكأن القرآن أنشيء صورة جسمية يقال لها سيدنا محمد رسول الله ﷺ، والقرآن كلام الله وهو صفته فكان سيدنا محمد ﷺ صفة الحق تعالى فمن يطع الرسول فقد أطاع الله لأنّه لا ينطق عن الهوى فهو لسان الحق تعالى.

قال المحدث والمفسرعبدالله سراج الدين الحسيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه سيدنا محمد رسول الله ﷺ: «أقسم الله تعالى بنون، وهو المدد الإلهي الفياض، الذي منه استمداد القلم الأعلى المستفيض، وهو أول ما خلق الله تعالى... ثم

---

(١) من بلاغات مالك، والحاكم ٢/ ٦٧٠، وأحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

أقسم سبحانه بجميع ما تسطره الملائكة وما يسطره المسطرون: ما أنت يامحمد ﷺ بفضل نعمة ربك عليك بالنبوة والرسالة بمجنون، لأن مواقف رسالتك ودعوتك الحكيمة وشريعتك المستقيمة، هي في أعلى درجة العلم والحكمة، فكيف يتصور هذا ويلتقي مع قولهم فيك مجنون». بل المجنون الذي يتهم صاحب العلم والحكمة والفهم بالجنون!.

«وإنَّ لك» يا رسول الله على هذا التحمل والصبر على أذاهم بالقول والفعل، ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣] أي: غير مقطوع.

«وإنك» يا رسول الله في الأخلاق الساميه الرفيعة التي علوت قمتها وانتهيت إلى ذروتها إنّك حقاً «لعلى خلق عظيم» فهو ﷺ عظيم في كل ناحية من نواحي الأخلاق الكاملة، فهو عظيم في خلقه وسماحته، عظيم في كرمه وسخائه، عظيم في شجاعته، عظيم في تواضعه، عظيم في كريم عشرته، عظيم في حيائه، عظيم في أدبه، عظيم في رحمته ورأفته، عظيم في سائرأخلاقه ﷺ. فهو المثل الأعلى في الخَلق والخُلق، بل هو فياض الكمالات والمكارم على العالم أجمع.

قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[(١)].

ومعناه أنّ مكارم الأخلاق ومحاسنها من علم وحلم وحياء وتواضع وحسن عشرة وعفو وصفح واحتمال وسخاء وصبر وشكر وعدل وزهد وشجاعة ومرؤة وصمت ووقار وتؤدة ومحبة وأمانة وعبادة ورجاء وخوف وشفقة وعفة وغير ذلك، كانت قبل وجوده ﷺ متفرقة في العالم كل واحد منهم حاز منها القدر اللائق به والنصيب المناسب لحاله ومقامه، وكونها كانت متفرقة فيهم كانت ناقصة الكم وناقصة الكيف فلما وُجِدَ ﷺ وبُعِثَ

(١) من بلاغات مالك، والحاكم ٢/ ٦٧٠، وأحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

جَمَعَ الله فيه متفرقها وأكمل ناقصها، فصار مَجمعاً للخصال الحميدة الخارجة للوجود كلها مكملاً لنقصها ومتمما لما بقي من ذواتها وأعدادها بحيث لم يخرج منها ومن كمالها شيء للوجود الخارجي ألا وهو فيه ﷺ ومجتمع في ذاته الكريمة خصوصية له ﷺ وكرامة له من ربه تعالى، فكما حاز ظاهره الشريف الجمال كله على أتم ما ينبغي وأكمل ما يكون وأعلى ما خرج للوجود كذلك حاز باطنه الكريم الكمال كله والأخلاق الشريفة بأجمعها جملة وتفصيلاً على أتم ما ينبغي وأكمل ما يكون وأعلى ما خرج للوجود فهو أجمل من كل جميل وأكمل من كل كامل، فلما كانت المحاسن الظاهرة أعلاماً على الأخلاق الباطنة واختص ﷺ من جمال الصورة الظاهرة بما لم يشاركه فيه بشر ولا مخلوق كان ذلك آية باهرة وحجة ظاهرة على اتصاف نفسه من الأخلاق الحميدة بما لم يشاركه فيه مخلوق ولا بشر أياً كان.

وقد وسعت أخلاقه كلها ومحاسنه بأجمعها أفراد أصناف بني آدم بل أنواع أجناس مخلوقات العالم بأسره ولذا بعث إلى الكل وكان القدوة العظمى لجميع الخَلق في كل علم وكل حكم وكل حكمة وكل خُلق حسن وأمر مستحسن وكل كمال على الإطلاق فكانت أخلاقه أعظم الأخلاق فلذلك بعثه الله إلى الناس كافة، فكل من كان الله ربه فسيدنا محمد ﷺ رسوله، فكما أنّ الربوبية تعم جميع الخَلق كذلك الخُلق المحمدي يشمل جميع العالمين.

ثم أنّ هذه الأخلاق العظيمة بالنظر لأصولها جبلية جُبِلَ ﷺ عليها في أصل خلقته وأول نشأته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود وكرم إلهي وخصوصية ربانية، كما أنّ إخوانه من النبيين والمرسلين كذلك ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم تحقق ذلك، وأما كمالها وتمامها فيه ﷺ فهو مكتسب من القرآن الكريم لتأدبه بآدابه وتخلقه بمحاسنه وأخلاقه

والتزامه لأوامره وزواجره في أحواله وأموره كلها ظاهراً وباطناً قولاً وفعلاً، لانجذاب نفسه الشريفة إلى ذلك الكمال وطلبها لتحصيله ﷺ.

وكان ﷺ ليّن الجانب، سهل الخلُق، حسن المعاشرة، مع جميع الخلق. عن عطاء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن.

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظٍ ولا غليظٍ ولا صخابٍ في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا»(١).

عن النبي ﷺ قال: «البرُ حُسن الخُلق»(٢) فما المقصود بحسن الخُلُق. قال الشيخ ابن عثيمين: حُسن الخُلق أي حُسن الخُلق مع الله، وحُسن الخُلق مع عباد الله، فأما حُسن الخُلق مع الله، أن تتلقي أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم وأن لا يكون في نفسك حرج منها، ولا تضيق بها ذرعا، فإذا أمرك الله بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح. أما حُسن الخُلق مع الناس فقد سبق أنه: كف الأذى والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه وغيره.

على الرغم من حُسن خُلقه حيث كان يدعو الله بأن يحسّن أخلاقه ويتعوذ من سوء الأخلاق عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ. عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «كان ﷺ يقول اللهم كما أحسنتَ خَلقي فأحسن خُلقي»(٣).

---

(١) رواه البخاري، وسبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٣).

(٣) رواه أحمد ورواته ثقات.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان ﷺ يدعو فيقول: «اللهم إنّي أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق»(١).

من كمال أخلاق النبي ﷺ مع أهله

كان ﷺ خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته من طيب كلامه وحُسن معاشرة زوجاته بالإكرام والاحترام، حيث قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «خَيرُكُم خَيرُكُم لأهلِهِ وأنا خَيرُكُم لأَهلي»(٢).

وكان من كريم أخلاقه ﷺ في تعامله مع أهله وزوجه أنّه كان يُحسن إليهم ويرأف بهم ويتلطّف إليهم ويتودّد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم، وكان من شأنه ﷺ أن يرقّق اسم عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كأن يقول لها: «يا عائش»، ويقول لها، «يا حميراء».

ويُكرمها بأن يناديها باسم أبيها بأن يقول لها: «يا ابنة الصديق»، وما ذلك إلا تودداً وتقرباً وتلطفاً إليها واحتراماً وتقديراً لأهلها.

كان يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم.

وكانت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تغتسل معه ﷺ من إناءٍ واحد، فيقول لها: «دعي لي»، وتقول له: دع لي(٣).

وكان يُسَرِّبُ إلى عائشة بناتِ الأنصار يلعبن معها. وكان إذا هويت شيئاً لا محذورَ فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه، فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عَرْقاً ـ وهو العَظْمُ الذي عليه لحم ـ

---

(١) رواه أبو داود (١٥٤٦) والنسائي(٥٤٧١).

(٢) سنن الترمذي(٣٩٠٤).

(٣) رواه مسلم (٢٤٤٧).

أخذه فوضع فمه موضع فمها، وكان يتكئ في حجْرِها، ويقرأ القرآن ورأسه في حجرِها، وربما كانت حائضاً، وكان يأمرها وهي حائض فَتَتَّزِرُ ثم يُباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خُلُقه مع أهله أنّه يمكّنها من اللعب.

«عن الأسود قال: سألتُ عائشةَ ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كانَ يكونُ في مهنةِ أهلِهِ، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة»[١].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «كانَ يُخيط ثوبه ويخصفُ نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم»[٢].

قال ﷺ: «إنّ من أعظم الأمور أجراً النفقة على الأهل»[٣].

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: اقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي أسابقك فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول هذا بتلك»[٤].

«وقد روي أنّه ﷺ وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا رجلها حتى تركب على بعيرها»[٥].

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه البخاري.

ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إنْ كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها «صديقاتها»، وذلك بعد مماتها وقد أقرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأنّها كانت تغير من هذا المسلك منه[1].

من كمال عدل النبي ﷺ

المراد بالعدل إعطاء كل ذي حقٍ حقّه، بغير تفرقة بين المستحقين، ومؤاخذة المسيء أو المقصر على قدر إساءته وتقصيره، بدون عنت أو محاباة. نعم قد استقى العدل من التربية الإلهية، والأخلاق القرآنية وكانت فطرته السليمة مهيأة للعدل منذ شبابه، فقد اشترك في حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان، وقال فيه ما أحب أنّ لي به حُمرالنَعم ولوادعى به في الإسلام لأجبت. لذا كان من كمال عدله ﷺ وإقامته شرع الله تعالى، ولو على أقرب الأقربين إليه ﷺ، ولما أراد رجال من الأنصار أن يتنازلوا عمّا يخصهم من فداء العباس، عم رسول الله ﷺ لم يرض وقال ﷺ «لا تدعون منها درهماً»[2] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

كان يعدل بين نسائه ﷺ ويتحمل ما قد يقع من بعضهن من غيرة كما كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا غَيورة، فعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّها أتت بطعامٍ في صحفةٍ لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة... ومعها فِهرٌ ففلقت به الصحفة، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة وهو يقول: «كلوا، غارت

(١) رواه البخاري (٣٦١٨)، ومسلم (٢٤٣٥).
(٢) رواه البخاري(٢٥٣٧).

أُمكم مرتين» ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أُم سلمة وأعطى صحفة أُم سلمة عائشة[1].

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قصة المرأة المخزومية التي سرقت: «والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمدٍ، لقطعت يدها»[2].

حاشاها وهي البتول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا الطاهرة المطهرة.

ومن كمال عدله أنّه ﷺ بينما يقّسم قسماً أقبل رجل فأكب عليه، فطعنه بعرجون كان معه فجرح وجهه، ثم قال له: تعال فاستقد. قال بل عفوت عنك يا رسول الله[3].

قال ابن إسحاق: في معركة بدر نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البحتري، لأنّه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش في مقاطعة الرسول ﷺ وبنو هاشم[4].

قال الشيخ ابن تيمية: «هذا مع نهيه عن قتل أبي البحتري بن هشام مع كونه كافراً غير ذي عهدٍ لكفه عنه وإحسانه بالسعي في نقض صحيفة الجور»[5].

فانظر أخي الحبيب كيف كان عدله ووفاؤه ﷺ حتى مع مَنْ لم يكن مسلماً وغير ذي عهد، ادخر له ﷺ معروفاً وحسن طويةٍ رغم كفره.

---

(١) رواه النسائي (٣٩٥٦)،والبخاري (٢٤٨١)،وأحمد(١٢٠٥٠) و(١٣٨٠٨).

(٢) رواه الخمسة.

(٣) رواه أبو داود (٤٥٣٦)والنسائي(٤٧٧٣).

(٤) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٥١.

(٥) له، الصارم المسلول في شاتم الرسول ١/ ٦٢.

من كمال كلام النبي ﷺ

كان إذا تكلم تكلم بكلام فَصْلٍ مبين، يعدّه العادّ ليس بسريع لا يُحفظ، ولا بكلام منقطع لا يُدركُه السامع، بل هديه فيه أكمل الهديِّ، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقولها: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بيِّن فصل يتحفظه من جلس إليه»(١) وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يتكلم فيما لا يَعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا كرِه الشيء عُرِفَ في وجهه. قالت أم معبد في وصفه: حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر أي كلامه بيّنٌ وسط ليس بالقليل ولا بالكثير، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن. نعم لقد أُوتي ﷺ جوامع الكلم وفصل الخطاب.

ومن ذلك وصيته ﷺ لسيدنا معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «يا معاذ، أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه بالقرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح، وأنهاك: ان تسب حكيماً، أو تكذب صادقاً، أو تطيع آثما، أو تعصي إماما عادلا، أو تفسد أرضا، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجرٍ وشجرٍ ومدرٍ، وأن تحدث لكل ذنب توبة: السر بالسر، والعلانية بالعلانية». صدق رسول الله ﷺ.

من كمال أخلاق النبي ﷺ مع الأطفال

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان ﷺ يمر بالصبيان فيسلم عليهم(٢).

وكان ﷺ يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه(٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري.

(٣) متفق عليه.

وكان ﷺ يحمل ابنة ابنته وهو يصلي بالناس إذا قام حملها وإذا سجد وضعها. وجاء الحسن والحسين وهما ابنا بنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي ﷺ من المنبر فحملهما حتى ووضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله ورسوله ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٢٨].

نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما. روى الشيخان عن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه يقول ﷺ: «اللهم إني أحبه فأحبه»»[1] امّا خُلُقه ﷺ في معاملة الصبيان، فإنّه كان إذا مر بالصبيان سلم عليهم وهم صغار، وكان يحمل ابنة ابنته أمامه بنت زينب بنت محمد ﷺ وهو يصلي بالناس وكان ينزل من الخطبة ليحمل الحسن والحسين ويضعهما بين يديه.

ومن كمال رحمته بالأطفال أنّه ﷺ، يتفقد أحوالهم ويسأل عنهم فقد روى لنا الصحابي الجليل خادم رسول الله ﷺ، أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أنّ النبي ﷺ قال لأخٍ له صغير «ياأبا عمير! ما فعل النُغَير»[2].

والنغير طائر صغير كان يلعب به هذا الطفل، معروف لأهل المدينة المنورة. قيل أنّ الإمام مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إمام المذهب استخرج من هذا الحديث أحكاماً فقهية نافت عن اربعين حكماً وقيل أكثر من ذلك ومن أراد الإطلاع عل تلك الأحكام فعليه بكتاب الجواهر النفاس في بيان صفات السيد

---

(١) الشيخان والترمذي.

(٢) رواه ابن حبان (٢٥٠٦).

من الناس، تأليف العلامة عفيف الدين أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

من كمال أخلاق النبي ﷺ مع الخدم

ومع هذه الشجاعة العظيمة كان لطيفا رحيماً، فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح.

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، والله ما قال أفٍ قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا»(١).

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله». وفي رواية «ما ضرب رسول الله شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله». عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم»(٢).

من كمال رحمة النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وعندما قيل له ادع على المشركين: قال ﷺ: «إنّي لم أبعث لعانًا، وإنّما بعثت رحمة»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٣٠٩)، وأبو داود (٤٧٧٤)والترمذي(٢٠٢٠).

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٩).

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اللهم إنّما أنا بشر، فأيُّ المسلمين سببته أو لعنته، فاجعلها له زكاةً وأجراً»(١).

كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم من وليَ من أمرِ أمتي شيئاً، فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، ومن وليَ من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به»(٢).

قال ﷺ: «هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم»(٣).

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ... ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال ﷺ في فضل الرحمة: «الراحمون يرحمهم الرحمن، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٤).

وقال ﷺ في أهل الجنة الذين أخبر عنهم بقوله: «أهل الجنة ثلاثة وذكر منهم ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم»(٥).

قال ابن إسحاق: لما فتح رسول الله ﷺ الغموص حصن أبي الحقيق، أتي رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب وبأخرى معها فمر بهما على قتلى مَنْ قتل من اليهود، فلما رآتهم صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على وجهها، فقال رسول الله ﷺ لبلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «انُزِعَتْ منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما»(٦).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٠١).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٨).

(٣) رواه البخاري (٢٨٩٦).

(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٥) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٤، والإصابة لابن حجر ٧/ ٧٣٩.

قالت صفية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «وكان رسول الله ﷺ أبغض الناس إلي، قتَلَ زوجي وأخي وأبي فما زال يعتذر ويقول: إنّ أباك ألّب عليّ وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي»[1].

وتزوج صفية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وعاشت في كنفه معززةً مكرمةً حتى إنّه هَجَرَ زوجته زينب بنت جحش لأجلها ذا الحجة ومحرّم وبعضا من صَفَر لأنّها عيرتها باليهودية[2].

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: لما سبى رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عمه، فكاتبت على نفسها وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أحذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها فوالله ما هو إلا أن وقفت على الباب فرأيتها كرهتها وعرفت أنّ رسول الله ﷺ سيرى منها مثل ما رأيت، فقالت جويرية: يا رسول الله كان من الأمر ما قد عرفت فكاتبت نفسي فجئت رسول الله ﷺ أستعينه فقال رسول الله: «أو ما هو خير من ذلك»؟ فقالت: وما هو: قال: «أتزوجك وأقضي عنك كتابتك». فقالت: نعم قال «قد فعلت» قالت: فبلغ المسلمين ذلك قولوا: أصهار رسول الله ﷺ؟! فأرسلوا ما كان في أيديهم من سبايا بني المصطلق قالت: فلقد عتق بتزويجه مئة أهل بيت من بني المصطلق قالت: فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[3].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٨.
(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب ١/ ٥٩٨.
(٣) ابن حبان (٤٠٥٠) كتاب النكاح.

من كمال عفو النبي ﷺ

العفو عند المقدرة مرآة تتجلى فيها أحسن صور النفس وسمو المقصد، فقد عفى ﷺ عن أهل مكة المكرمة الذين آذوه وكذبوه وطردوه واتهموه بالجنون والسحر وتمالؤوا على قتله في دار الندوة، وغزوه ثلاث مرات في محاولة يائسة لاستئصال دعوته، وقتلوا عمّه حمزة بن عبد المطلب ومثّلوا به، وفعلوا الكثير من الكيد والمكر والغدر، ولكن سمت روح النبوة أن تتعالى على كل هذا في موقف تسامحي قل مثله في التاريخ، فقال ﷺ لهم دون عتاب: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ من أحسن الناس خُلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت له والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا النبي ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك فقال يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟ قلت نعم، أنا أذهب يا رسول الله فذهبت»[(١)].

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَه مَه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه، دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن». قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فشنّه عليه[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٢٣١٠)وأبو داود.

(٢) رواه البخاري (٢١٩) ومسلم (٢٨٥).

ومن كمال عفوه ﷺ في فتح مكة أن عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أُمية وسهيل بن عمرو ومن جمعوا من الناس، أبوا إلا قتالاً فهُزموا وفروا ثم استأمنو افأُمنوا بل عُفي عنهم!! بل أُعطوا من الغنائم!!! تأليفاً لقلوبهم.

وفي مكة أيضاً وهو يطوف بالبيت ﷺ، أراد فضالة بن عمير أن يقتله، فلما دنا منه قال: أفضالة؟ قال فضالة: نعم يا رسول الله، قال ما كنت تحدث به نفسك؟ قلت لا شيء، كنت أذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فضحك النبي ﷺ ثم قال: أستغفر الله! ثم وضع يده على صدري، فسكن قلبي، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحبّ إليّ منه.

وهذا شيبة بن عثمان بن طلحة وكان قد قتل أبوه وعمه في غزوة أحد، وهو يترصد في حُنين رسول الله ﷺ، ليثأر لنفسه ولقريش فيراه رسول الله ﷺ فيناديه، يقول شيبة هذا، فناداني ـ رسول الله ﷺ ـ وقال لي: ياشيبة أُدن مني، فدنوت، فمسح صدري، ثم قال: اللهم أعذه من الشيطان، قال شيبة: فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إلي من سمعي وبصري ونفسي وأذهب الله ما كان بي، ثم قال ﷺ:

أدن فقاتل. قال: فتقدمت أمامه أضرب بسيفي والله يعلم أني أحب أن أقيه بنفسي، ولو لقيت أبي تلك الساعة لو كان حياً لأوقعت به السيف دون رسول الله ﷺ(١).

الله أكبر... الله أكبر في ساحة حربٍ ومعركةٍ حامية الوطيس، يدعوه وهو يترصده ليقتله، فيمسح صدره ويدعو له، فينقلب محباً يقاتل بين يديه ويفديه بنفسه.

---

(١) من كتاب محمد ﷺ للسيد محمد بن علوي مالكي.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بعث النبي ﷺ خيلا قِبَلَ نجدٍ فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ما عندك ياثمامة؟». فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فتُرك حتى كان الغد فقال: «ما عندك ياثمامة؟». فقال ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان الغد فقال: «ما عندك ياثمامة؟». فقال: عندي ما قلت لك فقال: «أطلقوا ثمامة». فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله الإ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، يامحمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب دين الله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ، وإنّ خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ(١).

وعن محمد بن إسحاق قال: أصابت خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا طيء، فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة فقالت: يا رسول الله! هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي مَنّ الله عليك. قال: «من وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم. قال: «الفار من الله ورسوله». ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني حتى مر بي

---

(١) رواه البخاري (٤٦٩)، ومسلم (١٧٦٤).

ثلاثاً فأشار إليّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه فقمت فقلت: يا رسول الله! هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي مَنّ الله عليك. قال: «قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنيني». فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ فقيل: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقدم ركب من بلي فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: قدم رهط من قومي. قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي عدي بن حاتم فقال لي عدي: ما ترين في أمر هذا الرجل قالت: أرى أن تلحق به.

وكانت أسلمت فحسن أسلامها(١).

يقول عدي بن حاتم: فقدمت على رسول الله ﷺ فسلمت عليه وعرفته بنفسي، فانطلق بي إلى بيته فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقلت: ما هذا بملِك، ثم دخلت بيته فأجلسني على وسادة وجلس عل الأرض فقلت في نفسي: ما هذا مَلِكٌ فقال لي: «ياعدي إنّك تأخذ المرباع وهو لا يحل لك في دينك، ولعلك إنّما يمنعك من الإسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدونا، والله ليفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ووالله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ووالله لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فتحت، قال: فأسلمت فقد رأيت القصور البيض وقد فتحت، ورأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلا الله، ووالله لتكونن الثالثة ليفيضنّ المال حتى لا يقبله أحدٌ»(٢).

---

(١) ابن هشام، السيرة ٤/ ١٥٣، وابن الأثير، أسد الغابة ١/ ١٣٦٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل ٢/ ١٩٥، وابن هشام، السيرة النبوية ٤/ ١٥٤، وابن الأثير، أسد الغابة ١/ ٣٩٥.

الله أكبر ما أعظم خُلقك ياسيدي يا رسول الله صلى الله وسلم عليك وعلى آلك وصحبك أجمعين.

من كمال تواضعه ﷺ

التواضع عُرفاً خروج الإنسان عن مقتضى جاهه وعظمته ومنزلته، وقد كان ﷺ، مضرب الأمثال في كمال تواضعه، لأنّه كان يرى شهود عظمة ربه عَزَّوَجَلَّ، وهذا هو التواضع الحقيقي الذي لا يمكن ارتفاعه.

وكان من كمال تواضعه مع أصحابه ﷺ، أنه يجيب دعوتهم دعوة الحر والعبد والغني والفقير، ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر. وكان ﷺ سيد المتواضعين، يتخلق ويتمثل بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] فكان أبعد الناس عن الكبر، كيف لا وهو الذي يقول ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله»(١).

كيف لا وهو الذي كان يقول ﷺ: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»(٢).

كيف لا وهو القائل بأبي هو وأمي ﷺ: «لو أُهدي إليّ كراعٌ لقبلتُ ولو دُعيتُ عليهِ لأجبتُ»(٣).

كيف لا وهو الذي كان ﷺ يحذر من الكِبر أيُّما تحذير، فقال: «لا يدخل في الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبرٍ»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٨٣٠).

(٢) رواه أبو يعلى وحسنه الألباني.

(٣) رواه الترمذي(١٣٤٢) وحسنه الألباني.

(٤) رواه مسلم (٩١).

ومن كمال تواضعه ﷺ أنّه كان يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير ويقبل الهدية. عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان ﷺ يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب»(١).

الإهالة السنخة: أي الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث.

ومن كمال تواضعه ﷺ ما جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ امرأة جاءت النبي ﷺ فقالت له: إنّ لي إليك حاجة. فقال: اجلسي في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك(٢).

وذكر البخاري أنّ الأَمَةَ كانت تأخذ بيده ﷺ فتنطلق في حاجتها. وفي هذا من كمال تواضعه ما لا يخفى. وعند النسائي كان ﷺ لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة.

ومن كمال تواضعه أنّه كان يعود المرضى ويشهد الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد، وكان يوم قريضة على حمار مخطوم بحبل من ليف وعليه إكاف من ليف. وهذا غاية الكمال والتواضع منه ﷺ.

وأخبرنا الطبري، أنّه ﷺ ركب حماراً عرياً إلى قباء ومعه أبو هريرة، فقال أحملك فقال ما شئت يا رسول الله، فقال إركب فلم يقدر، فأمسكه رسول الله ﷺ فوقعا جميعاً ثم ركب، وقال له مثل ذلك. ففعل فوقعا ثم ركب وقال له مثل ذلك، فقال أبو هريرة والذي بعثك بالحق ما رميتك ثالثاً.

ومن كمال تواضعه ﷺ، أنّه حَجّ على رحلٍ رثٍ وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم فقال: اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة(٣).

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الترمذي في الشمائل.

عن عبد الله عامربن ربيعة عن أبيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: كنت مع النبي ﷺ في الطواف، فانقطعت شِسْعَةٌ. فقلت: يا رسول الله! ناولني أصلحه. فقال ﷺ: «هذه أثَرةٌ، ولا أُحِبُ الأثَرة»[1].

فكأنه كره ﷺ أن ينفرد أحد بإصلاح نعله، ويكون له بمثابة الخادم، ويكون له ﷺ ترفع المخدوم على خادمه، كره ذلك لكمال تواضعه ﷺ، وعدم تَرَفُعِهِ على من صحبه ﷺ

من كمال مجلسه ﷺ

كان يجلِس على الأرض، وعلى الحصير، والبِساط... وكان أوقر الناس في مجلسه لا يخرج من أطرافه شيئاً.

عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هوالذي يصرف وجهه عنه»[2].

عن أبي أمامة الباهلي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصاً، فقمنا إليه، فقال لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يُعظم بَعضهم بَعضاً[3].

وكان ﷺ، يستعمل يده اليمنى في طعامه وطهوره وأخذه وعطائه، ويستعمل يده اليسرى لخلائه وما به من أذى، وكان إذا عطس خمّر وجهه وأخفى عطسته وتلقاها بثوبه. وكان أذا جلس قد يحتبي بيديه.

---

(١) مسند الطيالسي (منحة المعبود) ٢/ ١٢٠-٢٤٢٦.

(٢) رواه أبو داود والترمذي بلفظه.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجة.

وإذا جلس بين أصحابه تبدو كتفيه أعلى من سائر أكتاف أصحابه ﷺ. انظر أخي الحبيب إلى تواضعه ﷺ وهو بين أصحابه الذين يفدوه بأرواحهم وذويهم وما بين أيديهم رضوان الله عليهم.

من كمال زهده ﷺ

كان ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة، خيّره الله تعالى بين أن يكون ملكاً نبياً أو يكون عبداً نبياً، فاختار أن يكون عبداً نبياً ﷺ، وقد عرض الله عَزَّوَجَلَّ عليه بطحاءَ مكة ذهباً فقال: لا يا ربّ ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا شبعت حمدتك وشكرتك، وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك. كان ينامُ على الفراش تارة، وعلى النِّطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رِمَالِهِ، وتارة على كِساء أسود.

قال أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «دخلت على النبي ﷺ وهو على سرير مزمول بالشريط، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، ودخل عمر وناس من الصحابة، فانحرف النبي ﷺ فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى، فقال: النبي ﷺ: ما يبكيك يا عمر؟ قال: وما لي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى فقال يا عمر: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال: بلى قال: هو كذلك»(١).

وفي رواية قيل له: ألا نبسط تحتك ألين منه؟ قال ما لي وللدنيا إنّما مَثلي ومَثل الدنيا مثل راكبٍ سار في يوم صائف، فَقَالَ أي «نَامَ» تحت شجرة ثم راح وتركها.

وكان من زهده ﷺ وقلة ما بيده أنّ النار لا توقد في بيته في الثلاثة أهلة في شهرين. عن عروة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنّها كانت تقول: والله

(١) رواه أحمد (١٢٤٤٤) وابن حبان (٦٣٦٢).

يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله في شهرين ما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم.؟

قالت: «الأسودان التمر والماء»[1].

وكان ﷺ يقنع باليسير من الدنيا ويقول: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»[2].

وكان ﷺ لا يدخر شيئاً لنفسه، وما جاء أنّه ادخر فهو إنّما كان لأهله، وما شبع ﷺ من خبز حنطة حتى فارق الدنيا[3] وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان النبي ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم الشعير»[4] فكان فقرُه فقر اختيارٍ لا فقر اضطرارٍ. وللشيخين في غزوة الخندق من رواية جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مكث رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثاً لم يذوقوا طعاماً، قالوا: يا رسول الله إنّ ها هنا كدية من الجبل، فقال رسول الله ﷺ: رشوها بالماء... وفي الحديث قال جابر فحانت مني التفاتة، فإذا رسول الله ﷺ قد شدّ على بطنه حجراً[5].

وقد حدد لنا ﷺ حقيقة الزهد من حديث أبي ذرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنّ النبي ﷺ قال: «الزّهادةُ في الدنيا ليست بتحريم الحلالِ ولا إضاعةِ المالِ، ولكن الزّهادةُ في الدُنيا أنْ تكونَ بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك، وأن تكون في ثواب المصية ـ إذا أنت أصبت بها ـ أرغب منك فيها لو أنّها بقيت لك»[6].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٥)وأحمد(٢٤٩٢٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم وأحمد.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجة وحسنه الألباني.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه الترمذي وابن ماجة(٤١٠٠).

والزهد بهذا المعنى يريح القلب والبدن، ويكسب محبة الله ويجلب مودة الناس، كما روي عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، قال الرسول ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[1].

من كمال عبادته ﷺ

كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أعبد الناس، ومن كريم أخلاقه ﷺ أنه كان عبداً لله شكوراً، قام حتى تفطرت قدماه وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. كما في سورة الفتح. وأجاب العالم الرباني عبد العزيز الدباغ بجواب نفيس: أنّ المراد بالفتح في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ هو المشاهدة، أي مشاهدته تعالى، فمن رحمة الله تعالى للنبي ﷺ أنّه أزال عنه الحجاب، وأكرمه بمشاهدته تعالى فلا يرى إلا ما هو حق من الحق وإلى الحق، وهذا الفتح ثابت لكل نبي، بل ولكل عارف، والخصوصية فيه للنبي ﷺ، من حيث كمال قوته، وطاقته، وأهلية عقله وروحه ونفسه وذاته وسره، مما لم يثبت لغيره[2] فإنّ من تمام كريم الأخلاق هو التأدب مع الله رب العالمين، وذلك بأن يعرف العبد حقّ ربه سبحانه وتعالى، عليه فيسعى لتأدية ما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليه من الفرائض، ثم يتمم ذلك بما يسّر الله تعالى له من النوافل، وكلما بلغ العبد درجةً مرتفعةً عاليةً في العلم والفضل والتقى، كلما عرف حق الله تعالى عليه فسارع إلى تأديته والتقرب إليه عَزَّوَجَلَّ بالنوافل. فقد قال رسول الله ﷺ عن رب العالمين في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه إنّ الله تعالى قال: «... وما يزال العبد

---

(١) رواه ابن ماجة(٤١٠٢).

(٢) الإبريز، أجوبة العارف بالله عبد العزيز الدباغ بتصرف.

يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به وبصرَه الذي يبصرُ به ويدَه التي يبطشُ بها ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذنّه..»[1].

فقد كان ﷺ يعرف حقّ ربه عَزَّوَجَلَّ عليه، وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، على الرغم من ذلك كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه. صلوات ربي وسلامه عليه ويسجد فيدعو، ويسبح ويدعو، ويثني على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويخشع لله عَزَّوَجَلَّ حتى يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل.

فعن عبدالله بن الشخير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء»[2].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : أنّ نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[3].

وعن الأسود بن زيد قال: سألت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل، فقالت: كان ينام أول الليل، ثم يقوم، فإذا كان من السحر أوتر، ثم أتى فراشه... الحديث[4].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن في ليلة»[5] والآية قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨].

---

(١) رواه البخاري. وكذا الأحاديث القدسية (٦٦) لجمال عبد الغني مدغمش.

(٢) رواه النسائي (١٢١٤)، وأحمد (١٥٨٧٧)، وأبو داود(٩٠٤)، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٤٨٣٧).

(٤) متفق عليه، والترمذي في الشمائل.

(٥) رواه الترمذي في الشمائل.

أي استمر يكررها ليلته كلها في ركعات تهجده، وإنّما داوم على تكرارها والتفكر في معانيها حتى أصبح!! لما اعتراه عند قرآتها من هول ما ابتدئت به مما أوجب اشتعال نار الخوف على أمته، ومن حلاوة ما ختمت به مما أوجب اهتزازه ﷺ، طرباً وسروراً.

وكان من تمثله ﷺ للقرآن أنّه يذكرُ الله تعالى كثيراً وفي كل أحواله قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ومن تخلقه ﷺ بأخلاق القرآن وآدابه تنفيذاً لأمر ربه عَزَّوَجَلَّ أنّه كان يحب ذكر الله ويأمر به ويحث عليه، قال ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»(١).

وقال ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت»(٢).

وقال ﷺ: «ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»(٣).

كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أكثر الناس دعاءً، وكان من أكثر دعاء النبي ﷺ أن يقول: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»(٤).

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنه كان أكثر دعاء النبي ﷺ قبل موته: «اللهم إنّي أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٥).

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٧).

(٣) أخرجه الطبراني.

(٤) رواه البخاري (٤٥٢٢)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٥) رواه النسائي(١٣٠٧)،ومسلم(٢٧١٦)، وأبو داود(١٥٥٠)،وابن ماجة(٣٨٣٩).

من كمال دعوته ﷺ

إنّ دعوته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شملت جميع الخلق، كان رسول الله سيدنا محمد ﷺ أكثر رسل الله دعوة وبلاغا وجهادًا، لذا كان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً منذ بزوغ فجر دعوته إلى أن لحق بربه جل وعلا.

وقد ذكرصاحب كتاب زاد المعاد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حيث قال أن دعوة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانت على مراتب: المرتبة.

الأولى: النبوة.

الثانية: إنذار عشيرته الأقربين.

الثالثة: إنذار قومه.

الرابعة: إنذار قومٍ ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة.

الخامسة: إنذارُ جميع مَنْ بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدّهر.

وقد قال الله جل جلاله لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهذا أيضاً من أخلاقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن أخلاق أهل العِلم جميعًا، أهل العِلم والبصيرة أهل العِلم والإيمان أهل العِلم والتقوى.

ومن ذلك شفقته بمن يخطئ أو من يخالف الحق وكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب، بألطف عبارة وأحسن إشارة، من ذلك لما جاءه الفتى يستأذنه في الزنى.

فعن أبي أُمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إنّ فتىً شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مَه مَه فقال له: «ادنه»،

فدنا منه قريباً، قال: «أتحبّه لأمّك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم».

قال: «أفتحبه لابنتك؟». قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك.

قال: «ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم».

قال: «أفتحبه لأختك؟». قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: «ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم».

قال: «أفتحبه لعمتك؟». قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: «ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم».

قال: «أفتحبه لخالتك؟». قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: «ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم».

قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه».

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

وقد انتهج النبي ﷺ ذلك في دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم حتى شملت الكافرين، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل في دين الله تعالى أفواجٌ من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل، كان يتمثل في ذلك ﷺ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢].

إنّ النبي ﷺ كان إذا أُسيء إليه يدفع بالتي هي أحسن يتمثل ويتخلق بقوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

(١) رواه أحمد.

من كمال مزاحه النبي ﷺ

وكان من كمال هديه ﷺ أن يمازح العجوز، فقد سألته امرأة عجوز قالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي ﷺ: يا أُم فلان إنّ الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾ [الواقعة ٣٥-٣٧].

وكان من كمال مزاحه ﷺ، يمزح مع أصحابه لإدخال السرور عليهم، ومن ذلك أنّه جاء رجل يستحمله «أي طلب منه دابه». فقال له النبي ﷺ: «إني حاملك على ولد الناقة». فقال يا رسول الله: وما أصنع بولد الناقة؟.

فقال النبي ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق».

وكان جُلُّ ضحكه التبسم، بل كلُّه التبسم، فكان نهايةُ ضحكِه أن تبدوَ نواجِذُه ﷺ.

من كمال كرم النبي ﷺ

الكرم والجود والسخاء هو الإنفاق عن رضا ما يعظم نفعه وخطره، أو بذل المال في سبيل من البر والخير، وقد كان كرمه ﷺ فطرةً وتربية إلهية، ولم يكن جوده وكرمه لكسب محمدة، أو اتقاء منقصة، معاذ الله، ولم يكن للمباهاة أو الاستغلال أو اجتذاب المادحين، بل كان في سبيل الله، وابتغاء مرضاة الله، وفي حماية الدين وفي مؤازرة الدعوة وتأليف القلوب، ومحاربة من يصدون عن سبيل الله. وكذلك الإنفاق على الفقراء والمحتاجين من المسلمين الذين عجزوا عن الكسب أو فقدوا أموالهم في سبيل الله تعالى، وفي تحرير الأرقّاء الذين كاتبوا، وفي رعاية الأيتام والأرامل والأيامى، وبلغ

به من الكرم أنّه يستحي أن يرد سائلاً، ومن كمال كرمه ﷺ أنّه جاءه رجل يطلب البردة التي هي عليه فأعطاه إياها ﷺ.

وسأله آخر فقال ما عندي شيء ولكن إبتع علي، فإذا جاءنا شيء قضيته[1].

ومن كمال كرمه أنه لا يَكِلُ إعطاء الصدقة لأحد، بل يباشر ذلك بنفسه حتى يضعها في يد السائل، ﷺ.

من كمال صبر النبي ﷺ

كان النبي ﷺ يصبر على الأذى فيما يتعلق بحق نفسه، وأما إذا كان لله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة... وهذه الشدة مع الكفار والمنتهكين لحدود الله خير رادع لهم وفيها تحقيق للأمن والأمان..

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

فكان صبره ﷺ، يفوق صبر الصابرين، وتحمله أذى المعاندين له ليعلوا تحمل العالمين، فكم لقي من سفهاء قريش وأشدائهم من الغلظة والسفاهة والجفاء والشدة، ولما مات عمه واشتد أذى قريش له، خرج إلى الطائف وقصته مشهورة، فما كان منه ﷺ، إلا أن يتوجه إلى الله بالدعاء قائلاً: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين ورب المستضعفين، إلى مَنْ تكلني إلى عدوٍ بعيدٍ يتجهمني، أم إلى قريبٍ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي ـ وفي رواية ـ سخط فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له

---

(١) أخرجه الترمذي.

السماوات والأرض، وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»(١).

ومن كمال صبر النبي ﷺ ما قالته السيدة الطاهرة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال ﷺ: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إنّ الله عَزَّوَجَلَّ قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ثم قال: يا محمد إنّ الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت؟ إنْ شئت أنْ أطبق عليهم الأخشبين». فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أنْ يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»(٢).

والأخشبان: جبلا مكة أبو قبيس وقعيقعان.

فقد أخرج ابن سعد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت إبراهيم وهو يجود بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون»(٣).

---

(١) الطبراني وابن إسحاق.

(٢) متفق عليه.

(٣) سبق تخريجه.

من كمال تعاون النبي ﷺ

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَن اسْتطاع منكم أنْ يَنْفَعَ أخاه فَلْيَنْفَعْه».

«عن ابن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته»(١).

نصيحة لنفسي ولإخوتي في الله قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فأكمل المؤمنين إيماناً بالنبي ﷺ، وأعظمهم أتباعاً، له وأسعدهم بالاجتماع معه: المتخلقون بأخلاقه المتمسكون بسنته وهديه.

قال ﷺ: «أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»(٢).

وقال ﷺ: «إنّ من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»(٣).

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إنّ من خياركم أحسنكم خُلقاً»(٤).

---

(١) رواه النسائي والحاكم.

(٢) صححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٣٧٥٩)، وحسنه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٦٠٢٩)ومسلم(٢٣٢١).

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ما من شيءٍ أثقل في ميزانِ المؤمنِ يوم القيامة من خُلُقٍ حسنٍ، وإنّ الله يبغض الفاحشَ البذيءَ»[1].

وفي رواية: «وإنّ صاحبَ حُسن الخُلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة». وقال ﷺ:

«أكملُ المؤمنينَ إيماناً أحسنهم خُلقاً، وخياركم خياركم لأهله».

وفي رواية: «لنسائهم»[2].

وروي عنه ﷺ قال: «أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقاً»[3].

وروي عنه ﷺ: «إنّ الخُلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد»[4].

وعن النواس بن سمعان قال: سألت النبي ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق، وإلاثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»[5].

من كمال قوته ﷺ

وقد جاءت الأخبار بأنه يتمتع بقوة عظيمة، فقد صارع رُكانة أشد أهل وقته، وكان دَعَاهُ للإسلام. وصارع رُكانه بالجاهلية وكان شديداً وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعُهُ رسول الله ﷺ، فوقف ركانة متعجباً، وقال: إنّ شأنك لعجيب.

وقد صارع رسول الله ﷺ غير ركانة، منهم أبو الأسود الجمحي، وقال للنبي ﷺ: إن صرعتني أمنت بك، فصرعه النبي ﷺ فلم يؤمن[6].

---

(١) رواه الترمذي(٢٠٠٧).

(٢) رواه أحمد وأبو داود(٤٦٨٢).

(٣) صححه الألباني.

(٤) الطبراني في الكبير.

(٥) رواه مسلم (٢٥٥٣).

(٦) رواه أبو داود وحسنه الألباني.

وقال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله ﷺ في مشية كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد وهو غير مكترث»[(١)].

من كمال حلمه ﷺ

ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله ﷺ منتبذ ـ جالس ـ تحت شجرة وحده قائلا، والناس قائلون، في غزوة ـ ذات الرقاع ـ فلم ينتبه رسول الله ﷺ الا وهو قائم والسيف صلتا في يده، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: «الله». فسقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ فقال: «من يمنعك مني؟» قال: كن خير آخذ فتركه وعفا عنه. فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس[(٢)].

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابي بردائه جبذةً شديدةً حتى أثّرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد، احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك. فسكت النبي ﷺ ثم قال: «المال مال الله، وأنا عبده». ثم قال: «ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي». قال: لا. قال: «لم؟». قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة. فضحك النبي ﷺ، ثم أمر أن يحمل له على بعيره شعير وعلى الآخر تمر[(٣)].

من كمال جوده وعطائه ﷺ

---

(١) رواه الترمذي(٣٦٥٧).

(٢) رواه البخاري (٤١٢٥)، ومسلم (٨٤٣).

(٣) رواه أبو داود والنسائي.

روى البخاري عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول: ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء فقال «لا».

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثله.

وروى البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أجود بالخير من الريح المرسله»[1].

وعن أنس أنّ رجلاً سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال: أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة[2] «قيل هو صفوان بن أمية».

روى الترمذي عن معوذ بن عفراء، قال: «أتيتُ النبي ﷺ بقناع من رطب ـ طبقا ـ وأجر زغب ـ قثاء ـ فأعطاني ملء كفه حلياً وذهباً»[3].

قال أنس: «كان النبي ﷺ لا يدخر شيئاً لغد».

صلوات ربي وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله يا أكرم خلق الله تعالى.

من كمال شجاعته ﷺ

روى الشيخان عن أبي إسحاق: سمع البراء وسأله رجل من قيس: أفررتم يوم حنين عن رسول الله ﷺ؟! قال:

---

(١) رواه البخاري (٦)، (١٩٠٢)، (٣٢٢٠)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) رواه مسلم (٢٣١٢).

(٣) رواه الترمذي.

لكن رسول الله ﷺ لم يفر. ثم قال: لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان ـ ابن الحارث ابن عبد المطلب ـ آخذ بلجامها، والنبي ﷺ يقول، «أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب».

قيل فما رُؤي يومئذ أحدٌ أشدَ منهُ.

روى مسلم عن العباس قال: فلما التقى المسلمون والكفار، ولّى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ، يركض بغلته نحو الكفار، وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع، وأبو سفيان ـ ابن الحارث ـ آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال، رسول الله ﷺ: «أي عباس! ناد أصحاب السمرة»، فقال عباس: ـ وكان رجلا صيتا ـ: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟.

قال: فوالله! لكأن عطفتهم، حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يالبيك! يالبيك!

قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار، يقولون:

يامعشر الأنصار! يا معشر الأنصار! قال:

ثم قصرت الدعوه على بني الحارث ابن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث ابن الخزرج! يا بني الحارث ابن الخزرج!.

فنظر رسول الله ﷺ وهوعلى بغلته، كالمتطاول عليها، إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا حين حمي الوطيس». قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا، وربّ محمد!»[1].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٦٤)، (٢٨٧٤)، ومسلم (١٧٧٥).

قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله! ما هو إلا أنْ رماهم بحصياته، فما زلتُ أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً.

وروى الشيخان عن أنس قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قِبَل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، فقد سبقهم إلى الصوت وقد استبرأ الخبرعلى فرس لأبي طلحة عرّي، والسيف في عنقه. وهو يقول: «لن تراعوا، لن تراعوا»[(١)] قال: «وجدناه بحراً أو إنّه لبحر» وكان فرساً يبطّأ.

قال عمران بن حصين: ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب ولمّا رآه أُبي بن خلف يوم أُحد وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إنْ نجا.

وقد كان يقول للنبي ﷺ حين افتدي يوم بدر، عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها، فقال النبي ﷺ: «أنا اقتلك إن شاء الله». فلما رآه يوم أُحد شد أُبي على رسول الله ﷺ، فاعترضه رجال المسلمين فقال النبي ﷺ: «هكذا» أي خلى طريقهم وتناول الحربة من الحارث بن الصُمّة فانتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذ انتفض، ثم استقبله النبي ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً وقيل بل كسر ضلعاً من أضلاعه، فرجع إلى قريش يقول: قتلني محمد! وهم يقولون لا بأس بك. فقال: لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال: «أنا قاتلك». والله لو بصق علي محمد لقتلني. فمات بصرف في أُفولهم إلى مكة[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٠)، (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧)وابن ماجة (٢٧٧٤).

(٢) ابن سعد والبيهقي.

من كمال الوقار والصمت وحسن الهدي والسمت للنبي ﷺ

عن أبي شريح الخزاعي، أنّ النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخرفليُحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُلْ خيراً أو ليسكت»[1].

فكان ﷺ يحث على الصمت والسكوت إلا عن الخير، قال في الشفا: كان رسول الله ﷺ «كثير السكوت»، لتفكره في مشاهدة الملكوت، وتذكره مطالعة الجبروت.- واستغراقه في ذات الحي الذي لا يموت-.

روى أبو داود عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب مولى زيد ين ثابت: سمعت خارج بن زيد يقول: «كان النبي ﷺ أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه».

ومثله عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ اذا جلس بالمجلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه ﷺ محتبياً[2].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنّ أحسن الهدي هدي محمد ﷺ.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل أو ترسيل.

قال هند بن أبي هاله: كان سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر.

قال في الشفا: «فأما تقديره ففي تسوية النظر، والاستماع بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يغضبه

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨)، واللفظ له.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٤٦)، وصححه الألباني.

شيء يستفزه، وجمع له في الحذرأخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاد الرأي بما أصلح أُمته، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخره».

وكان ﷺ يحب الطيب والرائحة الحسنه ويستعملهما كثيرا ويحض الناس عليهما وخاصة يوم الجمعة.

كما روى النسائي قوله ﷺ: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1].

قال العلامة ابن الحاج: في كتابه «المدخل»، وانظر إلى حكمة قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «حُبب إليّ» ولم يقل: أحببت، وقال: «من دنياكم». فأضافها إليهم، دونه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ!! فدل على أن حبه كان خاصّا لمولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلذا غاير، فقال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة».

فكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بَشري الظاهر مَلكوتي الباطن، وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يأتي إلى شيء من الأحوال البشرية إلا تأنيساً لامته وتشريعاً لها لا أنّه محتاج إلى شيءٍ من ذلك بحيث لو تركه لأضرّ به.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي هو بَشَريٌ ليس كالأبشار كما أنّ الياقوتَ حجرٌ ليس كالأحجارِ، فدل على أنه ﷺ كان مَلَكي الباطن ومن كان مَلَكي الباطن مَلَكَ نفسه فلا تغلب عليه بحب شيء من الدنيا. ومن مروءته ﷺ، نهيه عن النفخ في الطعام والشراب، والأمر بالأكل مما يلي، والأمر بالسواك وانقاء البراجم «عقد الاصابع إذا أطبقت الكف» والرواجب «رؤوس الاصابع»، واستعمال خصال الفطرة.

---

(١) رواه الحاكم والطبراني والنسائي (٣٩٣٩) وصححه الألباني.

فعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه»(١).

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الفطرة خمس: الاختتان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط»(٢).

وقد حث ﷺ على النظافة، والإغتسال، وإكرام الشَعْر بدهنه وتسريحه والإعتناء به. قال ﷺ: «الطهورُ شطرُ الإيمانِ».

وقال ﷺ: «غسل الجمعة واجب على كل محتلمٍ، والسواك، وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه»(٣).

وعن عطاء بن يسار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أتى رجل إلى النبي ﷺ ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ: كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته، ففعل، ثم رجع، فقال ﷺ: «أليس هذا خير من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان»(٤).

وفي السواك، قال رسول الله ﷺ: «لَوْلا أنْ أَشُقَ عَلى أُمتي لأَمَرتُهُم بالسّواكِ عندَ كلِ صَلاةٍ»(٥).

وقال فيه ﷺ أيضاً «السواكُ مطهرةٌ للفم مرضاةٌ للربّ».(٤)

---

(١) رواه الترمذي(١٨٩٣) وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧) واللفظ له،والنسائي(١١).

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مالك.

(٥) رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢)،والترمذي(٢٢)،وابن ماجة(٢٨٧).

(٤)رواه الترمذي .

قال النووي: السواك سنة وليس بواجب في حال من الأحوال بإجماع من يُعتدُّ به.

قال ابن القيم: «يستحب السواك للمفطر والصائم، وفي كل وقت، لعموم الأحاديث الواردة فيه ولحاجة الصائم إليه ولأنه مرضاة للرب، ومرضاته مطلوبة في الصوم أشد من طلبها بالفطر، ولأنه مطهرة للفم والطهور للصائم من أفضل الأعمال».

أثبت العلم الحديث الفوائد الطبية التالية للسواك:

١- يحتوي على مادة «الفلورايد» التي تمنع تسوس الأسنان.

٢- يحتوي على زيوت عطريه تكسب الفم رائحة طيبة.

٣- يحتوي على مواد كيماوية مزيلة لصفار الأسنان.

٤- يقوم بتنظيف الأسنان من فضلات الطعام بما يحويه من ألياف كالعيدان.

٥- يحتوي على مادة قابضة للّثة ويمنع حدوث نزف بها.

ومن عظيم حُسْنِ هَدْيِهِ ﷺ، حثه على طلب العلم، وأنّ الساعي في تحصيل العلم واكتسابه بمنزلة المجاهد في سبيل الله، وأنّ العلماء الذي يحملون الخير للناس يستحقون كل إكبار وإجلال، وإنهم ورثة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وينالهم من عناية الله تعالى وبركاته ما لا يخطر على قلب بشر.

ويكفي هذه الأمة فخراً أنّ أول آيات القرآن الكريم نزولاً على وجه الإطلاق، قوله تعالى في سورة العلق: ﴿ٱقْرَأْ﴾ إذ بها صار سيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولا، ولا يخفى علينا ما يحمله اللفظ القرآني من دعوة إلى القراءة

والتعلم ومحو الأمية، ولم يأتي اللفظ بـ«اعبد» أو «اعمل» لأن العلم أولاً ثم يأتي بعده العمل. قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(١).

قال ﷺ: «من خرج ليطلب باباً من العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»(٢).

وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياءَ لم تورّث درهماً ولا ديناراً، وإنما ورّثوا العِلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ»(٣).

وقال ﷺ: «فضل العالِم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال ﷺ: إنّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جُحرها وحتى الحوت ليصلون على مُعلّم الناس الخير»(٤).

قال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

إذ يطلب من النبي هنا الإستزادة من العلم فثبت أنّه لا شيء أشرف من العلم.

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمره أن يستزيده من العلم(٥) والخطاب وإن كان موجه للنبي ﷺ بالدرجة الأولى، إلا أنه يتناول عموم الأمة الإسلامية بالدرجة الثانية.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه (٢٢٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٢).

(٣) رواه أبو داود(٣٦٤١)، والترمذي(٢٦٥١).

(٤) رواه الترمذي (٢٦٩٠) وقال: حديث حسن.

(٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم.

وقد وردت لفظة العلم بجميع اشتقاقاتها في القرآن الكريم (٨٨٠) ثمانمائة وثمانين مرة. وهذا يدل على شرف العلم ومنزلته الرفيعة وعلو شأن العلماء، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة ١١].

ويكفى العالِم أن يستمر أجره بعد موته إلى قيام الساعة كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ حيث قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعوا له»[١].

ومن أراد التوسع فعليه بكتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر.

يتبين لنا أنّ النبي ﷺ، نَوّه بالعِلم وحث عليه، لأنّ به يُميز الإنسان بين الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والهدى والضلال، والحسن والقبيح، فهو للعقل كالنور للعين، لا يستغنى عنه بحال. ومن ثم كانت قيمة الإنسان على قدر تحصيله منه، وكذلك الأمم به يكون نهوضها الحضاري، ورقيها الصناعي، وازدهارها التجاري، ونموها الزراعي، واتساعها العمراني، وهو الذي يرقى بالحياة ويجعلها وارفة الظلال، جديرة بأن ينعم الإنسان في حياته. وأية عبادة لا تُبنى على علم ومعرفة فهي عبادة باطلة، لا تقبل بحال أبداً، فالله لم يُعْصَ بمعصية أشد من الجهل.

لذا كان سيدنا علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «قصم ظهري إثنان: جَاهِلٌ متنسّكٌ، وعَالِمٌ مُتَهَتّكٌ». وما أكثرهم هذه الأيام، نعوذ بالله من ذلك، وقد قيل من عَبَدَ الله على جهلٍ فكأنما عصاه. حمانا الله وإياكم والمسلمين أجمعين.

أقول دين وشرع يتدخل في أدق تفاصيل حياتك ونظامها أحق أن يُحَبَ ويُتبع ويُسلم له القياد، فما جاء إلا لسعادتك دنيا وأُخرى.

---

(١) رواه مسلم(١٦٣١)،واللفظ له،والترمذي(١٣٧٦)، والنسائي (٣٦٥١)، وأبو داود (٢٨٨٠).

من كمال قيادته الحربية ﷺ

والناظر في سيرته ﷺ، في غزواته ومعاملاته لأعدائه يرى مواقف كثيرة، تدل على عظيم قيادته وكمال معرفته وخبرته بأساليب الحروب، وحسن معرفته وإدارته للجيوش، مع أنّه لم يتعلم الفنون الحربية ولا الهندسة العسكرية في مدرسةٍ أو كليةٍ حربيةٍ، وتنجلي تلك الصور في المعارك التي خاضها، وفي الخطط الدفاعية التي رسمها، والنظم الحربية التي سنّها، لقد انتصر على قلة جيشه وعدته في مواقع كثيرة، ودخل مكة مصدر الهجوم ومنبع المؤامرات والمكائد نائماً، وقضى على اليهود وتتبعهم حتى قضى على نفوذهم بعدما غدروا مراراً بمعاهداتهم، ولم يكفوا عن المؤامرات والمكائد، هذا ولم تكن سياسته سياسة اعتداءٍ وقهرٍ وظلمٍ، بل كانت سياسة دفاعٍ ومقاومةٍ وعدلٍ، وبذلك جمع الله له كمال الأخلاق، وحسن السياسة، وتصريف الأمور ودحضها في مواضعها ومهدها.

ومن مواقفه الجليلة التي تدل على براعته العسكرية وقيادته الحربية، ورعايته بنفسه تنظيم الصفوف، وتوزيع الجنود، فقد كان يوم بدر ـ المعركة الأولى ـ يُعدّل صفوف أصحابه، وقصته مع الصحابي الجليل سواد بن غزية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لخير دليلٍ على ذلك. ورغم هذا كان يأخذ برأي أصحابه كما في قصة الحباب بن المنذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في ماء بدر وتغويره وبناء حوض عليه، فقال ﷺ: «لقد أشرت بالرأي». وقد مر معنا في شجاعته ما يكفي. وفي أحد كذلك يرتب صفوف أصحابه، ويرتب أجنحتهم، ويضع الحامية اللازمة في مؤخرة المسلمين، ويأمر الرماة أن لا يغادروا مكانهم، مهما حصل في المعركة حتى يتلقوا الأوامر منه.

ومن كمال قيادته وتخويف أعدائه أنّه أمر أصحابه فأوقدوا عشرة الآف نار في وادي فاطمة، مما أرعب أبا سفيان وبديل بن ورقاء، مما كان له أكبر الأثر في استجابة أبي سفيان، وطلبه الأمان من رسول الله ﷺ.

وكم تجلت عظمة سياسته عندما أمر العباس أن يحبس أبي سفيان بمضيق الجبل حتى تمر جنود الله فيراها. ففعل. فمرت القبائل على رايتها، فكلما مرت قبيلة قال: ياعباس من هذه؟. فأقول سليم: قال: ما لي ولسليم.

ثم تمر به القبيلة، فيقول: يا عباس من هؤلاء؟. فأقول مزينة: فيقول: ما لي ومزينة. حتى نفذت القبائل ما تمر قبيلة إلا سألني عنها... حتى مرّ رسولُ الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من كثرة الحديد، قال: سبحان الله!! ياعباس من هؤلاء؟. قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. قال: ما لأحدٍ لهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقةٌ.

أقول قد أجمع علماء الأمة الإسلامية على أنّ تَعلُمَ الفنون والعلوم التي تقوم بها الصناعات، والتي لا غنى للناس عنها، ولا سيما الفنون العسكرية واجب كفائي، إذا قام به البعض سقط الحرج والإثم عن الأمة كلها، وإذا أهمل أثم الكل، وحوسبوا عليه الحساب العسير، وقد تبع العلماء في ذلك القاعدة العامة: ما لا يتم الواجب به فهو واجب. وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى. آمين.

هذا هو حبيبك المصطفى نبراس الكمال، ومنتهى الآمال، وغاية الرحمة والجمال في كل شيء، ﷺ.

والحمد لله رب العالمين

❑ ❑ ❑

من فيض كمال معجزاته ﷺ

القرآن الكريم المعجزة الكبرى الخالدة: لقد مرّ معنا الكثير من معجزاته ﷺ في إثبات نبوته، وليس هذا إلا لتأكيد ما سبق وإيراد بعض ما لم يرد هناك، فإني لا أكرر بل أقرر وأذكّر. لأنّ معرفة شمائله ومعجزاته وإرهاصاته تستدعي كمال الأيمان به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وزيادة في المحبة إذ الأنسان مجبول على حب الجميل، خَلقاً وخُلقاً، علماً وعملاً، حالاً واعتقاداً، ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل من أخلاقه وشمائله ﷺ، وزيادة المحبة وكمال الإيمان مطلوبان شرعاً فما كان يستدعيهما مطلوب كذلك. يعتبر المسلمون أن القرآن هو كتاب الله وأنّه أعجوبة بإعجازه وبحد ذاته، وهو أعظم معجزاته ﷺ، وأخلدها على الزمان، وأشملها وأوسعها مدىً، وأعلاها صوتاً، وأقواها تحدياً لعالمي الإنس والجن، فإنّ معجزاته الكونية الأخرى، كان لها أيضاً شأنها الإعجازي المدوّي الذي هزَّ أركان الكفر والجحود من جموع المنكرين المعاندين، وأثرها البيّن في زيادة اليقين، وتثبيت أركان الدين لدى المؤمنين الصادقين المصدقين، لحضرة النبي الكريم ﷺ، وحيث أنّ العلم بشأنه ﷺ باب العلم بالله، والمعرفة به معراج المعرفة بالله، أردت أن أتشرف بالتنبيه على شيء من شرائف آياته، وعظائم معجزاته عليه أكمل صلوات الله وأتم تسليماته، ففيها للعارف برهان، وللعاقل إيقان، وللصادق إيمان، وللسالك عرفان، وللمؤمن إطمئنان، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الإعجاز مشتق من العجز ـ والعجز: الضعف أو عدم القدرة ـ والإعجاز مصدره أعجز: وهو بمعنى الفوت والسبق.

والمعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة.

وإعجاز القرآن: يقصد به: إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله. أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله. وقد تحدى الله المشركين أن يأتوا بمثل القرآن أو أن يأتوا بعشر سور من مثله، فعجز عن ذلك بلغاء العرب، وأذعنوا لبلاغته وبيانه وشهدوا له بالإعجاز، وما زال التحدي قائماً لكل الإنس والجن ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] ثم أرخى لهم حبل التحدي ووسع لهم فيه غاية التوسعة فتحداهم أن يأتوا ولو بسورة واحدة من مثلهِ، أي سورة ولو من قصار السور، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨] وما زال التحدي قائماً، منذ ذلك الوقت ليومنا الحاضر وقد أدرك أصحاب اللغة مقدار قوة الإسلوب القرآني وحلاوته، ولم يدركه إلا من كان مرهف الحس، وهذا الذي حدا بأحد المختصين أن يقول بأن الذي أحس به من ذلك الأسلوب معنى لا يمكن تفسيره، وقد قرر أبو سليمان الخطابى من قبلهِ عدم قدرة العلماء عن إبراز تفاصيل وجوه الإعجاز، فقال: ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى وجوه الإعجاز من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها، وأصغوا فيه إلى حكم الذوق.

وقال العلامة ابن خلدون: «الإعجاز تقصر الأفهام عن إدراكه وإنّما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته،

فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه». وكما أنّ الله أيّد أنبياءه ورسله بالآيات المعجزات، فقد أنعم الله على رسوله سيدنا محمد ﷺ بمعجزات كثيرة رآها الذين عاصروه، فآمن من آمن وكفر من كفر، وترك سيدنا محمد ﷺ المعجزة الخالدة الباقية، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، القرآن الكريم. وظهرت آيات بينات في إعجاز القرآن من الناحية اللغوية والبلاغية، بَيّنَها الكثيرُ من علماء اللغة قديماً وحديثاً وكتبوا المتون وألفوا الأسفار، ولم تزل هذه المعجزة القرآنية باقية تتحدى كل البشر على أن يأتوا بمثله.

وقد أجمع العلماء على وجوه إعجازه كالتالي:

١- النظم البديع المخالف لكل نظمٍ معهودٍ في لسان العرب.

٢- الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.

٣- الجزالة التي لا يمكن لمخلوقٍ أن يأتي بمثلها.

٤- التشريع الدقيق الكامل الذي لا يتبدل ولا يتغير.

٥- الإخبار عن الغيب الذي لا يُعرف إلا بالوحي.

٦- التوافق مع العلوم الكونية المكتشفة حديثاً بعد تقدم العلم الحديث بتقنياته الحديثة

٧- الإهتمام بحاجات البشرية دنيوياً وأخروياً دون إفراط أو تفريط.

٨- ثأثيره في قلوب الأتباع والأعداء والمنكرين.

وظهرت مؤلفات إسلامية كثيرة في العصر الحالى بينت أوجه ألإعجاز من الناحية العلمية وسميت بالإعجاز العلمي للقرآن، لكونها تفسر الآيات

من الناحية العلمية الحديثة كما يفهمها الناس الآن لكون العلم هو لغة العصر الحالي، وقد أشرت إلى اليسير منها في اثبات نبوته فليراجع هناك.

وكذلك مجلة آيات، د. زغلول النجار، وكذلك كتابَيّ آيات الله في الكون وايات الله في الآفاق، د. محمد راتب النابلسى، والموسوعه الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد مصطفى متولي. لمن أراد التوسع.!!

من فيض معجزاته الكونية المشهورة

إنّ هذا النوع من المعجزات، إنما هو انعطاف مفعم بالود والأُنس، بين ذات الكون وذات النبى المكرم ﷺ، ومن جملة ما تعنيه، الشهادة من جزئيات الكون وكلياته، على صدق نبوته ودعوته ورسالته، وكأن الله عَزَّوَجَلَّ مالك الملك، يومىء إلى الكون أن كُنْ مع حبيبى محمد ﷺ وصدّق دعوته وأطع أمره، وصِرْ في خدمته حيث أراد.

انشقاق القمر له ﷺ

قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وقد ورد في السنة المطهرة الشريفة الكثير من الأحاديث الصحيحة منها: عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ أهْلَ مَكَّةَ سَألُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فأرَاهُمْ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا[١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنّ القمر انْشَقَّ على زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢].

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

لقد شاهد الناس هذه المعجزة في أنحاء الجزيرة العربية، فإنّ أهل مكة لم يصدقوا وقالوا: سحرنا محمد؛ ثم استدركوا قائلين: انظروا ما يأتيكم به السفار فإنّ محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم وفى اليوم التالى سألوا من وفد إليهم من خارج مكة فأخبرو أنهم قد رأوه. وقد شاهد الناس انشقاقه خارج الجزيرة العربية وتحدثوا بذلك، وأظن أن الصين تؤرخ لذلك اليوم عندها وتحتفظ به للآن كما أخبرني غير واحد. قد يقال: إن انشقاق القمر ليس شيئاً مستحيلا، فالعالم قد شاهد انشقاق مذنب «بروكس» شقين سنة ١٨٨٩م. وكذلك انقسام مذنب «بيلا» إلى جزئين سنة ١٨٤٦م. كما ذكر الفلكى «سبنسرجونز» في فصل المذنبات والشهب[1] وفى الإجابة يقال: «الفرق بين انشقاق القمر وانشقاق هذين المذنبين أنهما لم يلتئما بعد الانشقاق؛ والقمر قد التأم وعاد كما كان، وإلا لأصبح ظاهرة كونية». وهو الفرق المنتظر بين الظاهرة الفلكية في الفطرة والمعجزة الفلكية، على يد رسول الله ﷺ لأن المعجزة تزول بزوال وقتها وتحقق الغرض منها؛ ولو استمرت لكانت ظاهرة طبيعية صرفة ولخرجت من دائرة المعجزات، ورغم هذا الإكرام العظيم الذي حظي به رسولنا الكريم، من لدن الله سبحانه وتعالى، بتسخير الكون له، وخرقه نواميسه لأجله، أو تعطيل بعضها لوقت معلوم، ولهدف مطلوب... ورغم أنّ الكون أصبح رهن إشارته، وطوع إرادته، فانشق القمر بإيمائة من إصبعه الشريف، رغم هذا كله فإنّه ﷺ كان وقّافاً عند هذه النواميس، فلم يتجاوزها إلا في أحوال معدودة، وحين ألجأته الضرورة القصوى لذلك. فبلغ من احترامه لهذه السنن، وإكباره لها، أنّه أنكر على من قال: أنّ الشمس كسفت لموت ولده إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فخطب الناس ليقرر

---

(١) عوالم بلا نهاية.

هذه الحقيقة، وليعلم أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم الوقوف باحترام أمام هذه السنن قائلاً: «أنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يُخسفان لموت أحدٍ، ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فكبروا، وادعو الله وصلوا وتصدقوا»[1].

حماية الملائكة له ﷺ

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ «أي هل يصلي جهارةً أمامكم»، فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئِن رأيته يفعل ذلك لأطَأَنَّ على رقبته أو لأعَفِرَنَّ وجهه في التراب. فأتى الرسول ﷺ وهو يصلي لِيَطأ على رقبته، فما فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، وأخذ يقي وجهه بيديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إنّ بيني وبينهُ خندقاً من نار وهَولاً وأجنحة!!!. فقال الرسول ﷺ «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضوا»[2].

سماعه لأهل القبور ﷺ

عن أنس بن مالك قال: «بينما الرسول ﷺ وبلال يمشيان بالبقيع فقال الرسول ﷺ: يا بلال تسمع ما أسمع؟ قال: لا والله ما أسمعه قال: ألا تسمع أهل القبور يعذبون»[3].

مخاطبته لقتلى بدر ﷺ

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال ليلة بدر: «هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً ووضع يده على الأرض، هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً ووضع

---

(١) رواه البخاري (١٠٥٨)، ومسلم (٩٠١) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٧).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٥٣)، وأحمد .

يده على الأرض، فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود، جعلوا يُصرعون عليها، ثم أُلقوا في القليب»[1]. وجاء الرسول ﷺ فقال: يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعد الله حقاً؟ قالوا: يا رسول الله تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟! فقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يردوا عليّ».

حنين جذع النخلة له ﷺ

كان النبي ﷺ يخطُبُ على جذع، فلمَّا صُنِع له منبراً ترك الجذع وصعد المنبر وراح يخطب، فإذا بالجذع يئن أنيناً يسمعه أهل المسجد جميعاً، فنزل من على خطبته وقطعها وضمّ الجذع إلى صدره وقال: «هدأ جذع، هدأ جذع، إن أردتَ أن أغرسك فتعود أخضراً يؤكل منك إلى يوم القيامة أو أدفنك فتكون رفيقي في الآخرة. فقال الجذع: بل ادفني وأكون معك في الآخرة»[2] يقول أنس بن مالك: «حينما توفي النبي ﷺ كنا نقول: يا رسول الله إنَّ جذعاً كنت تخطب عليه فتركتَه فَحَنَّ إليك، كيف حين تركتنا لا تحنّ القلوب إليك»؟.

اهتزاز جبل أحد له ﷺ

يقول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بعد غزوة أُحُد ابتعد كثير من المسلمين عن جبل أُحُد لأنه استشهد في سفحهِ وسهلهِ سبعون من خيار الصحابة، وذهب رسول الله ﷺ. فوقف يوماً على أُحُد وصلى على شهداء أُحُد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وفي رواية عمر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وبينما نحن على أُحُد إذ بأُحُد يهتز

(١) رواه مسلم (١٧٧٩).

(٢) رواه البخاري٩١٨، والترمذي.

وإذا بالرسول ﷺ يبتسم ويرفع قدمه الطاهرة ويضربها على الجبل ويقول: «اثبت أُحُد ». (١)

لِم اهتز الجبل يا ترى ولما ثبت بعد الضربة؟ فالجبل حينما شعر أن قَدَم الحبيب سيدنا محمد ﷺ مسَّته راح يرقص من الطرب فرحاً مسروراً وابتهاجاً ومحبةً.!!

نبع الماء من بين أصابعه ﷺ

روى البخاري عن أنس بن مالك قال: «رأيت رسول الله وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوَضُوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله بوَضُوء فوضع رسول الله يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم»(٢).

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبى بين يديه ركوة «أي إناء صغير من جلد» يتوضأ فجهش الناس نحوه (أي تجمعوا). قال: «ما لكم؟». قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟. قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة(٣)والروايات في هذه المعجزة مشهورة بين الصحابة وقد رواها جمع كثير منهم أنس بن مالك وجابر بن عبد الله وابن عباس، والبراء بن مالك وأبو قتادة، وغيرهم وخبرها متواتر مستفيض.

---

١ - رواه البخاري (٣٦٧٥).
٢ - رواه البخاري (١٦٩)،ومسلم (٢٢٧٩)، وأحمد (١٢٥٢٥).
٣ - رواه البخاري (٣٥٧٦)ومسلم (١٨٥٦).

إضاءة المدينة المنورة لقدومه وظلامها لموته ﷺ

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لمَّا كان اليومُ الذي دَخَلَ فيه رسولُ الله ﷺ المدينةَ، أضاءَ منها كلُّ شيءٍ، فلمَّا كان اليوم الذي ماتَ فيه أظلمَ منها كلُ شيءٍ. وقال: ما نَفَضْنَا عن رسولِ الله ﷺ الأيدي،وانّا لفى دفنِهِ، حتى أنكرْنا قلوبنا». «أي فقدنا أنوار قلوبنا التى كنا نشعر بها، ورسول الله فينا»[(١)].

رد الشمس بعد غيابها وحبسها له ﷺ

أخرج الإمام الطحاوي عن أسماء بنت عميس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من طريقين: أن النبي ﷺ كان يوحى إليه أي بعد أن صلى العصر ورأسه في حجر علي، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «أصليت العصر ياعلي؟»، فقال: لا، فقال ﷺ: «اللهم إن كان في طاعتك وطاعة رسولك فارددعليه الشمس»، فقالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد أن غربت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك في الصهباء في خيبر.

تكثير الطعام القليل ببركة دعائه ﷺ

من ذلك ما روي عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله، وأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: «لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم»(٢). أي لأكلتم كلكم طول عمركم ولقام بكم مدة بقائكم.

---

(١) رواه الترمذي(٣٦٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٢٨١).

وقد روى الشيخان عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: انكفأتُ في غزوة الخندق إلى امرأتي، فقلت هل عندك شيء؟ فإنّي رايت النبي ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ فساررته، فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعاً من شعير، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ: يا أهل الخندق إنّ جابر صنع سؤرا، فحيّ هلا بكم، فقال رسول الله ﷺ: لا تُنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء برجال، فأخرجت له ﷺ عجيناً فبصق ﷺ فيه وبارك، قال جابر ثم عمد ﷺ إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال ﷺ ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي، قال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وهم ألف رجل، وإن برمتنا لتغط، وإن عجيننا ليخبز كما هو[١].

روى الشيخان عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: قال أبو طلحة لأم سليم، لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟، فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببغضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فسلمت عليه، فقال لي رسول الله ﷺ: أرسلك أبو طلحة؟، قلت: نعم، قال طعام؟، قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه قوموا فانطلق ﷺ، وانطلقت بين أيديهم حتى جيء أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعم، فقالت: الله ورسوله أعلم،

---

(١) متفق عليه.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ، وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: هلمي يا أم سليم ما عندك ، فأتت بذلك الخبز فأمر به الرسول ﷺ فَفُتّ، وعصرت أم سليم عكة فأدمت، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال لأبي طلحة: إئذن لعشرة، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم فقال ﷺ: إئذن لعشرة ثم لعشرة فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون[1].

روى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع لهم عليها بالبركة، فقال ﷺ: نعم فدعا بنطع فبسط، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف من شيء، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال خذوا في أوعيتكم، فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله».

كلام الأشجار وطاعتها له ﷺ

روى مجاهد عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدنا أعرابي، فقال النبي ﷺ: «أين تريد»؟، قال إلى أهلي، قال: «هل لك إلى خير؟»، قال: وما هو؟، قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله»، قال: من يشهد لك على ما تقول؟، قال: «هذه الشجرة السمرة فادعها فإنها تجيبك»، قال الأعرابي: فدعوتها وهي بشاطيء الوادي،

(١) متفق عليه ،وأحمد(١٢٥١٩).

فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه ﷺ، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت أنّه كما قال ﷺ، ثم رجعت إلى مكانها.

وعن أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: قال لي رسول الله ﷺ في بعض مغازيه: «هل تعني لي مكانا لحاجة رسول الله ﷺ؟» فقلت، إنّ الوادي ما فيه موضع بالناس، فقال «هل ترى من نخل أو حجارة؟»، فقلت: أرى نخلات متقاربات، قال: «إنطلق وقل لهن رسول الله يأمركنّ أن تأتين لمخرج رسول الله ﷺ، وقل للحجارة مثل ذلك»، فقلت ذلك لهن، فوالذي بعثه بالحق، لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى أجتمعن، والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن، فلما قضى حاجته ﷺ، قال لي: «قل لهن يتفرقنّ»، فوالله الذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة تفرقن حتى عدن إلى مواضعهن[1].

تسبيح الجمادات وكلامها معه ﷺ

روى البخاري بإسناده إلى عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، وروي عنه أيضاً أنّه قال: كنّا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام، ونحن نسمع تسبيحه.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: أخذ النبي ﷺ كفّا من حصى، فسبّحن في يد الرسول ﷺ حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد أبي بكر فسبّحن، ثم وقعن في أيدينا فما سبّحن. وعن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه سمع تسبيح الحصى في كفه ﷺ، ثم في كفّ أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين[2].

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه البزار، والطبراني، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٦٤-٦٥.

وعن جابر بن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه ﷺ قال: «إنّي لأعرف حجراً بمكة يسلم علي»[1].

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنّها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لمّا استقبلني جبريل بالرسالة، جعلت لا أمر بحجرٍ، ولا شجرٍ، إلا قال: السلام عليك يا رسول الله».

وروى البيهقي أنّ النبي ﷺ اشتمل عل العباس وعلى بنيه بملاءة، ودعا لهم بالستر من النار كستره ﷺ إياهم بملأته، فأمنت أسكفة الباب، وحوائط البيت.

إحياء الموتى له ﷺ

روى البيهقي في الدلائل: أنّه ﷺ دعا رجل إلى الإسلام، فقال: لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي، فقال ﷺ: «أرني قبرها»، فأراه، فقال: ﷺ: «يا فلانة»، فقالت: لبيك وسعديك، فقال ﷺ: «أتحبين أن ترجعي على الدنيا؟»، فقالت: لا والله يا رسول الله، إنّي وجدت الله خير إليّ من أبوي، ووجدت الآخرة خيراً من الدنيا.

وروى أبو نعيم: أنّ جابراً ذبح شاة وطبخها، وثرد في جفنة، وأتى بها النبي ﷺ فأكل القوم، وكان ﷺ جمع العظام ووضع يده عليها، ثم تكلم، فإذا الشاة قامت تنفض ذنبها.

وروي عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنّ شاباً من الأنصار توفي وله أمٌ عجوزٌ عمياء، فسجيناه وعزيناه، فقالت: مات ابني؟ قلنا: نعم، قالت: اللهم إن كنت

---

(١) رواه مسلم(٢٢٧٧).

تعلم أنّي هاجرت إليك وإلى نبيك أن تعينني على كل شدة، فلا تحملن علي هذه المصيبة، فما برحنا حتى كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا، وروي أنّه عاش بعدها مدة مديدة.

ومنها ما روي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان قتل في معركة اليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله ﷺ، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، وعثمان البر الرحيم، فنظرنا فإذا هو ميت.

وكذلك ما روي عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ زيد بن خارجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرّ ميتاً في بعض أزقة المدينة، فرفع وسجي، إذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول: أنصتوا أنصتوا، فحسر عن وجهه غطاءه، فقال: محمد رسول الله النبي الأمي ﷺ وخاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب الأول، صدق صدق، وذكر أبا بكر، وعمر، وعثمان بالخير، ثم قال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم عاد ميتا كما كان.

إبراء المرضى وأهل العاهات بريقه الشريف المبارك ودعواته الشريفة المباركة ﷺ

منها ما رُوي عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: إنّ رسول الله ﷺ ليناولني السهم لا نصل له ، فيقول: «إرم سعد»، فأرمي به فيقتل من أصابه، وأصيب في غزوة أحد عين قتادة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ، فكانت أحسن عينيه[١].

ومنها ما روي عن عثمان بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعمى جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري، فقال ﷺ: إنطلق فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم قال: اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك

(١) الطبقات لابن سعد ٢/ ٢٦.

محمد ﷺ، نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري، اللهم شفعه فيّ، قال الراوي: فرجع الأعمى وقد كشف الله تعالى بصره فصار بصيراً[١].

ومنها ما رواه العقيلي، عن حبيب بن فديك، ويقال فريك: أنّ أباه ابيضت عيناه، فكان لايبصر بهما شيئا، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر، قال رأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة.

ومنها أنّه ﷺ تَفَلَ على شجّة عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم تمدّ.

وتفل في عيني علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم خيبر وكان رَمِدَاً فأصبح بارئاً[٢].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّه جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح ﷺ صدره فثع ثعة، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود، فشفي الولد من جنونه شفاءً تاماً. وكانت في يد شرحبيل الجحفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سلعة تمنعه القبض عل السيف، وعنان الدابة، فشكاها للنبي ﷺ، فما زال ﷺ يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر.

زراعته ﷺ وَدِيّ النخيل لسيدنا سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حدثني سلمان الفارسي حديثه من فيْهِ قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها ـ جي ـ وكان أبي دهقان قريته وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إيايّ حتى حبسني في بيته أي ملازم النار كما تحبس الجارية

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.

واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، قال وكانت لأبي ضيعة عظيمة، قال: فشُغل في بنيان له يوماً فقال لي: يابني إنّي قد شُغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب فاطلعها وأمرني فيها ببعض ما تريد.

فخرجت أريد ضيعته فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي ولم آتها فقلت لهم: أين أصل هذا الدين قالوا: بالشام ثم قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله قال: فلما جئته قال: أي بُني! أينَ كنتَ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبتِ مررتُ بناسٍ يصلون في كنيسةٍ لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم والله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال: أي بُني! ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خيرٌ منه، قال: قلت: كلا والله إنّه خيرٌ من ديننا قال فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم.

قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى قال: فأخبروني بهم قال: فقلت لهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة قال: فجئته فقلت: إنّي قد رغبت في هذا

الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك قال: فادخل فدخلت معه قال: فكان رجل سوءٍ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِق.

قال: وأبغضته بغضاً شديداً لِما رأيته يصنع. ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسِهِ ولم يعط المساكين منها شيئاً قالوا: وما علمك بذلك؟ قال: قلت: أنا أدلكم على كنزه قالوا: فدلنا عليه قال: فأريتهم موضعه قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورِقاً قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ثم رجموه بالحجاره.

ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه قال: يقول: سلمان فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس، أرى أنّه أفضل منه وأزهد في الدنيا ولا في الآخرة ولا أرغب في الآخرة ولا ادأب ليلاً ونهاراً منه قال: فأحببته حباً لم أحببه أحداً من قبله وأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلت له: يا فلان إنّي كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه أحداً من قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني! والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان فهو على ما كنت عليه فالحق به.

قال: فلما مات وغُيّب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان إنّ فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنّك على أمره قال: فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل، على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته

الوفاة قلت له: يا فلان إنّ فلاناً أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من الله عَزَّوَجَلَّ ما ترى فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فإلحق به قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فجئته فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي قال: فأقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له: يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمُرُكَ أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية فإنه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا.

قال: فلما مات وغُيّب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال: أقم عندي فأقمت مع رجل على هُدى أصحابه وأمرهم قال: واكتسبتُ حتى كان لي بقرات وغُنَيمّة قال: ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له: يا فلان إنّي كنت مع فلان فأوصى بي فلان إلى فلان وأوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بُني والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمُرُكَ أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغُيّب فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ثم مر بي نفر من كلبٍ تجاراً فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغُنَيْمَتي هذه قالوا: نعم فأعطيتهموها وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القّرى

ظلموني فباعوني من رجل من يهود عبداً، فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريضة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها.

وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرِّقِ ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذقٍ لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: فلان: قاتل الله بني قيلة والله إنّهم الآن لمجتمعون بقباءٍ على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت سأسقط على سيدي قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه فلان: ماذا تقول ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء إنّما أردت أن استثبت عمّا قال.

وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته اليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل قال: فقلت في نفسي هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئت به فقلت إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قال: وقد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وَصَفَ لي صاحبي فلما رآني رسول الله ﷺ استدرته عرف أنّي استثبت في شيءٍ وُصِفَ لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوّل» فتحولت فقصصت عليه حديثي كما حدثتك ياابن عباس، قال: فأعْجَبَ رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرِّق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرٍ وأُحدٍ.

قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ «كاتب يا سلمان»، فكاتبت صاحبي على ثلاث مئة نخلة أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية فقال الرسول الله ﷺ لأصحابه: «أعينوا أخاكم» فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر يعني الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاث مئة ودية فقال لي رسول الله ﷺ: «إذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي».

ففقرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سليمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة فأديت النخل، وبقي عليَّ المال فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب»، قال: فدعيت له فقال: «خُذْ هذه فأدي بها ما عليك يا سلمان». فقلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليّ؟ قال: «خذها فإن الله عَزَّوَجَلَّ سيؤدي بها عنك».

قال: فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم، وعتقت فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتني معه بعد ذلك مشهد(١).

ومن معجزاته ﷺ، إخباره بما يكون بعده لكثيرٍ من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، أو غيرهم.

١ - ثبت أنّه ﷺ أخبر ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّها: «أول أهله لحوقاً به». وفعلاً لحقته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد ستة أشهر.

روى مسلم أن عائشة أُم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إنّ رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارّها، فبكت، ثم سارّها فضحكت، فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارّك به رسول الله ﷺ فبكيتِ، ثم سارّك فضحكت؟، قالت: سارّني فأخبرني بموته، فبكيت، ثم سارّني فأخبرني أنّي أول من يتبعه من أهله، فضحكت(٢).

٢ - عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أم حرام خالته قالت: أتانا النبي ﷺ يوماً، فَقَالَ(نَامَ) عندنا، فاستيقظ وهو يضحك، فقلت ما يضحكك؟، يا رسول الله! بأبي أنت وأُمي! قال: «أُريت قوماً من أُمتي يركبون ظهر البحر، كالملوك على الأسرة»، فقلت: ادع الله أن أكون منهم، قال: «فإنّك منهم».

قالت: ثم نام فاستيقظ أيضاً وهو يضحك، فسألته، فقال مثل مقالته، فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنتِ من الأولين»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٣٧٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٣) رواه البخاري (٢٨٧٧)، ومسلم (١٩١٢).

وبعد أربعين سنة اصطحبها زوجها، عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بفتح قبرص وتوفيت هناك رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وقبرها هناك معروف يزار.

٣- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس ـ أو قال ـ من أبناء فارس، حتى يتناوله»[١].

وقد تحققت هذه المقولة والمعجزة النبوية في إمام المذهب أبي حنيفة النعمان رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى. ناهيك عن جمٍ غفيرٍ من الأولياءِ والعلماءِ أنجبتهم بلاد فارسٍ.

٤- وثبت أنه أخبر بفتح خيبرعلى يدي علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ برواية البخاري ومسلم كما سبق عن أبي هريرة وسهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

وفي اليوم التالي أعطى الراية لعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتم فتح خيبر على يديه كما أخبر سيد البشرية ﷺ.

٥- وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلت يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه، قال: «ابسط رداءك فبسطته».

قال: فغرف بيديه، ثم قال: «ضمه»، فضممته فما نسيت شيئاً بعده[٢].

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه البخاري (٤٨٩٨)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٢) رواه البخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٢).

معجزات النبي ﷺ مع الحيوانات

١ - من معجزاته المتعلقة بالحيوان توقير الوحش له، فقد كان في بيت النبى ﷺ وحش يحترمه ويُوّقره ويُجله.

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان لآل رسول الله وحش فإذا خرج رسول الله لعب واشتد، وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله قد دخل ربض فلم يترمرم ما دام رسول الله في البيت كراهية أن يؤذيه[1].

٢ - الجمل البطيء صار سريعاً:

إنه جمل سيدنا جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان بطيئاً فدعا له الرسول فصار سابق الجمال. ويُحدثنا عن هذا جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيقول: خرجت مع رسول الله في غزاة فأبطأ جملي وأعياني فأتى عليّ رسول الله فقال: «ما شأنك؟».

قلت: أبطأ جملي وأعياني وتخلف، فحجنه بمحجنه ـ أي ضربه ـ، ثم قال: «اركب»، فركبت فلقد رأيتني أكفه عن رسول الله. أي من شدة السرعة. وعنه قال: غزوت مع رسول الله فتلاحق بي وتحتي ناضح لي قد أعيا. وساق الحديث[2].

٣- وافد الذئاب يرضى بأوامر الرسول:

عن حمزة بن أبي أسيد قال: خرج رسول الله في جنازة رجلٍ من الأنصار بالبقيع، فإذا الذئب مفترشاً ذراعيه على الطريق، فقال رسول الله: «هذا جاء يستفرض فافرضوا له»، قالوا: ترى رأيك يا رسول الله، قال: «من كل سائمة شاة

(١) أخرجه أحمد، والهيثمي في مجمع الزوائد.
(٢) رواه البخاري (٢٠٩٧)، مسلم (٧١٥)، والنسائي (٤٦٣٧).

في كل عام». قالوا كثير، قال: فأشار إلى الذئب أن خالسهم فانطلق الذئب. ورضي الذئب بأن يأخذ منهم الشياة خلسة كما عرض عليه رسول الله[1].

٤ - الذئب يتكلم ويشهد بالرسالة:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، فقال: ألا تتقي الله؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ؟.

فقال: يا عجبي ذئب يكلمني كلام الإنس!!.

فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟.

محمد بيثرب يُخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله فأخبره، فأمر رسول الله فنودي: الصلاة جامعة ثم خرج فقال للراعي: أخبرهم فأخبرهم. فقال رسول الله ﷺ: «صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يُكلم السباع الإنس، ويُكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويُخبره فخذه بما أحدثه أهله بعده»[2].

٥ - الشاة التي لم يطأها الفحل تدر:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله وقال لي: «يا غلام، هل من لبن؟». فقلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: «فهل من شاة حائل لم ينز عليها الفحل؟». قال: فأتيته بشاة حائل

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل، ورواه البزار وأبو نعيم.

(٢) أخرجه أحمد (١١٨١٤)، والبيهقي في الدلائل وابن حبان (٦٤٩٤) والترمذي (٢١٨٦).

فمسح ضرعها فنزل لبن، فحلبه في إناء وشرب، وسقى أبا بكر ثم قال للضرع: «اقلص» فقلص. قال: ثم أتيته بعد فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال: «يرحمك الله فإنك عليم معلم»(١).

٦- شاة أم مَعبَد التي لا تدر اللبن درّت:

عن أبي معبد الخزاعي أنّ النبي ﷺ، خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط... ثم مرّ رسول الله في مسيره ذلك حتى مر بخيمة أم مَعبَد الخزاعية، وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة، ثم تُطعم وتسقي من مر بها، فسألاها: «هل عندك شيء؟». فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القِرى.

والشاء عازب «إي بعيدة المرعى» وكانت سنة شهباء، فنظر رسول الله إلى شاة في كِسر الخيمة، فقال: «ماهذه الشاة يا أم معبد؟». قالت: شاة خلّفها الجهد عن الغنم، فقال: «هل بها من لبن؟». قالت: هي أجهد من ذلك. فقال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟». قالت: نعم بأبي وأمي، إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فمسح رسول الله ﷺ بيده ضرعها، وسمّى الله ودعا فتفاجت عليه «إي فرّجت ما بين رجليها» ودرّت، فدعا بإناء لها يُربض الرهط، فحلب فيه حتى علته الرغوة، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب، وحلب فيه ثانياً، حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، فارتحلوا. فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً «إي هزالاً» يتساوكن «أي يتمايلن من شدة ضعفهن» هزالاً لا نقى بهن «النقى مخ العظم أي لا قوة فيهن» فلما رأى اللبن، عَجِب فقال: من أين لك هذا؟ والشاة عازب، ولا حلوبة في البيت؟ فقالت:

---

(١) أخرجه أحمد(٣٥٩٨)، وابن سعد في الطبقات.

لا والله!! إلا أنه مرّ بنا رجل مُبارك كان في حديثه كيت وكيت، ومن حاله كذا وكذا. والقصة مشهورة في وصف النبي ﷺ.

٧- طائر الحمرة أخذ حقه ولم يرجع:

أخذ بعض الصحابة فرخا حُمّرة، فجاء طائر الحُمّرة يريد ولداه. وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حُمرة فأخذناهما، قال: فجاءت الحُمّرة إلى رسول الله وهي تفرش فقال: «من فجع هذه بفرخيها؟».

قال: فقلنا: نحن، قال: «ردّوهما». فرددناهما إلى موضعهما فلم يرجع(١).

٨- ذراع الشاة يتكلم:

في غزوة خيبر أهدت زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم، رسول الله شاة مشوية قد سمّتها، وسألت: أي اللحم أحب إليه؟.

فقالوا: الذراع فأكثرت من السم في الذراع، فلما انتهش من ذراعها، أخبره الذراع بأنه مسموم، فلفظ الأكلة ثم قال: «اجمعوا لي من ها هنا من اليهود»، فجمعوا له... فقال لهم: «هل أنتم صَادقي عن شيءٍ إن سألتكم عنه؟» قالوا: نعم قال: «أجعلتم في هذه الشاة سُمّاً؟» قالوا: نعم، قال: «فما حملكم على ذلك»؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك(٢).

٩- الجمل يسجد للرسول ﷺ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسقون عليه وأنّه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأنّ الأنصار جاءوا إلى

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٧٥)، وفي الأدب المفرد (٥٢٦٨)، والبيهقي في الدلائل واللفظ له.

(٢) رواه البخاري في الطب والجهاد والمغازي، وأبو داود (٤٥٠٩).

رسول الله فقالوا: إنّه كان لنا جمل نسقي عليه، وأنّه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا». فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي نحوه فقالت الأنصار: يا رسول الله إنّه قد صار مثل الكَلْب الكَلِب «إي الكلب المفترس»، وإنّا نخاف عليك صولته، فقال: «ليس عليّ منه بأس». فلمّا نظر الجمل إلى رسول الله أقبل نحوه حتى خَرّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله بناصيته أذلّ ما كانت قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك فقال ﷺ: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تتفجر بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقّه»[١].

١٠- الجمل يبكي ويشكو للنبي ﷺ:

عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أردفني رسول الله ذات يوم خلفه فأسرّ إليّ حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً، وكان رسول الله أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل، فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه... فلما رأى رسول الله حنّ وذرفت عيناه فمسح رسول الله سراته وذفراه، فسكن. فقال: «من صاحب الجمل؟».

فجاء فتى من الأنصار قال: هو لي يا رسول الله، فقال: «أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله لك إنّه شكا إليّ أنّك تجيعه وتُدئبه»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد(١٢٦٤١)، وابن كثير ٦/ ١٤٩وقال إسناده جيد.

(٢) رواه أحمد(١٧٤٥)،وابن حبان(١٤١١).

١١ - البعير والبهائم تسجد للرسول ﷺ:

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار، فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه: يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك. فقال: «اعبدوا ربكم، وأكرموا أخاكم، ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغي لها أن تفعله»[١].

١٢ - دعوها فإنّها مأمورة:

لما كان يوم الجمعة بعد وصول النبي ﷺ إلى المدينة ركب بأمر الله فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمّع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، ثم ركب فأخذوا بخطام راحلته، هَلُمّ إلى العدد والعُدّة والسلاح والمنعة، فقال: «خلّوا سبيلها فإنها مأمورة».

فلم تزل ناقته سائرة به لا تمرُّ بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه في النزول عليهم، ويقول: «دعوها فإنها مأمورة».

فسارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم، وبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت، فرجعت، فبركت في موضعها الأول فنزل عنها، وذلك في بني النجار أخواله، وكان من توفيق الله لها، فإنه أحب أن ينزل على أخواله، يُكرمهم بذلك، فجعل الناس يُكلّمون رسول الله في النزول عليهم وبادر أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى رحله فأدخله بيته، فجعل رسول الله يقول: «المرء مع رحله»[٢].

---

(١) رواه أحمد (٢٤٩٧٥)، وابن ماجة في النكاح رقم (١٨٥٢).

(٢) متفق عليه.

١٣- الفرس الضعيف يسبق ويدر الأموال الطائلة:

عن جعيل الأشجعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: غزوت مع رسول الله في بعض غزواته، وأنا على فرسٍ لي عجفاء ضعيفة، قال: فكنت في أُخريات الناس، فلحقني رسول الله وقال: «سر يا صاحب الفرس»، فقلت: يا رسول الله عجفاء ضعيفة، قال: فرفع رسول الله مخفقة معه فضربها بها وقال: «اللهم بارك له»، قال: فلقد رأيتني أمسك برأسها أن تقدم الناس، ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفا[(١)].

١٤- الناقة القاعدة تتحرك وتسبق:

هذا صحابي أعجزته ناقته أن تتحرك فمسها برجله فتحركت وسبقت. يقول أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة، فقال: «هلاّ نظرت إليها فإنّ في أعين الأنصار شيئاً»؟

قال: قد نظرت إليها، قال: «على كم تزوجتها؟». فذكر شيئاً، قال: «كأنهم ينحتون الذهب والفضة من عرض هذه الجبال، ما عندنا اليوم شيء نعطيكه، ولكن سأبعثك في وجه تصيب فيه». فبعث بعثاً إلى بني عبس وبعث الرجل فيهم، فأتاه فقال: يا رسول الله أعيتني ناقتي أن تنبعث، قال: فناوله رسول الله يده كالمعتمد عليه للقيام، فأتاها فضربها برجله.

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لقد رأيتها تسبق به القائد[(٢)].

١٥- الشاة التي لا تدر تدر وتنجب أغناماً كثيرة:

عن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرجت مع رسول الله من مكة فانتهينا إلى حي من أحياء العرب، فنظر رسول الله إلى بيت متنحياً فقصد إليه، فلما نزلنا لم

---

(١) البخاري في التاريخ ١/ ٢٤٨، والنسائي في السنن، والبيهقي في الدلائل.

(٢) رواه مسلم(١٤٢٤)، والبيهقي في الدلائل ٦/ ١٥٤.

يكن فيه إلا امرأة، فقالت: يا عبد الله، إنّما أنّا امرأة وليس معي أحد، فعليكما بعظيم الحي إذا أردتم القرى «أي ما هيئ للضيف» فلم يجبها وذلك عند المساء فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها، فقالت له: يا بني، انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين، فقل لهما: تقول لكما أمي: اذبحا هذه وكلا وأطعمانا، فلما جاء قال له النبي: ﷺ «انطلق بالشفرة وجئني بالقدح»، قال: إنها قد عزبت، وليس لها لبن. قال: «انطلق»، فانطلق فجاء بقدح.

فمسح النبي ضرعها، ثم حلب وملأ القدح ثم قال: «انطلق به إلى أمك»، فشربت حتى رويت، ثم جاء به فقال: انطلق بهذه وجئني بأخرى، ففعل بها كذلك، ثم شرب النبي ﷺ فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا وكانت تسميه المبارك، وكثرت غنمها حتى جلبت جلباً إلى المدينة فمر أبو بكر الصديق فرآه ابنها فعرفه، فقال: يا أمه، إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك، فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: وما تدرين مَن هُوَ؟ قالت: لا. قال: هو النبي قالت: فأدخلني عليه، فأدخلها عليه فأطعمها وأعطاها، واهدت له شيئاً من أقط ومتاع الأعراب، فكساها وأعطاها، وأسلمت(١).

١٦ - البعير يتكلم:

عن يعلى بن سبابة قال: كنت مع النبي في مسير له، فأراد أن يقضي حاجته فأمر وديتين فانضمت إحداهما إلى الأخرى، ثم أمرهما فرجعتا إلى منابتهما، وجاء بعير فضرب بجرانه إلى الأرض ثم جرجر حتى ابتلَّ ما حوله فقال رسول الله: «أتدرون ما يقول البعير؟ إنّه يزعم أنّ صاحبه يريد نحره»، فبعث إليه رسول الله فقال: «أواهبه أنت لي؟» فقال يا رسول الله: ما لي مال أحب إليّ منه فقال: «استوص به معروفاً»، فقال: لا جرم لا أكرم مالاً كرامته يا رسول الله.

---

(١) البيهقي في الدلائل ٢/ ٤١٩ ،وكنز العمال، وحسنه ابن كثير.

١٧ - كلام الظبية وشهادتها للنبي ﷺ بالرسالة:

عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: مرّ رسول الله بظبية مربوطة إلى خباء فقالت: يا رسول الله: حلني حتى أذهب فأرضع خشفي، ثم أرجع فتربطني، فقال رسول الله: «صيد قوم وربيطة قوم». قال: فأخذ عليها فحلفت له فحلها فما مكثت إلا قليل حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها فربطها رسول الله، ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها فوهبوها له فحلها ثم قال رسول الله ﷺ: «لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً أبداً»(١).

١٨ - الظبية تستنجد بالنبي ﷺ:

عن زيد بن أرقم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنت مع النبي في بعض سكك المدينة فمررنا بخباء أعرابي، فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء، فقالت يا رسول الله: إن هذا الأعرابي اصطادني ولي خشفان في البرية وقد تعقد اللبن في أخلافي فلا هو يذبحني فأستريح ولا يدعني فأرجع إلى خشفي في البرية، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن تركتك ترجعين». قالت: نعم، وإلا عذبني الله بعذاب العشار ـ أي الناقة التي أتى عليها من رفث الحمل عشرة أشهر ـ فأطلقها رسول الله، فلم يلبث إلا أن جاءت تلمظ فشدها رسول الله إلى الخباء وأقبل الأعرابي ومعه قربة فقال له رسول الله: «أتبيعنيها؟». قال: هي لك يا رسول الله فأطلقها رسول الله(٢).

١٩ - فهم البغلة كلام النبي ﷺ:

عن شيبة بن عثمان الحجبي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله للعباس يوم حنين: «ناولني من الحصباء». وأفقه الله البغلة كلامه، فانخفضت به حتى كاد

---

(١) البيهقي في الدلائل ٦/ ٣٣٤.

(٢) رواه أبو نعيم والبيهقي في الدلائل.

بطنها يمس الأرض، فتناول رسول الله من البطحاء، فحثا في وجوههم. وقال: «شاهت الوجوه حم لا ينصرون» وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: انهزم المسلمون بحنين ورسول الله على بغلته الشهباء ـ وكان اسمها دلدل ـ فقال لها رسول الله: دلدل البدي، فألزقت بطنها بالأرض، فأخذ حفنة من تراب فرمى بها في وجوههم وقال: «حم لا ينصرون، فانهزم القوم، وما رمينا بسهم، ولا طعنا برمح».

٢٠- الفحلان سجدا للنبي ﷺ:

عن ابن عباس أن رجلاً من الأنصار، كان له فحلان فاغتلما فأدخلهما حائطاً فسد عليهما الباب ثم جاء إلى النبي فأراد أن يدعو له والنبي قاعد مع نفر من الأنصار فقال: يا نبي الله إنّي جئت في حاجة، وأن فحلين لي اغتلما وإني أدخلتهما حائطاً وسددت عليهما الباب، فأحب أن تدعو لي أن يسخرهما الله لي فقال لأصحابه: «قوموا معنا» فذهب حتى أتى الباب فقال: «افتح» فأشفق الرجل على النبي قال: «افتح» ففتح الباب، فإذا أحد الفحلين قريب من الباب.

فلما رأى النبي سجد له، فقال النبي: «ائتني بشيءٍ أشد برأسه وأمكنك منه»، فجاء بخطام فشد رأسه وأمكنه منه، ثم مشى إلى أقصى الحائط إلى الفحل الآخر فلما رآه وقع له ساجداً، فقال للرجل: «ائتني بشيء أشد رأسه »، فشد رأسه وأمكنه منه ثم قال: «اذهب فإنهما لا يعصيانك»، فلما رأى أصحاب النبي ذلك قالوا: هذان فحلان لا يعقلان سجدا لك، أفلا نسجد لك، قال: «لا آمر أحداً يسجد لأحد، ولو أمرت أحداً يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[1].

---

(١) سبق تخريجه.

٢١- الذئاب تتكلم وتطلب حقها:

عن شمر عن رجل من مزينة قال أي «نام»: صلى رسول الله ذات يوم فجاءت الذئاب فعوت خلفه، فلما انصرف رسول الله قال: «هذه الذئاب أتت تخبركم أن تقسموا لها من أموالكم ما يصلحها أو تخلوها فتغير عليكم»، قالوا: دعها فتغير علينا(١).

٢٢- شهادة الضب للنبي بالرسالة:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً وجعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة، قال: ما هذا؟ قالوا: هذا الذي يزعم أنه نبي: فجاء حتى شق الناس، فقال: واللات والعزى ما اشتملت النساء على ذي لهجة أبغض إليّ منك ولا أمقت ولولا أن يسميني قومي عجولاً لعجلت عليك فقتلتك فسررت بقتلك الأسود والأحمر والأبيض وغيرهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله: دعني فأقوم فأقتله. قال: «يا عمر: أما علمت أنّ الحليم كاد أن يكون نبياً». ثم أقبل على الأعرابي فقال: «ما حملك على أن قلت ما قلت؟ وقلت غير الحق؟ ولم تكرمني في مجلسي؟»، قال: وتكلمني أيضاً؟ استخفافاً برسول الله، واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وأخرج الضب من كُمّه وطرحه بين يدي رسول الله، فقال رسول الله: «يا ضب؟»، فأجابه الضب بلسان عربي مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال: «من تعبد يا ضب؟» قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، قال: «فمن أنا

---

(١) سنن الدارمي وابن أبي شيبة.

يا ضب؟»، قال: رسول الله رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك.

قال الأعرابي: لا أتبع أثراً بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الأرض أبغض إليّ منك، وإنك اليوم أحب إلي من والدي ومن عيني، ومني وإني لأحبك بداخلي وخارجي وسري وعلانيتي. أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. فقال رسول الله: «الحمد لله الذي هداك بي، إنّ هذا الدين يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبل إلا بصلاة ولا تقبل الصلاة إلا بالقرآن»، قال: فعلمني، فعلمه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال زدني: فما سمعت في البسيط ولا في الرجز أحسن من هذا. قال يا أعرابي:! «إن هذا كلام الله ليس بشعر إن قرأت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة كان لك كأجر من قرأ ثلث القرآن، وإن قرأت مرتين كان لك أجر من قرأ ثلثي القرآن، وإذا قرأتها ثلاث مرات كان لك أجر من قرأ القرآن كله».

قال الأعرابي: نعم الإله: إلهاً يقبل اليسير ويعطي الجزيل، فقال له رسول الله: «ألك مال» قال: فقال: ما في بني سليم قاطبه رجل هو أفقر مني، فقال رسول الله لأصحابه: «أعطوه» فأعطوه حتى أبطروه. فقام عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله!

إن له عندي ناقة عشراء دون البختين وفوق الأعربي تلحق ولا تُلحق أهُديت إليّ يوم تبوك أتقرب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ وأدفعها إلى الأعرابي. فقال رسول الله: «قد وصفت ناقتك فأصف مالك عند الله يوم القيامة»، قال: نعم. قال: لك «ناقة من درة جوفاء قوائمها من زبرجد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج وعلى الهودج السندس والإستبرق وتمر بك على الصراط كالبرق الخاطف يغبطك بها كل من رآك يوم القيامة».

فقال عبد الرحمن: قد رضيت. فخرج الأعرابي فلقيه ألف أعرابي من بني سليم على ألف دابة. معهم ألف سيف وألف رمح. فقال لهم: أين تريدون؟ فقالوا: نذهب إلى هذا الذي سَفَّهَ آلهتنا فنقتله: قال: لا تفعلوا أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فحدثهم الحديث، فقالوا بأجمعهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم دخلوا فقيل للنبي: فتلقاهم بلا رداء فنزلوا عن ركبانهم يقبّلون حيث وافوا منه، وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم قالوا: يا رسول الله أمرنا بأمرك، قال: «كونوا تحت راية خالد بن الوليد». فلم يؤمن من العرب ولا غيرهم ألف غيرهم[1].

٢٣- أخبر عن الشاة التي أخذت بغير إذن أهلها ولم يعلم بذلك أحد، ومن معجزاته الإخبار عن الغيوب الماضية:

عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله في جنازة فرأيت رسول الله وهو على القبر يوصي الحافر: أوسع من قبل رجليه، أوسع من قبل رأسه، فلما رجع استقبله داعي امرأة، فجاء وجيء بالطعام فوضع يده فيه ووضع القوم أيديهم فأكلوا فنظر آباؤنا رسول الله يلوك لقمة في فيه، ثم قال: «أجد لحم شاة، أخذت بغير إذن أهلها». قال: فأرسلت المرأة، يا رسول الله إني أرسلت إلى البقيع يشتري لي شاة فلم توجد، فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة أن أرسل بها إليّ بثمنها فلم يوجد، فأرسلت إلى امرأته فأرسلت إليّ بها، فقال رسول الله ﷺ: «أطعميه الأسارى»[2].

---

(١) أخرجه أبو نعيم والبيهقي وابن كثير ٦/ ١٤٩، والسيوطي في الخصائص ٢/ ٦٥.

(٢) أخرجه أبو داود، وابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ١٩٨.

٢٤- أخباره عن الجمل وما يحدث حوله:

عن ابن عباس عن رسول الله قال: «أيتُكُنّ صاحبة الجمل الأذنب يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت». أي تُقْتَل. وذلك سنة ست وثلاثين. وقد قتل حول الجمل ستون ألفاً من الصحابة والتابعين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ[1].

ولم يقتل في حروبنا مع المشركين وفارس والروم سوى عُشْر هذا العدد أو يزيد قليلا، في كل معارك الفتوحات، فيالله... التاريخ يعيد نفسه!!.

صلوات ربي وسلامه عليك يا حبيبي يا سيدي يا رسول الله، يا رحمة الوجود، ويا نور الوجود، ويا روح الوجود الأعظم.

❑ ❑ ❑

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٥/ ٣٦٠.

ومن إعجازاته الطبية العلمية المكتشفة حديثاً

١ - مرض الكلب:

إعجاز آخر للطبّ النبويّ، حين أرشدنا إلى الأسلوب العلمي الرفيع في الاحتراز من الآنية والمياه، التي يردها الكلاب خوفاً من نقلها مرض الكلب «الريبس» الخطير، وعدة أمراض أخرى حيث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب»(١). وفي رواية إحداهن. ما الحكمة في الغسل سبع مرات أولاهن بالتراب: أنّ فيروس الكلب دقيق متناه في الصغر، وكلما صغر حجم الميكروب كلما زادت فاعلية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به، ولعاب الكلب المحتوي على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل، ودور التراب هنا هو منع الميكروب «بالالتصاق السطحي» من الإناء على سطح دقائقه.

الله أكبر ما أعظمك يا رسول الله، سبحان مَن أوحى إليك وعَلمَك.

٢ - الذباب:

ترجع فكرة اللقاحات والأمصال إلى اكتشاف الطبّ الحديث أنّ العلاج بذات السم هو خير وسيلة للنجاة منه، لقدرة الخلايا الحية على إنتاج أجسام مضادة، وقد أثبتت دراسات أجريت على الذباب، أنه حين يحمل في جناحه بعض الجراثيم تتولد به أجسام مضادة لهذه الجراثيم. وجاء هذا مصدقاً لكلام رسول الله ﷺ قال: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الآخر دواء»(٢).

---

(١) رواه البخاري(١٧٢)، ومسلم (٢٧٩)،و ابن ماجة (٣٦٣).

(٢) رواه البخاري (٣٣٢٠)و(٥٧٨٢).

وفي رواية أحمد: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، وأنه يقدم السّمّ ويؤخر الشفاء».

والحديث يقرر ما لم تعرفه الأجيال السابقة عن دور الذباب كناقل رئيسي للأمراض آية شاهدة على الإعجاز العلمي في الحديث النبوي؟؟.

٣- تحريمه لحم الخنزير:

هناك الآن دعوات قوية للتخلص من لحم الخنزير في أوروبا، فلحم الخنزير مستودع لأخبث أنواع الكائنات الدقيقه وأخبث أنواع البكتيريا، وأخبث أنواع الفايروسات والطفيليات الضارة بل إنّ لحم الخنزير نفسه تركيبُهُ ضار جداً، يضر بصحة الإنسان.

وآخر الأبحاث أنّ لحم الخنزير من العوامل المهيئة لوجود السرطان بالأجساد قال الدكتور لارسون: بعد أبحاث طويلة أنّ لحم الخنزير يسبب أمراض عديدة منها الروماتيزم في المفاصل وقد ينتهي إلى روماتيزم القلب أو روماتيزم الكلى. ناهيك عن الدودة الشريطية المعروفة باسم «تينيا سوليوم» والتي يبلغ طولها أحيانا ثمانية أمتار(١).

٤ - نهيه ﷺ عن الشرب واقفاً:

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «أنّه نهى أن يشرب الرجل قائماً». قال قتادة: فقلنا: فالأكل؟ فقال: «ذلك أ شر أو أخبث»(٢).

قال الدكتورعبد الرزاق الكيلاني: إنّ الشرب وتناول الطعام جالساً أصح وأسلم وأهنأ وأمرأ، حيث يجري ما يتناول الآكل والشارب على جدران

---

(١) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية. د أحمد مصطفى متولي.

(٢) رواه مسلم (٢٠٢٤).

المعدة بتؤدة ولطف. كما أن الاستمرار على عادة الأكل والشرب واقفاً تعتبر خطيرة على جدران المعدة وإمكانية حدوث تقرحات بها، وأما الشرب واقفاً فيؤدي إلى تساقط السائل بعنف إلى قعر المعدة ويصدمها صدماً، وأن تكرار هذه العملية يؤدي مع طول الزمن إلى استرخاء المعدة وهبوطها وما يلي ذلك من عسر هضم[1].

أوردنا ما فيه الكفاية، لمن أدركته العناية، والله الموفق لمرضاته.

والحمد لله رب العالمين

❑ ❑ ❑

(١) الموسوهة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية. د. أحمد مصطفى متولي.

من عظيم شمائل النبي المكرم ﷺ

يروى أنّ الرسول ﷺ وأبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومولاه ودليلهما، خرجوا من مكة ومروا على خيمة امرأة عجوز تسمى «أم معبد»، كانت تجلس قرب الخيمة تسقي وتطعم، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها، فلم يجدوا عندها شيئاً. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في جانب الخيمة، وكان قد نفد زادهم وجاعوا. وسأل النبي ﷺ أم معبد: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد والضعف عن الغنم.

فقال رسول الله ﷺ: «هل بها من لبن؟».

قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلباً فاحلبها.

فدعا النبي ﷺ الشاة، ومسح بيده ضرعها، وسمى الله جل ثناؤه ثم دعا لأم معبد في شاتها، حتى فتحت الشاة رجليها، ودرت.

فدعا بإناء كبير، فحلب فيه حتى امتلأ، ثم سقى المرأة حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا «أي شبعوا»، ثم شرب آخرهم، ثم حلب في الإناء مرة ثانية أي حتى ملأ الإناء، ثم تركه عندها وارتحلوا عنها.

وبعد قليل أتى زوج المرأة «أبو معبد» يسوق عنزاً «غنما» يتمايلن من الضعف، فرأى اللبن، فقال لزوجته: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب ولا حلوب في البيت؟

فقالت: لا والله، إنّه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. كما مر معنا!!

فقال أبو معبد: صفيه لي يا أم معبد. فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه «أي مشرق الوجه»، لم تعبه نحلة «أي نحول الجسم» ولم تزر به

صقلة «أنه ليس بناحلٍ ولا سمين»، وسيمٌ قسيم «أي حسن وضيء»، في عينيه دعج «أي سواد»، وفي أشفاره وطف «طويل شعر العين»، وفي صوته صحل «بحة وحسن»، وفي عنقه سطع «طول»، وفي لحيته كثاثة «كثرة شعر»، أزج أقرن «حاجباه طويلان ومقوسان ومتصلان»، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأجلاهم وأحسنهم من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر «كلامه بين وسط ليس بالقليل ولا بالكثير»، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة «ليس بالطويل البائن ولا بالقصير»، لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محشود محفود «أي عنده جماعة من أصحابه يطيعونه»، لا عابس ولا مفند «غير عابس الوجه، وكلامه خالٍ من الخرافة».

فقال أبو معبد: «هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلا».

وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعه الناس، ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به	فقد فاز من أمسى رفيق محمد[1]

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيت رسول الله ﷺ في ليلة اضحيان، وعليه حلّة حمراء، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر، فإذا هو عندي أحسن من القمر»[2].

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧)، والترمذي (٢٨١١).

«إضحيان هي الليلة المقمرة من أولها إلى آخرها».

وما أحسن ما قيل في وصف الرسول ﷺ:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

صفة لونه الشريف:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ، أزهر اللون، ليس بالأدهم ولا بالأبيض الأمهق ـ أي لم يكن شديد البياض والبرص ـ يتلألأ نوراً[1].

صفة وجهه الكريم:

كان ﷺ أسيل الوجه مسنون الخدين ولم يكن مستديراً غاية التدوير، بل كان بين الاستدارة والإسالة هو أجمل عند كل ذي ذوق سليم. وكان وجهه مثل الشمس والقمر في الإشراق والصفاء، مليحاً كأنما صيغ من فضة لا أوضأ ولا أضوأ منه. وكان ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر[2].

قال عنه البراء بن عازب: كان أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقاً[3].

صفة جبينه الكريم:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ أسيل الجبين». الأسيل: هو المستوي. وكان ﷺ واسع الجبين أي ممتد الجبين طولاً وعرضاً، والجبين هو غير الجبهة، هو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال، فهما جبينان، فتكون الجبهة بين جبينين. وسعة الجبين محمودة عند كل ذي ذوق سليم[4].

---

(١) متفق عليه والترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه البيهقي وابن عساكر.

وقد وصفه ابن أبي خيثمة فقال: «كان رسول الله ﷺ أجلى الجبين، إذا طلع عند الليل أو طلع بوجهه على الناس، تراءى جبينه كأنه السراج المتوقد يتلألأ».

صفة حاجبيه الكريمين:

كان حاجباه ﷺ قويان مقوسان، متصلان اتصالاً خفيفاً، لا يرى اتصالهما إلا أن يكون مسافراً وذلك بسبب غبار السفر. وهذا ما رآته أم معبد ووصفته بخلاف وصف هند بن أبي هالة حيث قال من غير قرن.

صفة عينيه الكريمتين:

كان ﷺ مشرب العينين بحمرة، وقوله مشرب العين بحمرة: هي عروق حمر رقاق وهي من علامات نبوته ﷺ التي في الكتب السابقة. وكانت عيناه واسعتين جميلتين، شديدتي سواد الحدقة، ذات أهداب طويلة ـ أي رموش العينين ـ ناصعتي البياض وكان ﷺ أشكل العينين. قال القسطلاني في المواهب: الشُكلة بضم الشين هي الحمرة تكون في بياض العين وهو محبوب محمود.

وقال الزرقاني: قال الحافظ العراقي: هي إحدى علامات نبوته ﷺ، ولما سافر مع ميسرة إلى الشام سأل عنه الراهب ميسرة فقال: في عينيه حمرة؟ فقال: ما تفارقه، قال الراهب: هو والله. وكان ﷺ «إذا نظرت إليه قلت أكحل العينين وليس بأكحل»(١).

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كانت عيناه ﷺ نجلاوان أدعجهما ـ والعين النجلاء الواسعة الحسنة والدعج: شدة سواد الحدقة ـ ولا يكون الدعج في شيء إلا في سواد الحدقة.

---

(١) رواه الترمذي(٣٦٥٦).

وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها[1].

صفة أنفه الشريف:

يحسبه من لم يتأمله ﷺ أشماً ولم يكن أشماً وكان مستقيماً، أقنى أي طويلاً في وسطه بعض ارتفاع، مع دقة أرنبته والأرنبة هي ما لان من الأنف[2].

صفة خديه الكريمين:

كان ﷺ سهل الخدين. وعن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره حتى يرى بياض خده[3].

صفة فمه وأسنانه الشريفة:

قال هند بن أبي هالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ أشنب مفلج الأسنان»[4].

الأشنب: هو الذي في أسنانه رقة وتحدد.

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ، ضليع الفم «أي واسع الفم» جميله، وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم»[5].

وكان ﷺ وسيماً أشنب ـ أبيض الأسنان مفلّج أي متفرق الأسنان، بعيد ما بين الثنايا والرباعيات ـ أفلج الثنيتين ـ الثنايا جمع ثنية بالتشديد

---

(١) أخرجه البيهقي وابن عساكر.

(٢) رواه الترمذي والطبراني والبيهقي في الدلائل.

(٣) رواه ابن ماجة.

(٤) رواه الطبراني والترمذي وابن سعد والبغوي في شرح السنة.

(٥) رواه مسلم (٢٣٣٩)،والترمذي(٣٦٥٦).

وهي الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من تحت، والفلج هو تباعد بين الأسنان.

إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه، النور المرئي يحتمل أن يكون حسياً كما يحتمل أن يكون معنوياً فيكون المقصود من التشبيه ما يخرج من بين ثناياه من أحاديثه الشريفة وكلامه الجامع لأنواع الفصاحة والهداية الربانية(١).

صفة ريقه الشريف:

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ خصائص كثيرة لريقه الشريف، ومن ذلك أنّ ريقه ﷺ فيه شفاء للعليل، ورواء للغليل وغذاء وقوة وبركة ونماء فكم داوى ﷺ بريقه الشريف من مريضٍ فبرىء من ساعته بإذن الله. فقد جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ وكلهم يرجو أن يعطاها، فقال ﷺ: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه.

قال: فأرسلوا إليه. فأتي به وفي رواية مسلم: قال سلمة: فأرسلني رسول الله ﷺ إلى علي، فجئت به أقوده أرمد فتفل رسول الله ﷺ في عينيه، فبرئ كأنه لم يكن به وجع»(٢).

وعن عميرة بنت مسعود الأنصارية وأخواتها دخلنّ على النبي ﷺ يبايعنه، وهن خمس، فوجدنه يأكل قديداً «لحم مجفف»، فمضغ لهن قديدة، قالت عميرة:

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل.

(٢) رواه البخاري ومسلم والطبراني وأبو نعيم.

ثم ناولني القديدة فقسمتها بينهنّ، فمضغت كل واحدة قطعة فلقين الله تعالى وما وجد لأفواههن خلوف، أي تغير رائحة فم.

ومما يروى في عجائب غزوة أُحد وكم في أُحد من عجائب وغرائب ومعجزات وتضحيات وإيمانيات عظيمة!!.

ما أصاب قتادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بسهم في عينه قد فقأتها له، فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد تدلت عينه، فأخذها ﷺ بيده وأعادها ثم تفل بها ومسح عليها وقال: «قم معافى بإذن الله» فعادت أبصر من أختها. فقال الشاعر:

اللهم صل على من سمى ونمى   ورد عين قتادة بعد العمى

صفة لحيته الكريمة:

«كان رسول الله ﷺ حسن اللحية»(١) وقالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «كان ﷺ كث اللحية ـ والكث: الكثير منابت الشعر الملتفها ـ وكانت عنفقته بارزة، وحولها كبياض اللؤلؤ، في أسفل عنفقته شعر منقاد حتى يقع انقيادها على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها»(٢).

وعن عبد الله بن بسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كان في عنفقة رسول الله ﷺ شعرات بيض»(٣).

وقال أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لم يختضب رسول الله ﷺ إنما كان البياض في عنفقته»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد، وصححه أحمد شاكر.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل وأبو نعيم وابن عساكر.

(٣) رواه البخاري(٣٥٤٦).

(٤) رواه البخاري(٥٨٩٤)،ومسلم. (٢٣٤١)

«وكان ﷺ أسود الشعر كث اللحية، بمقدار قبضة اليد، يحسنها ويطيبها، أي يضع عليها الطيب. وكان ﷺ يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ويكثر القناع كأن ثوبه ثوب زيات»[١].

صفة شعره الشريف:

كان شعره ﷺ شديد السواد رَجْلاً، أي ليس مسترسلاً كشعر الروم ولا جعداً كشعر السودان، وإنّما هو على هيئة المتمشط، يصل إلى أنصاف أذنيه حيناً ويرسله أحياناً فيصل إلى شحمة أذنيه أو بين أذنيه وعاتقه، وغاية طوله أن يضرب منكبيه إذا طال زمان إرساله بعد الحلق، وبهذا يجمع بين الروايات الواردة في هذا الشأن، حيث أخبر كل واحدٍ من الرواة عما رآه في حين من الأحيان.

قال الإمام النووي: «هذا، ولم يحلق النبي ﷺ رأسه «أي بالكلية» في سني الهجرة إلا عام الحديبية ثم عام عمرة القضاء ثم عام حجة الوداع».

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ كثير شعر الرأس راجله»[٢].

ولم يكن في رأس النبي ﷺ شيب إلا شعيرات في مفرق رأسه، فقد أخبر ابن سعيد أنّه ما كان في لحية النبي ﷺ ورأسه إلا سبع عشرة شعرة بيضاء وفي بعض الأحاديث ما يفيد أنّ شيبه لا يزيد على عشرة شعرات وكان ﷺ إذا ادّهن واراهن الدهن، أي أخفاهن، وكان يدهن بالطيب والحناء[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل والبغوي في شرح السنة.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم (٢٣٤٤).

وفي حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «إنما كان شيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي ﷺ ناصيته ثم فرق بعد»(٢) وكان رَجْلَ الشعر حسناً ليس بالسبط ولا الجعد القطط، كان إذا مشطه بالمشط كأنه حبك الرمل، أو كأنه المتون التي تكون في الغدر إذا سفتها الرياح، فإذا مكث لم يرجل أخذ بعضه بعضاً، وتحلق حتى يكون متحلقاً كالخواتم، لما كان أول مرة سدل ناصيته بين عينيه كما تسدل نواصي الخيل جاءه جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بالفرق ففرق.

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «كنت إذا أردت أن أفرق رأس رسول الله ﷺ صدعت الفرق من نافوخه وأرسل ناصيته بين عينيه»(٣).

وكان ﷺ يسدل شعره، أي يرسله ثم ترك ذلك وصار يفرقه، فكان الفرق مستحباً، وهو آخر الأمرين منه ﷺ.

وفرق شعر الرأس هو قسمته في المفرق وهو وسط الرأس.

وكان يبدأ في ترجيل شعره من الجهة اليمنى، فكان يفرق رأسه ثم يمشط الشق الأيمن ثم الشق الأيسر. وكان رسول الله ﷺ يترجل غباً، أي يمشط شعره ويتعهده من وقت إلى آخر.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٤٧)، وأحمد ٢/ ٩٠، وابن ماجة (٣٦٣٠).

(٢) رواه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦).

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود(٤١٨٩) وابن ماجة(٣٦٣٣).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يحب التيمن في طهوره، أي الابتداء باليمين، إذا تطهر وفي ترجله إذا ترجل وفي انتعاله إذا انتعل[١].

صفة عنقه ورقبته الشريفة:

رقبته فيها طول، أما عنقه فكأنه جِيْدُ دُميّةٍ.

«الجيد: هو العنق، والدمية: هي الصورة التي بولغ في تحسينها».

فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كأن عنق رسول الله ﷺ إبريق فضة»[٢].

وعن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان أحسن عباد الله عنقاً، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة يشوبه، ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب، وما غيب في الثياب من عنقه فما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر»[٣].

صفة منكبيه الكريمين:

كان ﷺ أشعر المنكبين «أي عليهما شعر كثير»، واسع ما بينهما، والمنكب هو مجمع العضد والكتف. والمراد بكونه بعيد ما بين المنكبين أنّه عريض أعلى الظهر ويلزمه أنّه عريض الصدر، مع الإشارة إلى أنّ بُعْدُ ما بين منكبيه لم يكن منافياً للاعتدال. وكان كتفاه عريضين عظيمين.

---

(١) رواه البخاري(٤٢٦).

(٢) أخرجه البيهقي وابن سعد في الطبقات.

(٣) أخرجه البيهقي وابن عساكر.

صفة خاتم النبوة الشريف:

وهو خاتم أسود اللون مثل الهلال وفي رواية أنه أخضر اللون، وفي رواية أنه كان أحمراً، وفي رواية أخرى أنه كلون جسده. والحقيقة أنه لا يوجد تدافع بين هذه الروايات لأن لون الخاتم كان يتفاوت باختلاف الأوقات، فيكون تارة أحمراً وتارة كلون جسده وهكذا بحسب الأوقات. ويبلغ حجم الخاتم قدر بيضة الحمامة، وورد أنّه كان على أعلى كتف النبي ﷺ الأيسر. وقد عرف سلمان الفارسي رسول الله ﷺ بهذا الخاتم.

فعن عبد الله بن سرجس قال: رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً ثريداً. فقيل له: آستغفر لك النبي؟قال: نعم ولك، ثم تلى هذه الآية: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩].

قال: «ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى عليه خيلان كأمثال الثآليل»[(١)] قال أبو زيد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: قال لي رسول الله ﷺ اقترب مني، فاقتربت منه، فقال: أدخل يدك فامسح ظهري، قال: فأدخلت يدي في قميصه فمسحت ظهره فوقع خاتم النبوة بين أصبعي قال: فسئل عن خاتم النبوة فقال: «شعرات بين كتفيه»[(٢)].

اللهم كما أكرمت أبا زيد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بهذا، فأكرمنا بنبينا ﷺ يا ربنا يا إلهنا، يا من تعطي السائلين من جودك وكرمك ولا تبالي.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٤٦).

(٢) أخرجه أحمد والحاكم ووافقه الذهبي على صحة إسناده.

صفة إبطيه الكريمين:

كان ﷺ أبيض الإبطين، وبياض الإبطين من علامة نبوته إذ إنّ الإبط من جميع الناس يكون عادة متغير اللون.

قال عبد الله بن مالك رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ إذا سجد فرّج بين يديه «أي باعد» حتى نرى بياض إبطيه»(١).

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا سجد جافى حتى يرى بياض إبطيه»(٢).

صفة ذراعيه الشريفتين:

كان ﷺ أشعراً، طويل الزندين «أي الذراعين»، سبط القصب ـ القصب يريد به ساعديه.

صفة كفيه الكريمتين:

كان ﷺ رحب الراحة «أي واسع الكف» كفه ممتلئة لحماً، غير أنها مع غاية ضخامتها كانت لينة أي ناعمة.

قال أنس رضي الله عنه: «ما مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ».

وأما ما ورد في روايات أخرى عن خشونة كفيه وغلاظتها، فهو محمول على ما إذا عمل في الجهاد أو مهنة أهله، فإن كفه الشريفة تصير خشنة للعارض المذكور «أي العمل» وإذا ترك رجعت إلى النعومة.

---

(١) رواه البخاري(٣٩٠)، ومسلم(٤٩٥).

(٢) أخرجه أحمد.

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً.

قال: وأما أنا فمسح خدي.

قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار»[1].

صفة أصابعه الشريفة:

قال هند بن أبي هالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ سائل الأطراف «سائل الأطراف: يريد الأصابع أنها طوال ليست بمنعقدة»[2].

صفة صدره الشريف:

كان ﷺ عريض الصدر، ممتلئً لحماً، ليس بالسمين ولا بالنحيل، سواءَ البطن والظهر. وكان ﷺ أشعر أعالي الصدر، عاري الثديين والبطن «أي لم يكن عليها شعر كثير» طويل المسربة وهو الشعر الدقيق.

صفة سُرّته الكريمة:

عن هند بن أبي هالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ دقيق المسربة موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، واللبة، ـ المنحر ـ وهو النقرة التي فوق الصدر».

صفة مفاصله وركبتيه الكريمتين:

كان ﷺ ضخم الأعضاء كالركبتين والمرفقين والمنكبين والأصابع، وكل ذلك من دلائل قوته ﷺ.

---

(١) رواه مسلم(٢٣٢٩).

(٢) أخرجه الطبراني والترمذي وابن سعد والحاكم مختصراً والبغوي في شرح السنة.

صفة ساقيه الكريمتين:

عن أبي جحيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «وخرج رسول الله ﷺ في حلة حمراء مشمراً»[1]. أي عن بياض ساقيه

صفة قدميه الكريمتين:

قال هند بن أبي هالة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كان النبي ﷺ خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء شثن الكفين والقدمين». قوله: خمصان الأخمصين: الأخمص من القدم ما بين صدرها وعقبها، وهو الذي لا يلتصق بالأرض من القدمين، يريد أنّ ذلك منه مرتفع.

مسيح القدمين: يريد أنّهما ملساوان ليس في ظهورهما تكسراً لذا قال ينبو عنهما الماء، يعني أنّه لا ثبات للماء عليها وشثن الكفين والقدمين أي غليظ الأصابع والراحة[2].

وكان ﷺ أشبه الناس بسيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكانت قدماه الشريفتان تشبهان قدمي سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما هي آثارها في مقام سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

صفة قامته وطوله الكريم:

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ رُبْعَة من القوم «أي مربوع القامة»، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وكان إلى الطول أقرب.

وأنّه ﷺ لم يكن يماشي أحداً من الناس إلا طاله، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسب إلى الرُبعة، وكان إذا جلس

(١) رواه البخاري(٣٧٦).

(٢) رواه الترمذي في الشمائل والطبري.

يكون كتفه أعلى من الجالس فكان ﷺ حسن الجسم، معتدل الخلق ومتناسب الأعضاء[1].

صفة عرقه الشريف:

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ «أي كان صافياً أبيضاً مثل اللؤلؤ». وقال أيضاً: «ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ»[2].

وعنه أيضاً قال: «دخل علينا رسول الله ﷺ فقال «أي نام» عندنا، فعرِق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تَسْلُتُ العرق، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟. قالت: عرقك نجعله في طيبنا وهو أطيب الطيب»[3]، وفيه دليل أنّ الصحابة كانوا يتبركون بآثار النبي ﷺ، وقد أقر الرسول ﷺ أم سليم على ذلك.

وكان ﷺ إذا صافحه الرجل وجد ريحه، أي تبقى رائحة يد النبي ﷺ على يد الرجل الذي صافحه، وإذا وضع يده على رأس صبي، فيظل يومه يعرف من بين الصبيان بريحه على رأسه.

ما جاء في اعتدال خلقه ﷺ:

قال هند بن أبي هالة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ معتدل الخلق، بادن متماسك، سواءَ البطن والصدر»[4] وقال البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خُلقاً»[5].

---

(١) رواه البيهقي وابن عساكر.

(٢) رواه البخاري ومسلم (٢٣٣٠)واللفظ له.

(٣) رواه مسلم(٢٣٣١).

(٤) أخرجه الطبراني والترمذي في الشمائل والبغوي وابن سعد وغيرهم.

(٥) متفق عليه.

ما جاء في حسن النبي ﷺ:

لقد وصف بأنّه كان مشرباً بحمرة وقد صدق من نعته بذلك، ولكن إنّما كان المشرب منه حمرة ما ضحا للشمس والرياح، فقد كان بياضه من ذلك قد أشرب حمرة، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر، لا يشك فيه أحد ممن وصفه بأنّه أبيض أزهر. يعرف رضاه وغضبه وسروره في وجهه وكان لا يغضب إلا لله، كان إذا رضى أو سُرّ استنار وجهه فكأن وجهه المرآة، وإذا غضب تلون وجهه واحمرت عيناه.

فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «استعرت من حفصة بنت رواحة إبرة كنت أخيط بها ثوب رسول الله ﷺ فطلبتها فلم أقدر عليها، فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة لشعاع وجهه ﷺ»(١).

في ختام هذا العرض لبعض صفات الرسول الكريم ﷺ، الخَلقية التي هي أكثر من أن يحيط بها كتاب، لا بُدّ من الإشارة إلى أنّ تمام الإيمان بالنبي ﷺ، هو الإيمان بأنّ الله سبحانه وتعالى خلق بدنه الشريف في غاية الحسن والكمال، على وجه لم يظهر لآدمي مثله، فهو ﷺ أكمل وأجمل خلق الله تعالى.

قال البوصيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في قصيدته:

وأجمل منك لم تر قط عين ... وأكمل منك لن تلد النساء

❑ ❑ ❑

(١) أخرجه ابن عساكر والأصبهاني والديلمي والسيوطي في الجامع الكبير.

وصف هند بن أبي هالة

روي عن الحسن بن علي رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، أنّه قال سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافا عن حلية رسول الله ﷺ، وأنا اشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة رجل الشعر اذا انفرقت عقيقته فرقها، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا وفره، أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية سهل الخدين ضليع الفم مفلج الاسنان، دقيق المسربه كأن عنقه جيد دميه في صفاء الفضه، معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد، موصول مابين اللُبّة والسره بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين، سائل الاطراف أو قال شائل الاطراف، خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو الماء عنهما، إذا زال زال قلعا يخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعًا، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظه يسوق أصحابه ويبدر من لقي السلام. قلت له صف لي منطقه قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجه طويل السكوت يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم شيئا، لم يكن يذم ذواقا ولا يمدح، ولا يقام لغضبه

إذا تُعّرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا اشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبّها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحة اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

❑ ❑ ❑

(١) رواه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان.

المراجع

١- صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري، للإمام البخاري.

٢- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري.

٣- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر.

٤- شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام النووي.

٥- سنن أبي داود.

٦- سنن ابن ماجة.

٧- سنن النسائي. والترمذي، والدارامي، والدارقطني.

٨- عمدة القاري، في شرح البخاري.

٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل.

١٠- منحة المعبود في ترتيب مسند أبي داود،للشيخ عبد الرحمن البنا.

١١- كتاب الموطأ، للإمام مالك.

١٢- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري.

١٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير.

١٤- مسند البزار.

١٥- التاريخ الكبير للبخاري.

١٦- الجامع الصغير والكبير للسيوطي.

١٧- تفسير القاضي عياض.

١٨- تفسير القرطبي المسمى، الجامع لأحكام القرآن.

١٩- تفسير الكشاف، للزمخشري.

٢٠- مختصر تفسير ابن كثير.

٢١- البداية والنهاية لابن كثير.
٢٢- زاد المعاد،لابن قيم الجوزية.
٢٣- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء،لابن حبان.
٢٤- السيرة النبوية،لابن هشام.
٢٥ – فتوح مصر وأخبارها، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم.
٢٦- الكامل في التاريخ،لابن الأثير.
٢٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين الهيثمي.
٢٨- كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض.
٢٩- دلائل النبوة، للبيهقي.
٣٠- تفسير روح البيان،إسماعيل حقيي البروسوي.
٣١- المواهب اللدنية، للقسطلاني.
٣٢- الخصائص الكبرى، للسيوطي.
٣٣- عيون الحقائق بن ماخلا.
٣٤- أفراح الروح، للسيد قطب.
٤٥- شرح المواهب للزرقاني.
٤٦- الأدب المفرد، للبخاري.
٤٧- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر.
٤٨- فتوح البلدان، للبلاذري.
٤٩- الاستيعاب، لابن عبد البر.
٥٠- اسد الغابة،لابن الأثير.
٥١- الصارم المسلول في شاتم الرسول ﷺ، لابن تيميه.

٥٢- مجموع الفتاوي، لابن تيميه.
٥٣- الشمائل، للترمذي.
٥٤- شرح السنة، للبغوي.
٥٥- الإبريز، احمد بن المبارك.
٥٦- طبقات الكبرى، لابن سعد.
٥٧- كنز العمال، للمتقي الهندي.
٥٨ – الحلية، لأبي نعيم.
٥٩- سيرة ابن حبان البستي.
٦٠ ـ تاريخ خليفة بن خياط.
٦١- تاريخ الامام الطبري.
٦٢- قاب قوسين وملتقى الناموسين، عبد الكريم ألجيلي.
٦٣- الموسوعة الذهبية في اعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد مصطفى متولي.
٦٤- الإشارات العلمية والبرهان العلمي للإسلام في الموسوعة الذهبية السابقة.
٦٥- المعجم الكبير، للطبراني.
٦٦- تاريخ الإسلام، للحافظ الذهبي.
٦٧- خبيئة الكون، للكتاني.
٦٨ – تفسير روح المعاني، للالوسي.
٦٩- جواهر المعاني وبلوغ الأماني من فيض سيدي أبي العباس التيجاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، علي بن حرازم.
٧٠- الإنسان الكامل محمد ﷺ، السيد محمد علوي مالكي.
٧١- جلاء القلوب عن الاصداء، محمد بن جعفر الكتاني.

٧٢ – البرهان في علوم القرآن، الزركشي.

٧٣- الجواب الصحيح، لابن تيمية.

٧٤- زاد المعاد، لابن القيم.

٧٥- التاريخ، ابن عساكر.

٧٦- في ظلال القرآن، للسيد قطب.

٧٧- مجلة آيات، إسلامية متخصصة في العجاز العلمي القرآني، د. زغلول النجار.

٧٨- أسباب النزول، للواحدي النيسابوري.

٧٩- الأحاديث القدسية، جمال عبد الغني مدغمش .

٨٠- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، للنبهاني .

٨١- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ابن جماعة الكناني .

٨٢- تلبيس إبليس لإبن القيم .

٨٣- اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة